
١٢٨٤



٢١٤ ت	بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطه
ب . ت	والباطنيه واهل الالحاد من القائليــــن
بالحلول والاتحاد ، تأليف ابن تيمية ، احمد
ابن عبد الحليم - ٧٢٨هـ . خط القرن الثالث
عشر الهجرى تقديرا .

١٢٨٤	٨٤ ق	٢٥ س	١٧×٥ر٢٢سم
نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد ، طبع
الاعلام ١ : ١٤٠ ، الدرر الكامنة ١ : ١٥٤
ا ـ اصول الدين . ا ـ المؤلـــف .
ب ـ تاريخ النسخ .

ا

هذا كتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل
الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد من تأليف شيخ الاسلام وامام
الأئمة الاعلام أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية الحراني رضي الله عنه وهو المنعوت بالسبعينية يذكر فيه
بندا بندا كلام الغزالي متعقبا عليه ذاكرا ما يرد على كلامه
ومعلما بمن يقول بمثل ذلك وموضحا مأخذ ذلك
وما فيه من الخروج عن مناهج الشريعة وشواهد
ذلك مفصلا له بصورة وبالله تعالى
التوفيق

كان على الاصل ما صورته جواب المسائل الواردة من سكندرية في بيان
اصول مقالات الجهمية الاتحادية الحلولية الفرعونية وما يتصل بذلك من
قواعد المتفلسفة القرامطة الباطنية ونحوهم من اهل الالحاد وما دخلوا
في تحقيق التوحيد والايمان بالله ومعرفته من الفساد وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الحمد لله الولي الحميد الرفيع الدرجات
ذي العرش المجيد والحمد لله رب كل شيء محيي كل ميت ومميت كل حي ثم يعيدهم
كما بدأهم وإليه النشور والحمد لله الذي اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس
ان الله سميع بصير والحمد لله الذي اجتبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مما خلق
ختم به الأنبياء وأكرمه بجعل لواء الحمد بيده يوم القيمة تحته آدم فمن دونه
وشرفه بالشفاعة العظمى في اليوم المشهود أقرب الخلق وسيلة الى الله الملك
الحق والحمد لله على ما هدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأنقذ به من الغي
بالكتاب العزيز والسنة النبوية المشتملين على الدين القيم أحمده وله الحمد
من قبل ومن بعد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله وخليله وحبيبه الناطق الصادق أعلم المخلوقين بالخالق
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما قام داع بدعوته وما عمل متبع
بكتاب ربه وسنته وسلم وبعد فإن في الاعتصام بالكتاب والسنة
ما نشأ المتبع المستعصم من سعادتي الدنيا والآخرة وبقدر ما ينقصهما
يقع الخلل بذلك ولا ريب في أن الفرقة الناجية الذين يتوخون
ان يكونوا على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير القرون
الذين ابتعثه الله تعالى فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما صح عنه
عليه الصلاة والسلام ثم حدثت البدع شيئا بعد شيء قولا وعملا فلا يرى
المنكر معروفا والمعروف منكرا ونجم دعاة الضلالة يدعون الى النار
فاستجاب لهم من سبق عليه بذلك الكتاب أن يكون من أهلها فمن خارجي
مستبيح لدماء الأمة وأموالها ومن شيعي مزر على الصحابة وإنما يزري بجهله
لو عقل على من والاه وهم براء من موالاته وكان الغالية منهم والهالكة كالنصيرية
والإسماعيلية وكالقرامطة الباطنية ومن جهمي منكر لدلالات نصوص الكتاب
والسنة دافع لذلك عنادا منه فقط ومن معتزلي ملحد في أسماء الله تعالى

يقول

يقول على الله تعالى من عند نفسه متبعا لهواه بغير هدى من الله تعالى
ومن متفلسف عدو للشرائع يكيدها بغيا وعنادا لها والله متم نوره
ولو كره الكافرون الى غير ذلك ممن ذكرنا ثم اختلطت الفرق فظهر
من اختلاطها فرق مرجعها الى من ذكرنا فمن أضرها على الإسلام الفرقة
القائلة بوحدة الوجود وهذه المقولة فاعلموا رحمكم الله تعالى لها
في الفلاسفة اليونانيين أصل قديم وأثر عظيم كما ستراه داخل الكتاب
ان شاء الله تعالى وهذا موجود في كلامهم مسطور في دفاترهم وقد
غلبت هذه المقولة على أهل التصوف الا من شاء الله تعالى منهم فصنفت
فيها الكتب وتلقاها قوم يؤمنون ذلك وصار القائمون بها لهم أكمل الطرق
وربما قيل فيمن انتهى للضلالة لديهم شيخ التحقيق وانتصب الى الدعا
الى ذلك منهم شيوخ الاتحاد هذا على ما ينسب لهم في مصنفات تعزى
اليهم على تقدير صحتها الى من عزيت اليه بدعائهم فيها الى وحدة الوجود
والاعتقاد وسترى أسماءهم داخل التأليف والرد على المعزو له لأننا
لم نحقق من صح عنه القول بذلك الا من قبل ما اشتمل عليه التأليف المعزو
اليه ولهذا فلقائل أن يقول لا نسلم عن وما ذكرت أنه قصدت
الا بطريقه فلهذا قدمنا ما ذكرنا وقد وجدت تأليفا قديما
من كلام شيخ الإسلام علم العلماء الأعلام تقي الدين أبي العباس أحمد
بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه بخطه
المبارك ثم وجدت نسخة كتبت منه وقوبلت على خطه على ضعف
في وضع خطها تنعت بالسبعينية تكلم فيها رضي الله عنه على
أصول مقالات الجهمية والحلولية والاتحادية الفرعونية وما يتصل
بذلك من قواعد المتفلسفة والقرامطة الباطنية مما أدخلوه في تحقيق
التوحيد والإيمان بالله تعالى ومعرفته من الفساد ونحوهم من أهل الاتحاد
فلذلك وسمت التأليف عند كتبه نيابة عن مقامه رضي الله عنه
جاعلا اسمه كما تقدم بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة

ونحوهم من اهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد وبالله تعالى التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم صدر الكتاب سئل شيخ الاسلام
علم العلماء الاعلام تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية الحراني رحمهم الله ما تقول السادة العلماء ائمة الدين في الحديث
المروي الذي لفظه اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر
فادبر فقال وعزتي ما خلقت خلقا اكرم علي منك فبك آخذ وبك اعطي
وبك الثواب والعقاب والحديث الاخر الذي لفظه كنت كنزا لم اعرف
فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق ليعرفوني فبي عرفوني والحديث الثالث الذي
لفظه كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان هل هذه الاحاديث
صحيحة ام سقيمة او بعضها صحيح وبعضها سقيم وما الصحيح منها وهل فيها زيادة
المعدل الراوي ام لا وما معناها على الاطلاق وكان بخط الكاتب في الحاشية
ما نصه زيادة المشيخ والمقصود بيان ما بني على هذه الاحاديث غلاة
الفلاسفة والقرامطة الباطنية ونحو ذلك وبيان الحق من الباطل والله
تعالى الموفق اجاب رضي الله عنه وارضاه الحمد لله رب
العالمين اما الحديث الاول فهو باللفظ المذكور قد رواه من صنف في فضل
العقل كداود ابن المحبر ونحوه واتفق اهل المعرفة بالحديث على انه ضعيف
بل موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الحافظ ابن حاتم
البستي وابو الحسن الدارقطني والشيخ ابو الفرج ابن الجوزي وغيرهم
ان الاحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في العقل لا اصل لشيء
منها وليس في رواتها ثقة يعتمد فقد ذكر ابو الفرج ابن الجوزي
في كتابه المعروف عن كثير الاحاديث الموضوعات عامة ما روي في العقل عن
النبي صلى الله عليه وسلم وروى القزاز عن الحافظ ابي بكر الخطيب حدثني
محمد بن علي الصوري سمعت عبد الغني بن سعيد الحافظ يقول انا
ابو الحسن علي بن عمر يصنف الدارقطني كتاب العقل وضعه اربعة

اوله

اولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود ابن المحبر فركبه باسانيد
اخر وسرقه سليمان بن عيسى السجزي فاتى باسانيد اخر قال وهو
علم ما قال الدارقطني وقد رويت في العقل احاديث كثيرة ليس فيها
شيء يثبت منها ما يرويه مروان ابن سالم واسحق بن ابي فروة واحمد بن
بشر ونصر ابن طريف وابن سمعان وسليمان بن عيسى وكلهم متروكون
وقد كان بعضهم يضع الحديث ويسرقه الاخر ويغير اسناده فلم نرا
التطويل بذكرها قلت ومع هذا فقد روى ابو الفرج هذا من طريق
يوسف بن محمد عن سفيان الثوري عن الفضل بن عثمان عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام ثم قال
ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له اقعد فقعد فقال ما خلقت خلقا
هو خير منك ولا اكرم علي منك ولا احسن منك بك اخذ وبك اعطي وبك
اعرف وبك الثواب وعليك العقاب قال ابو الفرج هذا حديث
لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن سعيد الفضل بن
عثمان رجل سوء وقال ابن حبان وحفص بن عمر يروي الموضوعات
لا يحل لاحد الاحتجاج به واما سيف فكذاب باجماعهم ورواه ايضا
من كتاب ابي جعفر العقيلي من حديث سعيد بن الفضل القرشي ثنا عمر
ابن ابي صالح العجلي عن ابي غالب عن ابي امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له
ادبر فادبر فقال وعزتي ما خلقت خلقا هو احب الي منك
فبك اخذ وبك اعطي وبك الثواب وعليك العقاب قال ابو الفرج
هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان سعيدا
وعمرا مجهولان قال وقد روي من طريق علي وابي هريرة وليس فيها شيء
يثبت قال احمد بن حنبل هذا الحديث موضوع ليس له اصل قال العقيلي
لا يثبت في هذا الباب شيء فهذا اتفاق اهل المعرفة على بطلان
هذا الحديث مع ان اكثر الفاظه لما خلق العقل قال له وهذا بمنزلة

المحدون

قوله أول ما خلق الله العقل بالنصب لكن هذا اللفظ لا يمكن هؤلاء الملحدون
تغيير إعرابه بخلاف ذلك اللفظ فإنه لا حيلة لهم في إعرابه ثم إنه من العجيب
أن هذا الحديث قد جعله عمدتهم في أصول الدين والمعرفة والتحقيق من يروم
الجمع بين الشريعة الإلهية والفلسفة اليونانية المشائية وكل هؤلاء غيروه
وإن كانوا وضعوا فرووه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل وجعلوا هذه حجة
وموافقا لما يقوله الفلاسفة المشاؤون أتباع أرسطو في قولهم أول الصادرات
عن واجب الوجود هو العقل الأول وقد شاع هذا في كلام كثير من المتأخرين
بعد أن رأوه في كتب رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل هي عمدة لهؤلاء
ووجد نحو هذا في كلام أبي حامد في مواضع وإن قيل إنه رجع عن ذلك ثم وقع بعده
في كلام من سلك هذه السبيل من الجهمية والمتفلسفة من القائلين بوحدة الوجود
وغيرهم وهذا باطل من وجوه كثيرة أحدها أن هذا الحديث بهذا اللفظ
وهذا الإعراب لم يروه أحد من رواة الحديث لا بإسناد صحيح ولا سقيم
بل الحديث المروي وإن كان بإسناد سقيم لفظه أول ما خلق الله العقل بنصب
أول والعقل وذلك لا حجة فيه على أن العقل أول المخلوقات إذ لفظه أول ما
خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل فهو نصب على الظرف إذ ما هي المصدرية
وهي والفعل بتأويل المصدر الذي يجعل ظرفا كما يقال أول ما لقيت فلانا
سلمت عليه أي في أول أوقات لقيه سلمت عليه وإذا كان معناه أنه قال
له في أول أوقات خلقه هذا القول لم يدل على أنه أول المخلوقات بل هو دليل
على أنه خلق قبله غيره إذ قال له في أول أوقات خلقه ما خلقت خلقا أكرم
علي منك وإن كان قد تحذلق من تحذلق من الجهميين القائلين بوحدة الوجود
وغيرهم ففسروا الإقبال والإدبار بما لا يدل عليه اللفظ فاختلفوا في ذلك
حتى أن صاحب البيد يفسر الإقبال والإدبار بما يرجع محصوله إلى
أصله الفاسد من أن وجوده وجود الحق فمعلوم أن هذا ليس هو قول هؤلاء
الفلاسفة ولكن أرسطو حكى عن بعض قدماء الفلاسفة أنه كان يقول
الوجود واحد ورد ذلك عليه فقول هؤلاء يوافق هذا القول

الذي

الذي لم يرضه هؤلاء الفلاسفة وقد كان صاحب البيد يقول عن صاحب الفصوص
والفتوحات المكية أن كلامه فلسفة ممخرقة أي عفنة فيكون كلامه
هو فلسفة منتنة وسواء كان قولهم أو لم يكن فمعلوم أن اللفظ المذكور لا يدل
عليها فسروه به بوجه من وجوه دلالات اللفظ ولكن هؤلاء سلكوا مسلك
القرامطة الباطنية وهم من المتفلسفة المنتسبين إلى الإسلام وكان ابن
سينا يقول كان أبي من أهل دعوتهم وكذلك قرأت كتب الفلاسفة ومعلوم
أن مقالات هؤلاء من أبعد المقالات عن الشرع والعقل فإنهم يسفسطون
في العقليات ويقرمطون في السمعيات يحرفون الكلم عن مواضعه أعظم
من التحريف الذي عيب به اليهود والنصارى إلا من تقرمط من الإسلاميين
من متفلسفيهم فإنه شبيه بهم وقد علم بالاضطرار أن ما يفسرون به
كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بل وكلام غيرهما ليس داخلا
في مرادهم فضلا عن أن يكون هو المراد بل غالب تفاسيرهم منافية لما أراده
الله تعالى إما من ذلك اللفظ وإما من غيره وإن كان طوائف من المشهورين
بالفقه والتصوف يطلقون هذه العبارات الإسلامية بالتفاسير
الفلسفية القرامطية فقد صرحوا بأن ذلك مأخوذ عن هؤلاء كما ذكر
أبو حامد في كتاب معيار العلم لما تكلم عن الحدود قال ولكنا أوردنا حدودا
مفصلة لتحصل الدربة بكيفية تحرير الحد وتأليفه فإن الامتحان
والممارسة للشيء تفيد قوة عليه لا محالة والثاني لأن يقع الاطلاع
على معاني أسماء أطلقها الفلاسفة وقد أوردناها في كتاب تهافت
الفلاسفة إذ لم يكن مناظرتهم إلا بلغتهم وعلى حكم اصطلاحهم وإذا لم يفهم
ما أوردناه في اصطلاحهم لا يمكن مناظرتهم فقد أوردنا حدود ألفاظ
أطلقوها في الإلهيات والطبيعيات وشيئا قليلا من الرياضيات فلنأخذ هذه
الحدود على أنها شرح الاسم فإن قام البرهان على أن ما شرحوه كما شرحوه
اعتقد حدا وإلا اعتقد شرحا للاسم وإنما قدمنا هذه المقدمة لتعلم أن ما
نورده من الحدود شرح لما أراده الفلاسفة بإطلاق لا حكم بأن ما ذكروه

على ما ذكروه فان ذلك انما يتوقف على النظر فى موجب البرهان عليه فالكل
والمستعمل فى الالهيات اربع عشرة لفظة وهو المسمى بلسانهم المبدأ الاول
وهو البارى تعالى والعقل والنفس والعقل الكلى وعقل الكل والنفس الكلى
ونفس الكل والملك والعلة والمعلول والابداع والخلق والاحداث والقدم
الى ان قال العقل الكلى وعقل الكل والنفس الكلى ونفس الكل وبيانه ان
الموجودات عندهم يعنى الفلاسفة ثلاثة اقسام اجسام وهى اخسها
وعقول فعالة وهى اشرفها لبرائتها عن المادة وعلاقة المادة حتى انها لا
تحرك المواد ايضا الا بالشوق واوسطها النفوس وهى التى تنفعل عن العقل
وتفعل فى الاجسام فهى واسطة ويعنون بالملائكة السماوية نفوس
الافلاك فانها حية عندهم وبالملائكة المقربين العقول الفعالة فالعقل
الكلى يعنون به المعنى المعقول المقول على كثيرين مختلفين بالعدد من المعقول
التى لاشخاص الناس ولا وجود لها فى القوام بل فى التصور فانك اذا ادركت
الانسان الكلى اشرت به الى المعنى المعقول من الانسان فى سائر الاشخاص
الذى هو فى العقل صورة واحدة تطابق سائر اشخاص الناس ولا وجود لعالم
الانسانية واحدة وهى انسانية زيد وهى بعينها انسانية عمرو ولكن
فى العقل تحصل صورة الانسان من شخص واحد مثلا وتطابق سائر
اشخاص الناس كلهم فيسمى ذلك الانسانية الكلية فهذا ما يعنى بالعقل
الكلى واما عقل الكل فينطلق على معنيين احدهما وهو الاوفق للفظ اذ يراد
بالكل جملة العالم فعقل الكل على هذا المعنى بمعنى شرح اسمه ان جملة الذوات
المجردة عن المادة من جميع الجهات التى لا تحرك لا بالذات ولا بالعرض
ولا تتحرك الا بالشوق واخر رتبة هذه الجملة هو العقل الفعال المخرج
للانفس الانسانية فى العلوم العقلية من القوة الى الفعل وهذه الجملة
هى مبادى الكل بعد المبدأ الاول والمبدأ الاول هو مبدع الكل واما الكل
بالمعنى الثانى فهو الجرم الاقصى اعنى الفلك التاسع الذى يدور فى اليوم

لان الكل يطلق على معنيين عم

والليلة

والليلة فيتحرك بحركته كل ما هو حشوه من السموات كلها فيقال الجرم جرم الكل
والحركة حركة الكل وهو اعظم المخلوقات وهو المراد بالعرش عندهم فعقل الكل
بهذا المعنى جوهر مجرد عن المادة من كل الجهات وهو المحرك بحركة الكل
على سبيل التشويق لنفسه ووجوده اول وجود مستفاد عن الاول
ويزعمون ان المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل
فقال له اقبل فاقبل الحديث الى اخره قال واما النفس الكلى فالمراد به
المعنى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فى جواب ما هو اعنى التى كل واحد
منها نفس خاصة لشخص كما ذكرنا فى العقل الكلى ونفس الكل على قياس
عقل الكل جملة الجواهر الغير جسمانية التى هى كالات مدبرة للاجسام
السماوية المحركة لها على سبيل التشويق والاختيار العقلى ونسبة نفس
الكل الى عقل الكل كنسبة انفسنا الى العقل الفعال ونفس الكل هو
مبدأ قريب لوجود الاجسام الطبيعية ومرتبته فى نيل الوجود
بعد مرتبة عقل الكل ووجوده فايض عن وجوده وقد قال ابو حامد
قبل هذا واما العقول الفعالة فهى نمط اخر والمراد بالعقل الفعال
كل ماهية مجردة عن المادة اصلا فحد العقل الفعال اما من جهة
ما هو عقل انه جوهر صورى ذاته ماهية مجردة عن ذاتها عن المادة
لا بتجريد غيرها عن المادة وعن علائق المادة هى ماهية كل
موجود واما من جهة انه فعال فهو جوهر بالصفة المذكورة من
شانه ان يخرج العقل الهيولانى من القوة الى الفعل باشراقه عليه
وليس المراد بالجوهر المتحيز كما يريده المتكلمون بل هو قائم بنفسه
لا فى موضع والصورى احتراز عن الجسم وعن المواد وقولهم لا بتجريد
غيره احتراز عن المعقولات المرتسمة فى النفس من اشخاص
الماديات فانها تتجرد بتجريد العقل اياها لا بتجريد لها بذاتها
اذ العقل الفعال المخرج لنفوس الادميين بالعلوم من القوة الى الفعل
فنسبته الى المعقولات والقوة العاقلة كنسبة الى الابصار

الشمس

والمبصرات والقوة الباصرة اذ بها يخرج الابصار من القوة الى الفعل
وقد يسمون هذه العقول الملائكة وفي وجود جوهر على هذا الوجه نزاع فانهم ٢
المتكلمون اذ لا وجود لقائم بنفسه غير متحيز الا الله وحده والملائكة عندهم
اجسام لطيفة متحيزة عند اكثرهم وتصحيح ذلك بطريق البرهان وما ذكرناه
وشرح الاسم ثم قال حد النفس هو عندهم اسم مشترك يقع على معنى يشترك
فيه الانسان والحيوان والنبات وعلى معنى اخر يشترك فيه الانسان والملائكة
السماوية عندهم فحد النفس بالمعنى الاول عندهم انه كمال جسم طبيعي
آلي ذي حياة بالقوة وحد النفس بالمعنى الاخر انه جوهر غير جسم
هو كمال الجسم متحرك محرك له بالاختيار عن مبدا نطقي اي عقلي
بالفعل وبالقوة فالذي بالقوة هو فصل النفس الانسانية والذي
بالفعل هو فصل للنفس الملكية قلت قوله عنهم ان النفس الكل مبدا
قريب للاجسام الطبيعية فيه كلام بينهم من جهة ان اكثرهم يقولون
ان العقل نفسه هو المبدا للاجسام وكذلك قوله العقول الفعالة
فيه كلام من جهة ان المسمى بالعقل الفعال عندهم هو الاخر العاشر
كما قد بينه انه هو الذي يخرج نفوس الادميين من القوة الى الفعل
وما ذكره عنهم من الفرق بين العقول والنفوس وبين الاجسام بان
تلك مجردة عن المادة والاجسام في المادة مبني على ان للجسم
مادة هي جوهر قائم بنفسه وهو من اعظم الباطل وما ذكروه من
التجريد واحترازهم عن المعقولات بقولهم لا يتجرد بغيره ليقتضي
الاشتراك في مسمى العقل وهذا العقل عرض من الاعراض وذاك جوهر
قائم بنفسه ولا ريب ان كلامهم في اثبات ذلك وان كان مهيبا
عند من لم يمعن النظر فيه فهو عند التحقيق في غاية الفساد والتنا
قض والاضطراب كما قد اوضحناه في غير هذا الموضع وكذلك
ما ذكره عن المتكلمين في المتحيز فان لهم في ذلك نزاعا وفيه

تفصيل

تفصيل ليس هذا موضعه لكن ليس المقصود هنا الان ابطاله وانما له
يقرون بان جعل هذه المعاني الفلسفية مسميات بهذه الاسماء النبوية
هو من كلام هولاء المتفلسفة فاذا وجد مثل ذلك في كلام واحد من هولاء
علم انه احتذى حذوهم لكن يغتر بذلك من قد ينازع في ذلك او
يرتاب فيه او لا يخطر بقلبه لحسن ظنه بمن يتكلم بالعبارات الاسلامية
النبوية انه لا يريد بها ما يعنيه هولاء المتفلسفة وما احسن ما قال شيخ
الاسلام الهروي في من هو احسن حالا من هولاء من اهل الكلام قال
اخذوا مخ الفلسفة فلبسوه لحا السنة وبسبب هذا اضل طوائف
من لم ينكشف له حقيقة مقاصد الناس فلا يفهمون ما يقصده الانبيا
والرسل ولا ما يقصده هولاء حتى يقابلوا بين هذه المعاني وتلك
فيعلمون هل هي متفقة متشابهة ام مختلفة بل متضادة بل قد يحرفون
ما جاءت به الرسل حتى لا يفهم منه المعاني التي قصدوها لمنافقة
لما هم عليه وكذلك يحرفون كلام ائمتهم اذا ظهر المسلمون فيحرفونه
الى ما يقبله المسلمون وكذلك ذكر لكا يشفون لاسرار القرامطة
والا تكون لاستادهم كالقاضي ابي بكر ابن الطيب والقاضي ابي يعلى
وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة من انهم وضعوا
لانفسهم اصطلاحات روجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود
الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالي يعنون
به العقل والنفس ويقولون هو القلم واللوح واصل دينهم ماخوذ من دين
المجوس والصابئين وكذلك السهروردي المقتول كلامه في الباطن ياخذ
من مادة الفلاسفة الصابئين والمجوس وبهذه المعاني يتميز عن غيره
من الفلاسفة المشائية ولهذا يعظم الانوار وهولاء الذين سلكوا مسلك
فارس والروم هم من الداخلين في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
لتاخذن ما اخذ الامم قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يا رسول
الله فارس والروم قال ومن الناس الا هولاء وقد بسطنا ما يتعلق
بهذا في غير هذا الموضع ثم انهم مع اقرارهم بان جعل هذه المعاني

٣ الحلبي

هذه المعاني الصابئة الفلسفية هي مسميات هذه الاسماء النبوية
او التي يقال انها نبوية هو من كلام هؤلاء المتفلسفة يصطحون بذلك
في مواضع اخر فيما يجعلونه من اشرف العلوم والمعارف حتى انهم يجعلونه
من العلوم التي يضن بها على غير اهلها ومن العلم المكنون الذي ينكره اهل الغرة
بالله ولا يعرفه الا اهل العلم بالله وهذا موجود في مواضع كثيرة كما في كتاب
التفرقة بين الايمان والزندقة لما ذكر ان الكفر هو تكذيب الرسول في
شيء مما جاء به وجعل مع ذلك ان التصديق انه ينظر ان الخبر حقيقته
الاعتراف بوجود ما اخبر الرسول بوجوده الا ان للوجود خمس مراتب
ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي والكلام على هاتين المقدمتين
وما في الاولى من التفريط والتقصير عن الحق وما في الثانية من العدوان
والزيادة على الحق له موضع غير هذا لكن المقصود انه قال واما الوجود
العقلي فامثلته كثيرة الى ان قال المثال الثاني قوله عليه الصلاة والسلام
ان الله تعالى خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا فقد اثبت لله تعالى يدا
ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة
او متخيلة يثبت لله تعالى يدا روحانية عقلية اعني انه يثبت معنى
اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها اذ روح اليد ومعناها ما
يبطش به ويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة الملائكة
كما قال عليه السلام اول ما خلق الله العقل فقال به اعطي وبك
امنع ولا يمكن ان يكون المراد بذلك العقل عرض كما يعتقده المتكلمون
اذ لا يمكن ان يكون العرض اول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك
من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره من غير حاجة
الى تعلم وربما يسمى قلما باعتبار انه ينقش به حقائق العلوم
في الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا والهاما
فانه قد روي من حديث اخر ان اول ما خلق الله القلم فان لم يرجع
ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز ان يكون لشيء واحد اسما كثيرة
باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار

نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين خلقه وقلما باعتبار
اضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما سمي
جبرئيل روحا باعتبار ذاته واميناً باعتبار ما اودع من الاسرار
وذا قوة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكينا
عند ذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا
في حق بعض الملائكة وهذا القائل يكون قد اثبت قلما عقليا روحانيا
وخياليا لا كونيا وكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى
اما القدرة واما غيرها كما اختلف فيه المتكلمون فقد جعل تأويل
هؤلاء اليد والقلم والعقل عبارة عن شيء واحد وجعله هو المراد
بذلك عندهم في هذه الاسماء الواردة في الكتاب والسنة وكذلك
قال في كتاب مشكاة الانوار لما تكلم على المشكاة والمصباح والزجاجة
والشجرة والزيت والنار وجعل المشكاة هو الروح الحسي والزجاجة
الروح الخيالي والمصباح هو العقل والشجرة الروح الفكري والزيت
الروح القدسي النبوي الذي يختص به الانبياء وبعض الاولياء وهذا
الكتاب كالمتصرف لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود
وان كان صاحب الكتاب لم يقل بذلك بل قد يكفر من يقول بذلك
لكن ذلك لما فيه من الاجمال تارة ومن التفلسف وابراز مقاصد
الفلاسفة في الالفاظ النبوية وتأويلها عليها تارة ومن المخالفة
لما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع تارة بل ومن المخالفة لما علم
بالعقل الصريح تارة ولما فيه من الامور التي يقولون انها تستلزم قولهم
ولهذا اعظم انكار ائمة الاسلام لهذا الكتاب ونحوه حتى جرت
في ذلك فصول يطول شرحها وقد جعل الكتاب ثلاثة فصول
الفصل الاول في بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم
النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وعاد كلامه الى النور بمعنى الوجود
وقد سلك ابن سينا قبله نحوا من ذلك مما جمع به بين الشريعة

والفلسفة وكذلك سلك ذلك الاسماعيلية الباطنية في كتابهم الملقب
برسائل اخوان الصفا وكذلك فعل ابن رشد بعده ولهذا تجد الاتحادية
يجعلون ظهوره وتجليه في الصور بمعنى وجوده فيها والكلام على
هذا اوسع مذكور في غير هذا الموضع اذ الغرض هنا بيان ما يعلم به من كلامهم
متابعتهم للمتفلسفة الصابئين والتعبير عن تلك المعاني بالفاظ الانبياء
والمرسلين مع العلم من كل من اوتي العلم والايمان بل من كل مؤمن بان ما في هؤلاء من
مخالفة كتب الله ورسله ودينه اعظم مما في اليهود والنصارى بعد النسخ
والتبديل ثم قال الفصل الثاني في بيان المشكاة والمصباح والزجاجة
والشجرة والزيت والنار ومعرفة هذا تستدعي تقديم قطبين يتسع
المجال فيهما الى غير حد محدود الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه
ضبط ارواح المعاني بقوالب الامثلة والثاني في بيان مراتب الارواح البشرية
النورانية اذ بمعرفتها نعرف امثلة القرآن واما الفصل الثالث ففي معنى
قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره وفي بعض الروايات
سبعمائة وفي بعضها سبعين الفا قلت وقد بسطنا الكلام
على هذه الآية واسم الله النور والحجب وما يتعلق بذلك في غير هذا
الموضع وتكلمنا على ما ذكره هو وابو عبد الله الرازي وامثالهما في ذلك
وبينا ان هذا الحديث بهذا اللفظ كذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم باتفاق اهل المعرفة بالحديث لا يوجد في شيء من دواوين الحديث
وذكرنا الحديث الذي في الصحيح حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور او النار
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه وذكرنا

الاحاديث

الاحاديث والآثار في الحجب وكلام السلف والائمة في ذلك وبينا
مخالفة الجهمية من المتفلسفة وغيرهم واتباعهم للنصوص المتواترة في ذلك
مع مخالفتهم للعقل الصريح ولكن من لم يكن له عناية تامة باتباع
المرسلين واقتفاء آثارهم والاهتداء باعلامهم ومنارهم واقتباس
النور من مشكاة انوارهم فانه يجعل الحديث الصحيح ضعيفا والضعيف
صحيحا والمعنى الحق باطلا والباطل حقا صريحا كما يوجد في كلام سائر
الخارجين عن منهاج السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان المبتدعين فيما فارقوا به طريق سلف الامة وائمتها
وسائر اهل السنة والجماعة وهم الطائفة المهدية المنصورة الى قيام الساعة
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة ولما تكلم
صاحب مشكاة صاحب مشكاة الانوار على طريق هؤلاء في الباطن بالفاظ
الكتاب والسنة في الظاهر وان كان قد روي انه رجع عن ذلك
كله ومن الناس من يطعن في اضافة هذه الكتب اليه والمقصود التنبيه
على ما في هذه الكتب المخالفة للكتاب والسنة من الضلال لئلا يغتر بها
وينسب الى المعظمين اقوام جهال قال القطب الثاني في سر التمثيل
ومنهاجه اعلم ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت
حسي وعقلي وان شئت قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما تختلف
باختلاف العبارات فان اعتبرتهما في انفسهما قلت جسماني وروحاني
واذا اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي
واذا اعتبرتهما باضافة احدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي
وربما سميت احدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت
ومن يطلب الحقائق من الالفاظ ربما تحير عند كثرة الالفاظ وتخيل
كثرة المعاني والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني اصلا
والالفاظ تبعا وامر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقائق من
من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم واذا عرفت

معنى العالمية فاعلم ان العالم الملكوتي عالم الغيب اذ هو غائب عن
الاكثرين والعالم الحسي عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم
الحسي مرقاة الى العالم العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة
لانسد طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى حضرة
الربوبية والقرب من الله تعالى فلن يقرب من الله تعالى احد ما لم
يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال
وهو الذي نعنيه بعالم القدس واذا اعتبرنا جملته بحيث لا يخرج منه
شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما
سمينا الروح البشري الذي هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس
ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها اشد امعانا في معاني القدس
ولكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع طبقاتها فلا تظن هذه الالفاظ
طامات عند ارباب البصائر واشتغالي الآن بشرح كل لفظة
مع ذكرها يصدني عن القصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فارجع
الى الغرض فاقول لما كان عالم الشهادة مرقاة الى عالم الملكوت فكان
سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين
وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور
الترقي من احدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة
على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم الا وهو مثال لشيء
في ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت
وربما كان للشيء الواحد من الملكوت امثلة كثيرة من عالم الشهادة
وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة
واحصاء تلك الامثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين
باسرها ولن تفي به القوة البشرية فغايتي ان اعرفك منها انموذجا
لتستدل باليسير على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا
النمط من الاسرار فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر
نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على

الارواح

على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى اربابا ويكون الله تعالى رب
الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري ان يكون
مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب والسالك للطريق اولا ينتهي
الى ما درجته درجة الكواكب فيتضح له اشراق نورها وينكشف له ان
العالم الاسفل باسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويلوح له من
كماله وعلو درجته ما يبادر فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح ما فوقه مما
رتبته رتبة القمر رأى افول الاول في مغرب الهوى بالاضافة الى ما
فوقه فقال لا احب الآفلين وكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس
فيراه اكبر واعلى فيراه قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة
مع ذي النقص نقص وافول ايضا فمنه يقول وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة
لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب فالمنزه
عن كل مناسبة هو الاول الحق الى ان قال فاقول علم التعبير يعرفك
منهاج ضرب الامثال لان الرؤيا جزء من النبوة اما ترى ان الشمس
في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى
روحاني وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الآثار على الجميع والقمر
تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم
عند غيبتها عنه كما يفيض السلطان انواره بواسطة الوزير على
من يغيب عن حضرة السلطان وان من رأى في يده خاتما يختم به
افواه الرجال وفروج النساء فتعبيره انه مؤذن يؤذن قبل الصبح
في رمضان وان من يرى انه يصب الزيت في الزيتون فتعبيره ان
تحته جارية هي امه وهو لا يعرف وباستقصاء ابواب التعبير تزيدك
انسا بهذا الجنس فلا يمكن الاشتغال بعدها بل اقول كما ان في
الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب
فكذلك فيها ما له امثلة اخرى اذا اعتبرت منه اوصافا اخر سوى

النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير
وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى اودية القلوب البشرية مياه
المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم
موجودات تتلقى تلك النفائس ولا بعضهم بعد البعض فمثالها
الوادي وان كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية
تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب ايضا اودية ومفتتح الوادي
قلوب الانبيا ثم العلما ثم من بعدهم فان كانت هذه الاودية دون
الاول ومنه تغترف فبالحري ان يكون الاول هو الوادي الايمن لكثرة
يمنه وبركته وعلو درجته وان كان الوادي الادون يتلقى من
اخر درجات الوادي الايمن فمغترفه شاطئ الوادي الايمن دون
لجته ومبداه وان كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك
الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقفون
من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من
البصيرة فمثال حظ المقلد الخبر ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس
والشهاب فان صاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الاقوال
ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلي بالنار من معه
النار لا من يسمع خبرها وان كان اول منازل الانبيا الترقي الى
عالم القدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك الوادي الوادي
المقدس وان كان لا يمكن وطي ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين
اعني الدنيا والاخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والاخرة
متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما
مرة والتلبس بهما مرة اخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام للتوجه
الى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى الى الحضرة حضرة الربوبية
مرة اخرى فنقول ان كان لتلك الحضرة شي بواسطته تنتقش العلوم

المفصلة

المفصلة من الجواهر القابلة لها فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر
القابلة ما بعضها سابقة التلقي ومنها ما ينتقل الى غيرها فمثاله اللوح
والكتاب والرق والمنشور وان كان لنقش العلوم شي هو مسخر له فمثاله
اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب
ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجد للصورة الانسية نوع
ترتيب على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان يقال
على صورة الرحمن وبين ان يقال على صورة ~~الملك~~ الله لان الرحمة
الالهية هي التي صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم انعم على ادم
فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف ما في العالم حتى كانه كل
ما في العالم او هو نسخة منه مختصرة وصورة ادم اعني هذه الصورة مكتوبة
بخط الله تعالى وهو الخط الالهي الذي ليس برقم حروف اذ تنزه خطه
عن ان يكون رقما وحروفا كما تنزه كلامه عن ان يكون صوتا ولفظا
وقلمه عن ان يكون خشبا وقصبا ويده عن ان تكون لحما وعظما
ولولا هذه الرحمة لعجز الادمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف
نفسه فلما كان هذا من اثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة
الله فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك
وغير حضرة الربوبية ولذلك امر بالعياذ بجميع هذه الحضرات
فقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ولولا هذا المعنى
لكان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورة الرحمن
غير منظوم اللفظ بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ الوارد في
الصحيح الرحمن والان فتمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعي
شرحا طويلا فلنتجاوزه ويكفيك من الانموذج هذا القدر فان هذا
بحر لا ساحل له وان وجدت في نفسك نفورا عن هذه الامثال فانس
قلبك بقوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية
وانه كيف ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والقران والاودية القلوب

ثم قال خاتمة واعتذار لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال
رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع
مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله فاخلع نعليك حاش لله فان ابطال
الظواهر راي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى احد العالمين ولم
يعرفوا الموازنة بينهما ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية
فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما
كامل ولذلك قال عليه السلام للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع وربما
نقل هذا عن علي بن ابي طالب موقوفا عليه بل اقول فهم موسى بخلع النعلين
اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع النعلين وباطنا باطراح العالمين
فهذا هو الاعتبار اي العبور من الشيء الى غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين
من سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب
فيقتني الكلب في بيته ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب
عن كلب الغضب فانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة اذ الغضب
غول العقل وبين من يمتثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس
كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت
الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فلان يجب
حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن شر الكلبية اولى
فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكامل وهو المعني بقولهم
الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولذلك ترى الكامل لا تسمح
نفسه بترك حد واحد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه
مغلطة بسببها وقع بعض السالكين في الاباحة وطي بساط الاحكام
ظاهرا حتى انه ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائما في الصلاة
بسره وهذا سوى غلط من الحمقى الاباحية الذين تأخذهم
الترهات كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن
مشحون بالخبائث وليس يمكن تزكيتها ولا مطمع في استئصال الغضب

٣ الغضب

والشهوة

والشهوة لظنه انه مامور باستئصالها وهذه حماقات وقد ابطلنا جميع ذلك
في كتاب الجام اهل الزيغ والضلالة واما ما ذكرنا فهو كبوة جواد وهفوة سالك
حسده الشيطان فدلاه بحبل غروره ارجع الى حديث النعلين فاقول ظاهر خلع النعلين
منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق
حقيقة واهل هذه المرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة
لان الخيال الذي منه طينته تتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك
وبين الانوار ولكن اذا صفي حتى صار كالزجاجة الصافية صار غير حائل عن الانوار بل
مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح وسيأتيك قصة الزجاجة فاعلم
ان العالم الكثيف الخيالي السفلي صار في حق الانبياء زجاجة ومشكاة للانوار ومصفاة
للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا تعرف ان المثال الظاهر حق ووراءه سر وقس
على هذا الطور والنار قلت ليس المقصود هنا الكلام المفصل على معاني هذا الكلام
وامثاله فان علماء المسلمين قد بينوا من ذلك ما فيه كفاية وقد تكلمنا في غير هذا الموضع
على ما شاء الله من ذلك والكلام الجملي ان مثل هذا الكلام يشتمل على امور باطلة من جهة
النقل كقوله ان في الصحيح ان الله خلق ادم على صفة الرحمن وقوله على صورته ليس
في الصحيح فهذا من باب الباطل فان اللفظ الذي في الصحيح من غير وجه على صورته
واما قوله على صفة الرحمن فيروى عن ابن عمر وفيه كلام قد ذكرناه مع ما قاله
عامة طوائف الناس في هذا الحديث من غير هذا الموضع ويشتمل على امور باطلة وهي في
انفسها مخالفة للشرع والعقل مثل ما فيه من ان ملكا من الملائكة وهو العقل الفعال
مبدع لجميع ما تحته من المخلوقات وان الملائكة يسمونها العقول والنفوس يبدع
بعضها بعضا وان عالم الشهادة هو المحسوسات وعالم الغيب المعقولات وان
تفسير القرآن هو مثل تعبير الرؤيا وامثال ذلك مما هو ليس من قول المسلمين واليهود
والنصارى بل من اقوال الملاحدة من الصابئين والفلاسفة والقرامطة وغيرها
ما هو من جنس الاشارة والاعتبار الذي سلكه الفقهاء والصوفية كما في قوله ان
الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب فانا قيس على تطهير القلب عن الاخلاق الخبيثة
كان هذا من جنس اشارة الصوفية وقياس الفقهاء ومنه ما هو من جنس

٦

خلع النعلين

صورة

صورة

القياس الفاسد كما ذكر من ان موسى امر بخلع النعلين بخلع الدنيا والاخرة وانما نزل
على قلوب اهل المعرفة من جنس خطاب تكليم موسى وتكليمه بهذا باطل باتفاق
سلف الامة وائمتها وهو مبسوط في غير هذا الموضع وكافيه من تعظيم الامر والنهي
وذم من يبيح المحرمات كلام حسن فان اباحامد هو في علم المعاملة والامر والنهي كلامه
من جنس من ها كلام امثاله من اهل التصوف والفقه واما ما سماه هو علم المكاشفة ففي كلامه
فيه الوان فتارة يذكره بصوت اهل الفلسفة وتارة بصوت الجهمية وتارة بصوت هو
من تصويب اهل الحديث والمعرفة وتارة يطعن على هولاء وتارة يذكر ما هو غير ذلك
وكلامنا في هذا الجواب انما كان على فساد ما احتجوا به في قوله اول ما خلق الله العقل
فبينا فساد كلامهم من وجوه الاول فان كلام ابن الجوزي على حديث العقل قد
تقدم حيث بدانا بالحديث وذكرنا ما قال فيه ايمة العلم والنقضا الثاني
ان هولا يجعلون العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة من عالم الخلق بل يفسرون
عالم الخلق بعالم الاجسام بنا على ان الخلق التقدير وان الاجسام هي ذوات المقدورات
ويقولون بنا على اصل هولاء الفلاسفة الفاسد والذي وافقهم عليه هولاء ان العقول
والنفوس ليست اجساما بل هي عالم الامر عندهم كما يقولون ما يذكره ابو حامد في
مواضع من الفرق بين عالم الملك والملكوت والجبروت ويفسرون عالم الملك بعالم
الاجسام وعالم الملكوت بعالم النفوس لانها باطن للاجسام وعالم الجبروت
بالعقول لانها غير متصلة بالاجسام ولا متعلقة بها ومنهم من يعكس وقد يجعلون
الاسلام والايمان والاحسان مطابق لهذه الامور ومعلوم ان ما جاء في الكتاب
والسنة من لفظ الملكوت كقوله تعالى بيده ملكوت كل شيء وقوله صلى الله عليه
في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ولم يرد بهذا باتفاق
المسلمين ولا دل كلام احد من السلف والائمة على التقسيم الذي يذكرونه
بهذه الالفاظ وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك
المعاني التي تلقوها عن الفلاسفة وضعا وضعوه[2] من اللغة والاصطلاح وهذا
لو كانت تلك المعاني التي يذكرها الفلاسفة صحيحة ما جاز بل كان من الكذب
على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم اذ يقال انه ارادها فكيف واكثر

[2] ثم يريدون ان يثبتوا كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما وضعوه

تلك

تلك المعاني باطلة ومضطربة وما يذكرونه من الاقيسة العقلية على ثبوتها اقيسة
ضعيفة بل فاسدة وقد اعترف اساطين الفلاسفة بانها لا تفضي الى اليقين
وكل منهم يعبر عن المعاني الفلسفية بعبارات اسلامية ومنهم من لا يبين لاكثر الناس
ان مراده ذلك ومنهم من يزعم ان تلك المعاني حصلت له بطريق الكشف والمشاهدة
كما يزعمه صاحب الفتوحات المكية واشباهه وقد يقول عن الملائكة انوار
في انوار وانوار في ظلال وانوار في ظلمة والاول هي العقول والثاني هي
النفوس الفلكية والثالث النفوس الطبيعية ومعلوم ان الملائكة الذين وصفهم
الله تعالى في الكتاب والسنة لا ينطبقون على هذه العقول العشرة والنفوس
التسعة التي يذكرونها كما قد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع
ولهذا يوول بهم الامر الى ان يجعلوا الملائكة والشياطين اعراضا تقوم بالنفس
ليست اعيانا قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار ان هذا خلاف
ما اخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون وان كان قد يعني هو بالشيطان المعاني
المتمردة من كل نوع وقد يعني به بعض الناس غيرها وهذا كما يجعلون كلام الله تعالى
ما يفيض على نفس النبي وعند المحقق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي
وسائر النفوس الا من جهة كونها اصفى واكمل وحينئذ فيكون القران كلام النبي
وهذا حقيقة قول الوحيد الذي قال في القران ان هذا الا قول البشر كما قد
بينا في غير هذا الموضع ولهذا يقولون انه لم يسجد لادم الا الملائكة الارضية
ويعنون بالسجود انقياد هذه القوى للبشر كما في جواهر القران قال واما
الافعال فبحر متسع اكنافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله
وافعاله فكل ما سواه فعله لكن القران اشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة
كذكر السموات والارض والكواكب والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال
الماء الفرات وسائر اصناف النبات والحيوان وهي التي تظهر للحس واشرف
افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها ما لا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت
وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب اعني العارف بالله تعالى من جملة
اجزاء الادمي فانها ايضا من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك

[1] من غير ان يثبتوا لله تعالى كلاما خارجا عما في النفس من

القياس الفاسد كما ذكر من ان موسى امر مع خلع النعلين بخلع الدنيا والاخرة وانما نزل
على قلوب اهل المعرفة من جنس خطاب تكليم موسى وتكليمه بهذا باطل باتفاق
سلف الامة وائمتها وهو مبسوط في غير هذا الموضع وما فيه من تعظيم الامر والنهي
وذم من يبيح المحرمات كلام حسن فان اباحامد هو في علم المعاملة والامر والنهي كلامه
من جنس من هو كلام امثاله من اهل التصوف والفقه واما ما سماه هو علم المكاشفة فكلامه
فيه الوان فتارة يذكره بصوت اهل الفلسفة وتارة بصوت الجهمية وتارة بصوته هو
من تصويب اهل الحديث والمعرفة وتارة يطعن على هولاء وتارة يذكر ما هو خير من ذلك
وكلامنا في هذا الجواب انما كان على فساد ما احتجوا به في قوله اول ما خلق الله العقل
فبينا فساد كلامهم من وجوه الاول فان كلام ابن الجوزي على حديث العقل قد
تقدم حيث بدانا بالحديث وذكرنا ما قال فيه ايمة العلم وانفضا الثاني
ان هولاء يجعلون العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة من عالم الخلق بل يفسرون
عالم الخلق بعالم الاجسام بنا على ان الخلق التقدير وان الاجسام هي ذوات المقدورات
ويقولون بنا على اصل هولاء الفلاسفة الفاسد والذي وافقهم عليه هولاء ان العقول
والنفوس ليست اجساما بل هي عالم الامر عندهم كما يقولون ما يذكره ابو حامد في
مواضع من الفرق بين عالم الملك والملكوت والجبروت ويفسرون عالم الملك بعالم
الاجسام وعالم الملكوت بعالم النفوس لانها باطن للاجسام وعالم الجبروت
بالعقول لانها غير متصلة بالاجسام ولا متعلقة بها ومنهم من يعكس وقد يجعلون
الاسلام والايمان والاحسان مطابق لهذه الامور ومعلوم ان ما جاء في الكتاب
والسنة من لفظ الملكوت كقوله تعالى بيده ملكوت كل شيء وقوله صلى الله عليه
في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبريا والعظمة ولم يرد بهذا باتفاق
المسلمين ولا دل كلام احد من السلف والائمة على التقسيم الذي يذكرونه
بهذه الالفاظ وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك
المعاني التي تلقوها عن الفلاسفة وضعا وضعوه[2] من اللغة والاصطلاح وهذا
لو كانت تلك المعاني التي يذكرها الفلاسفة صحيحة ما جاز بل كان من الكذب
على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم اذ يقال انه ارادها فكيف واكثر

[2] ثم يريدون ان ينزلوا كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما وضعوه

تلك المعاني باطلة ومضطربة وما يذكرونه من الاقيسة العقلية على ثبوتها اقيسة
ضعيفة بل فاسدة وقد اعترف اساطين الفلاسفة بانها لا تفضي الى اليقين
وكل منهم يعبر عن المعاني الفلسفية بعبارات اسلامية ومنهم من لا يبين لاكثر الناس
ان مراده ذلك ومنهم من يزعم ان تلك المعاني حصلت له بطريق الكشف والمشاهدة
كما يزعمه صاحب الفتوحات المكية واشباهه وقد يقول عن الملائكة انوار
في انوار وانوار في ظلال وانوار في ظلمة والاول هي العقول والثاني هي
النفوس الفلكية والثالث النفوس الطبيعية ومعلوم ان الملائكة الذين وصفهم
الله تعالى في الكتاب والسنة لا ينطبقون على هذه العقول العشرة والنفوس
التسعة التي يذكرونها كما قد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع
ولهذا يؤول بهم الامر الى ان يجعلوا الملائكة والشياطين اعراضا تقوم بالنفس
ليست اعيانا قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار ان هذا خلاف
ما اخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون وان كان قد يعني هو بالشيطان المعاني
المتمردة من كل نوع وقد يعني به بعض الناس ونظائر هذا كما يجعلون كلام الله تعالى
ما يفيض على نفس النبي وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي
وسائر النفوس الا من جهة كونها اصفى واكمل وحينئذ فيكون القران كلام النبي
وهذا حقيقة قول الوحيد الذي قال في القران ان هذا الا قول البشر كما قد
بينا في غير هذا الموضع ولهذا يقولون انه لم يسجد لادم الا الملائكة الارضية
ويعنون بالسجود انقياد هذه القوى للبشر كما في جواهر القران قال واما
الانعام فبحر متسع اكنافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله
وافعاله فكل ما سواه فعله لكن القران اشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة
كذكر السموات والارض والكواكب والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال
الماء الفرات وسائر اصناف النبات والحيوان وهي التي تظهر للحس واشرف
افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها ما لا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت
وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب اعني العارف بالله تعالى من جملة
اجزاء الادمي فانها ايضا من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك

م[1] غير ان ينتقي الله تعالى كلاما خارجا عما في النفس يعنى حصل

قوله سجدت لادم ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانسان

[illegible]

والشهادة ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانس وهي التي امتنعت عن السجود لادم ومنها الملائكة السماوية واعلاهم الكروبيون وهم العاكفون في حضيرة القدس لا التفات لهم الى الادميين بل لا التفات لهم الى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة حضرة الربوبية وجلالها فهم قاصرون عليه لحاظهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا تستبعد ان يكون في عباد الله تعالى من شغله جلال الله تعالى عن الالتفات الى ادم وذريته ولا يستعظم الادمي الى هذا الحد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ارضا بيضا تسير الشمس فيها ثلاثين يوما هي مثل ايام الدنيا ثلاثين مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله تعالى خلق ادم وابليس رواه بن عباس فاستوسع مملكة الله تعالى قلت فهذا الكلام يستعظمه في بادى الراي او مطلقا من لم يعرف حقيقة ما جاء به الرسول ولم يعلم حقيقة الفلسفة التي طبق هذا الكلام عليها وعبر عنها بعبارات المسلمين فاما قول القائل ان القران اشتمل على الخلق وهي التي ظهرت للحس واشرفها فعالم الامر تعالى مالم يظهر للحس يعني ولم يشتمل القران عليه فهذا مع ما فيه من الغض بالقران وذكر انما له على القسم الناقص دون الكامل وتطرق اهل الالحاد الى الاستخفاف بما جاءت به الرسل هو كذب صريح يعلم صبيان المسلمين انه كذب على القران فان في القران من الاخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك ما لا يخفى على احد وهو اكثر من ان يذكر هنا وفي القران من الاخبار بصفات الملائكة واصنافهم واعمالهم ما لا يهتدي هؤلاء الى عشره اذ ليس عندهم من ذلك الا شي قليل مجمل بل الرسول انما بعث ليخبرنا بالغيب والمؤمن من امن بالغيب واما ما ذكروه من المشاهدات فانما ذكره اية ودلالة وبينة على ما اخبر به عن الغيب فهذا وسيلة وذلك هو المقصود ثم يقال انه انما ذكر الوسيلة يا سبحان الله اذا لم يكن الاخبار عن هذا القسم في هذا الكتاب الذي تحدى الامم كتاب اشرف منه وعلم هذا لا يؤخذ عن الرسول الذي هو افضل خلق الله تعالى في كل شي في العلم والتعليم وغير ذلك ايكون ذكر هذا في كلام ارسطوا وذويه واصحابه ورسائل اخوان الصفا وامثال هؤلاء الذين يثبتون ذلك بالفيسة مشتملة على

دعاوى

دعاوى مجردة لا نقل صحيح ولا عقل صريح بل تشبه الافيسة المطردية الخالية عن التاثير وتعود عند التحقيق الى خيالات لا حقيقة لها في الخارج كما ستقفه عليه وكذلك روح الانسان وقلبه في الكتاب والسنة من الاخبار عن ذلك ما لا يكاد يحصيه الا الله تعالى ثم قوله بعد ذلك ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانسان وهي التي سجدت لادم وزعم ان ملائكة السموات والكروبيين لم يسجدوا لادم هو ابعد قول عن اقوال المسلمين واليهود والنصارى فان القران قد اخبر انه سجد الملائكة كلهم اجمعون فاتى بصيغة العموم ثم اكدها تاكيدا بعد توكيد فليت شعري اذا اراد المتكلم الاخبار عن سجود جميع الملائكة هل يمكنه ابلغ من هذه العبارة لكن من يفسر الملائكة بقوى النفوس لا يستبعد ان يقول مثل هذا والملائكة السماوية عندهم هي النفوس الفلكية والكروبيون على اصطلاحهم هم العقول العشرة ومعلوم ان هذا كله ليس من اقوال اهل الملل اليهود والنصارى فضلا عن المسلمين وقول القائل ان اولئك لا يلتفتون الى الادميين هو من اقوال الفلاسفة الضالين والمشهور عند اهل السنة والجماعة ان الانبياء والاولياء افضل من جميع الملائكة وقد قال عبد الله بن سلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له يا ابا يوسف ولا جبريل ولا ميكائيل فقال يا ابن اخي اوتعرف ما جبريل وميكائيل انما جبريل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر ما خلق الله خلقا اكرم عليه من محمد وثبت بالاسناد الذي على شرط الصحيح عن عبد الله بن عمر انه قال قالت الملائكة يا ربنا قد جعلت لبني ادم الدنيا ياكلون منها ويشربون فاجعل لنا الاخرة كما جعلت لهم الدنيا فقال لا افعل ثم اعادوا عليه فقال لا افعل ثم اعادوا عليه فقال وعزتي لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وروى هذا عبد الله بن احمد في كتاب السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد مرسل والمرسل يصلح للاعتضاد بلا نزاع وقد تكلمت على هذه المسألة بكلام مبسوط كتبناه من سنين كثيرة واما قوله ومنها الشياطين المسلطة على

بجنس الانسان وهي التي امتنعت من السجود فغلط ايضا فانه لم يؤمر بالسجود
من جنس هؤلاء الا ابليس لم يؤمر بالسجود لادم احد من ذريته فكيف يوصفون
بالامتناع المذكور واذا كان رب العباد يسمع كلام عباده ويجيب دعائهم
عند المسلمين فاي نقص على الملائكة اذا استغفروا لهم بل كان من قولهم ان الله
لا يجيب داعيا ولا يقدر على تغيير ذرة في العالم وانما دعا العباد تحرك نفوسهم
في هيولى العالم وان العالم لازم لذاته لا يمكنه دفعه عن هذا اللزوم بل
عامتهم على انه لا يشعر باعيان خلقه واذا كانوا كذلك لم يستنكر لهم ان وجلالهم
يقولوا في الملائكة هذا واما قوله مستغرقون بجمال الحضرة فهذا الكلام من
جنس الطامات فان هذا من جنس ما يسميه بعض الصوفية الفنا وهو استغراق
القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره ومعلوم باتفاق الناس ان حال البقاء
اكمل من الفناء وهذه حال الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
ومعلوم ان الرسل افضل الخلق وهم يدعون العباد الى الله تعالى
ويعلمونهم ويجاهدونهم ويأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
فلو كانت تلك الحال اكمل لكان من لم يرسل اكمل من الرسل وهذا خلاف
دين المسلمين واليهود والنصارى لكنه يوافق دين غالية الصابئة
من المتفلسفة الذين يفضلون الفيلسوف على النبي الرسول وحال الجهمية
الاتحادية الذين يفضلون الولي وخاتم الاولياء على الرسل ومعلوم ان هذا
باطل وكفر عند المسلمين واما قوله لا تستبعد ان يكون في عباد الله من يشغله
جلال الله تعالى عن الالتفات الى ادم وذريته فهذا ليس صفة كمال
بل الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم مع ذلك يدبرون
امر الخلق بما امروا به وقد امر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم فسجدوا
كلهم اجمعون الا ابليس وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
يلهمون التسبيح كما يلهم اهل الدنيا النفس ومعلوم ان النفس لا يشغل
الانسان عما يزاوله من الاعمال فحينئذ كان التسبيح والمشاهدة لجلال الله
تعالى لا يشغلهم عن التدبير الذي وكلوا به وهذا الجمع اكمل لاسيما وهم

يقولون كمال الانسان التشبه بالاله على حسب الطاقة وقد وافقهم
هؤلاء على هذا المعنى وكذلك قولهم في الملاء الاعلى واذا كان ذلك
فمعلوم ان الله لا يشغله ما يفعله عن معرفته وعلمه وذكره بل هو سبحانه
لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين وان
كان قولهم في الله تعالى ليس موافقا لقول المسلمين في علمه وقدرته
ومشيئته فالكلام مع من يذكر مطابقة الكتاب والسنة لقولهم وهذا
لا يكون الا مسلما فلا يمكن ذكر المطابقة مع المخالفة لاصول المسلمين
واما مع من لا يبالي بدين الرسول او يفضل الفيلسوف على النبي فهذا الكلام
مقام آخر يستقصى فيه غير هذا الاستقصاء وكما بسط تناقض اقوالهم
على اصولهم وفسادها على كل صنف في غير هذا الموضع وقد قال الله تعالى
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم
الايات ومعلوم ان حملة العرش ومن حوله من اعظم المقربين من الملائكة
بل قد ذكر من ذكر من المفسرين ان الملائكة المقربين هم حملة العرش
والكروبيون من الملائكة مشتقون من كرب اذا قرب فالمراد وصفهم
بالقرب لا بالكرب الذي هو الشدة كما يظن ذلك طوائف من هؤلاء
ويفرقون بين الكروبيين والروحانيين ان اولئك في عالم الجلال وهؤلاء في
عالم الجمال فان هذا توهم وخيال لم ينقله احد من علماء اهل الملل المسلمين مما
ينقلونه عن الرسل صلى الله عليهم وسلم اجمعين والاحاديث والاثار
في هذا الباب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها والحديث الذي ذكره عن ابن عباس
من الموضوعات المكذوبات باتفاق اهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب
الحديث المعتمدة وانما يوجد هذا الكلام او نحوه في جزء فيه التفكر
والاعتبار لابن ابي الدنيا وايضا فقوله ويعتقد ان من جهة علم

[illegible] على بعض
الكروبيين

الهيئة ان هذا الحديث باطل فاذا كان هؤلاء يفسرون عالم الخلق بعالم
الاجسام وعالم الامر بعالم العقول والنفوس ويزعمون انها ليست
اجساما وعندهم هذا العالم لا يقال فيه انه مخلوق بل هو مبدع بطل
قولهم ان اول مخلوق هو العقل وان كان هذا التقسيم هو خلاف اجماع
المسلمين اذ هم مجمعون على ان الله تعالى خالق كل شيء وان كل ما سواه
فهو مخلوق وصفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه بل القرآن كلام الله
غير مخلوق وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت
الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم
وان كان بعضهم قد نازع في بعض الاعراض كما في افعال العباد التي
تنازع فيها القدرية ولم ينازعوا في الاعيان والملائكة من الاعيان
لا من الاعراض فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين وليس بين اهل الملل
خلاف في ان الملائكة جميعهم مخلوقون ولم يجعل احد منهم المصنوعات
نوعين عالم خلق وعالم امر بل الجميع عندهم مخلوق ومن قال ان قوله تعالى
الا له الخلق والامر يريد به هذا التقسيم الذي ذكره فقد خالف اجماع
المسلمين واما نظارهم الذين يتكلمون بلفظ الجوهر والجسم والعرض
فمتفقون على ان جميع الملائكة اجسام بل متفقون على ان كل ممكن
اما ان يكون جسما او عرضا مع تنازعهم في الجسم هل هو منقسم الى الاجزاء
التي لا تنقسم او غير منقسم وممتنع عندهم وجود قائم بنفسه
وليس بجسم وهم متنازعون في الوجود مطلقا ومن ذكر من المتأخرين
كالشهرستاني والرازي والآمدي ونحوهم انهم تكلموا في حدوث الاجسام
ولم يعتمدوا دليلا على نفي ما ليس بجسم كالعقول والنفوس التي تثبتها
المتفلسفة بل سكتوا عن ذلك فليس الامر كما ذكروا بل قد صرح ائمة المتكلمين
بان نفي ذلك معلوم بالضرورة المستغنية عن الدليل وكثير منهم
يقول ان كل موجودين فاما متباينان او متحايثان وان هذا معلوم
بالضرورة واما الممكنات فمتفقون على ان هذا التقسيم ثابت فيها

او متحايثان

بالضرورة

بالضرورة وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع فان قيل لفظ
الخلق مشترك في اصطلاحهم كما ذكره ابو حامد عنهم فقال وحد الخلق
هو اسم مشترك قد يقال خلق لافادة وجود كيف كان وكذلك قد
يقال خلق لافادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان وكذلك
قد يقال خلق لهذا المعنى الثاني لكن بطريق الاختراع من غير سبق مادة
فيها قوة وجوده وامكانه واذا كان الخلق مشتركا عندهم بين مطلق
الايجاد وبين الايجاد المختص بالاجسام العنصرية امكن ان يحمل
قوله اول ما خلق الله العقل على المعنى الاول وما ذكروه من نفي
الخلق عن العقول والنفوس فهو على الاصطلاح الاخير الذي
قد تكلم بها ابو حامد تارة ذكرا وتارة انشاء قيل لا ريب
ان القوم لهم اوضاع واصطلاحات كما لكل امة ولكل اهل فن
وصناعة ولغتهم في الاصل يونانية وانما ترجمت تلك المعاني بالعربية
ونحن انما نحتاج الى معرفة اصطلاحهم لمعرفة مقاصدهم وهذا جائز
بل قد يجب احيانا كما امر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم
كتاب اليهود وقال لا آمنهم قال البخاري في صحيحه وقال خارجة بن زيد
عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يتعلم كتاب اليهود حتى
كتب للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه واقرأته كتبهم اذا كتبوا اليه
هذا في كتب الاعاجم فكيف بالسنتهم ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحهم
نافعة في معرفتنا مقاصدهم ثم نحكم فيها بكتاب الله تعالى فما وافقه فهو حق
وما خالفه فهو باطل كما قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والاختلاف نوعان نوع في جنس
اللغة كالعربية والفارسية والرومية واليونانية وتارة هي في نوع

فى اصنافها اذ قد يكون فى الالفاظ العرفية العامة والاصطلاحية الخاصة نظيرا فى لغة العرب ولغة هؤلاء المصنفين منهم كانت من هذا النمط فاما الالفاظ التى انزل الله بها القرآن الذى تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واخذوا عنه لفظه ومعناه وتلقى كل ذلك اهل العلم بالكتاب والسنة بينهم خلف عن سلف فهذه لا يجوزون يرجع فى معانيها الى مجرد اوضاعهم ولا ريب ان القوم اخذوا العبارات الاسلامية القرآنية والسنية فجعلوا يضعون لها معانى توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها ويجعلون مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من جنس ما ارادوا فحصل بهذا من التلبيس على كثير من اهل الملة ومن تحريفهم الكلم عن مواضعه ومن الالحاد فى اسماء الله وآياته ما الله به عليم ولهذا قد يوافقون المسلمين فى الظاهر ولكنهم فى الباطن زنادقة منافقون وهذا كما جاؤوا الى لفظ المحدث والقديم فقالوا الاحداث هو مقول يطلق على وجهين احدهما زمانى والآخر غير زمانى فمعنى الاحداث الزمانى الايجاد للشئ بعد ان لم يكن له وجود فى زمان سابق ومعنى الاحداث غير الزمانى هو افادة الشئ وجودا والشئ ليس له فى ذاته ذلك الوجود لا بحسب زمان دون زمان بل بحسب كل زمان وغرضهم بهذا الوضع حتى يطلقوا بين المسلمين ان السموات والارض وما بينهما محدث مخلوق فيظن الظان انهم لا ينازعون فى كون ذلك محدثا مخلوقا ومن العلم الضرورى ان قولهم فيها ليس ما اخبرت به الرسل واتفق عليه اهل الملل وكذلك ايضا قولهم ان الابداع اسم مشترك لمفهومين احدهما تأسيس الشئ لا عن شئ ولا بواسطة شئ والمفهوم الثانى ان يكون للشئ وجود مطلق عن سبب متوسط وله فى ذاته ان لا يكون موجودا وقد افقد الذى فى ذاته افقادا تاما قالوا وبهذا المفهوم العقل الاول مبدع فى كل حال لانه ليس وجوده من ذاته فله فى ذاته العدم وقد افقد افقادا تاما ومعلوم ان هذا

المعنى

المعنى ليس هو معروف من لفظ الابداع فى اللغة التى نزل بها القرآن كما فى قوله تعالى بديع السموات والارض ونحو ذلك ولفظ الخلق ابعد عن هذا المعنى فان هذا المعنى يعلم بالاضطرار انه ليس هو المراد بلفظ الخلق فى القرآن والسنة وقد فسروا لفظ الخلق بثلاثة معان ليس فيها واحد هو المراد فى كلام الله تعالى ورسوله والمؤمنين فان ما يذكرونه من اثبات وجود الملائكة بالمعنى الاول وما يذكرونه فى اختراع الافلاك والعناصر بالمعنى لم يرد واحدا منها الانبياء والمؤمنون وذلك معلوم بالاضطرار والتواتر والاجماع واما المعنى الثانى فكذلك فليس فى كلام الرسل ما يثبت ان الخلق حاصل فى اجسام هى مادة وصورة بل كلامهم لا ينفى ذلك وهذا بين فانه تبين ان اهل الملل متفقين على ان الله تعالى خلق الملائكة لا يريدون خلقهم بالمعنى الاول وهو الذى يريده الفلاسفة كما فى قوله تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وقد اخبر الله تعالى فى كتابه ان من اعمال الملائكة وعباداتهم وحركاتهم واصنافهم ما ينافى اصولهم ويبطلها وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وقد بين فى غير هذا الموضع ان قولهم بصدور العقول والنفوس عنه هو نظير من جعل له بنات وبنين كما قال الله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وتبين ايضا ان قولهم تولد

ذلك عنه هو كقول من يقول بتولد الملائكة او المسيح عنه وقد قال الله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا الاية وقال
الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه الاية وقال الله تعالى
وله من في السموات والارض الاية وقال الله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وهذا باب واسع
ليس هذا موضع تقريره بسطناه في غير هذا الموضع واما خلق السموات
والارض فقد نص القران والتوراة انه خلق ذلك في ستة ايام
وتواترت بذلك الاحاديث ثم اتفق عليه اهل الملل فكيف يجوز ان يفسر
بالاختراع اللازم لذاته من غير سبق مادة كما ذكره في المعنى الثالث
ولفظ الخلق المذكور في القران يتضمن معنيين كلاهما يناقض قولهم
يتضمن الابداع والانشاء المعروف ويتضمن التقدير وعندهم العقول
والنفوس ليس لها مقدار ولا هي ايضا مبدعة الابداع المعروف والسموات
ليست مبدعة الابداع المعروف وقد قال الله تعالى وخلق كل شيء
فقدره تقديرا والملائكة عندهم لم تقدر ولم تخلق الخلق المعروف
عند المسلمين باللغة التي خوطبوا بها فهذا اصل الاصل الثاني ان
يقال لفظ الخلق المذكور في القران ليس مشتركا بالضرورة والاتفاق
ولم يقل احد من المسلمين ان قوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور
وخلق ابليس من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم يدل على معان
متباينة كلفظ العين والقرء ونحو ذلك فان زعموا ان لفظ الخلق في القران
والسنة متضمن للتقدير حتى يفرقوا بين عالم الخلق والامر بطل قولهم
اول ما خلق الله العقل فانه على هذا الاصطلاح لا يكون مخلوقا وان زعموا
انه يتضمن الايجاد كيف ما كان بطل تقسيمهم لعالم الخلق وعالم الامر
ومنعهم ان تكون الملائكة مخلوقة مع ان فساد هذا معلوم

بالاضطرار من دين المسلمين فانه ليس لاحد ان يقول ان الملائكة ليست
مخلوقة ولا يقبل منه تفسير ذلك بحال مع النفي وهذا يدل على
منافقتهم للرسل ايضا مع كثرة ادلة ذلك الوجه الثالث
ان هؤلاء يدعون ان العقل الاول صدر عنه جميع ما تحته فصدر عنه
عقل ونفس وفلك وعن العقل عقل ونفس وفلك الى العقل الفعال
فانه صدر عنه جميع ما تحته من المواد والصور ويسمون هؤلاء الارباب
الصغرى والالهة الصغرى ومعلوم بالاضطرار من دين جميع
اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ان شيئا من الملائكة ليس
هو فاعلا لجميع المصنوعات ولا انه مبدع لجميع ما تحت فلك القمر
بل قد قال الله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وقال الله تعالى وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى
وقال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا وقال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقال الله تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا الاية وقال الله تعالى وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته
مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي
الظالمين وقال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان
دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات

والأرض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم
القيمة فردا ولأن ما تتفق عليه اهل الملل من ان الملائكة سجدوا
لآدم من قول هؤلاء ان اضعف العقول التى هي التى هي الملائكة عندهم
هو مبدع من جميع البشر ورب كل ما تحت فلك القمر الوجه الرابع
ان من تدبر الكتب المصنفة فى العقل لاهل الآثار تبين له تحريف هؤلاء

[حاشية: قوله اضعف العقول الخ ... [illegible]]

مع ضعف الأصل ومن اشهرها كتاب العقل لداود ابن المحبر وهو قديم فى اوائل
المائة الثالثة روى عنه الحرث ابن ابى اسامة ونحوه وكذلك مصنفات اخرى
رووا فيها عن ابن عباس انه دخل على ام المؤمنين عائشة فقال يا ام المؤمنين
ارأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده ايهما احب
الى الله قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتنى فقال احسنهما
عقلا قلت يا رسول الله انما اسألك عن عبادتهما فقال يا عائشة
انهما لا يسألان عن عبادتهما انما يسألان عن عقولهما فمن كان اعقل كان
افضل فى الدنيا والآخرة ورووا فيها عن البراء ابن عازب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لكل انسان سبيل مطية ونية ومحجة
واضحة وانقى الناس مطية واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة
افضلهم عقلا ورووا فيها عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليكون من اهل الصيام واهل الصلاة واهل الحج واهل
الجهاد فما يجزى يوم القيمة الا بقدر عقله وعن على قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لقد سبق الى جنات عدن اقوام ما كانوا باكثر الناس
صلاة ولا صياما ولا حجا ولا عمرة ولكنهم عقلوا عن الله تعالى مواعظه
فوجلت منه قلوبهم واطمأنت اليه النفوس وخشعت منهم الجوارح
ففاقوا الخليقة بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس فى الدنيا وعند
الله فى الآخرة فهذه الأحاديث ونحوها هى مما روى بالاسانيد
فى العقل وفى ضمن هذه الاحاديث ونحوها رووا الحديث المتقدم

اول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر فقال
وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم علىّ منك فبك آخذ وبك اعطى ولك
الثواب وعليك العقاب فهل يشك من سمع هذه الاحاديث ان المراد بذلك
عقل الانسان ليس المراد ما هو اعظم المخلوقات الموجودات بعد البارى عندهم
وهو عندهم ابدع كل ما سواه وان الاستدلال بهذا الحديث ونحوه على ارادة
هذا المعنى من اعظم الضلال وابعد الباطل والمحال هذا لعمرى لو كان ذلك
ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال ابو حاتم ابن حبان
البستى لست احفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا صحيحا
فى العقل الا ان ابان ابن ابى عياش وابن وردان وعمر بن عمرو بن سالم
بن عمران وعلى بن زيد والحسن بن دينار وعباس ابن كثير وميسرة بن عبد ربه
وداود بن المحبر ومنصور بن شقير وذويهم كلهم ضعفاء هذا مع ان ابا حاتم
مع فضيلته وبراعته وحفظه كان يتهم بان فى كلامه من جنس الفلسفة
اشياء حتى جرت له بسبب ذلك قصة معروفة عند العلماء بحاله وقد
تقدم كلام سائر اهل المعرفة فى حديث العقل وانهم على ضعفها
كما قال ابو الفرج ابن الجوزى وقد قال ابو الفرج بن الجوزى فى ذم
الهوى وغيره المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل العقل
كثير الا انه بعيد الثبوت وقال ابو جعفر العقيلى لم يثبت فى هذا المتن
شيء من هذا النحو وهذا الذى قاله هما ونحوهما معروف لمن كان له خبرة
بالآثار بل لفظ العقل اسم ليس له وجود فى القرآن وانما يوجد ما تصرف
منه نحو يعقلون وتعقلون وما يعقلها الا العالمون وفى القرآن الأسماء
المتضمنة له كالحجر والنهى والألباب ونحو ذلك وكذلك فى الحديث لا يكاد
يوجد لفظ المصدر فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح
الا فى مثل الحديث الذى فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اضحى او فطر الى المصلى فمر على النساء
فقال يا معشر النساء تصدقن فانى رأيتكن اكثر اهل النار فقلن وبم

يا رسول الله فقال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات
عقل ودين أذهب للب الرجل من إحداكن قلن وما نقصان عقلنا وديننا
يا رسول الله فقال أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قلن بلى
قال هذا من نقصان عقلها قال فإذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال هذا
من نقصان دينها وهذا الحديث ونحوه لا ينقض ما ذكره الحافظ أبو حاتم وأبو
الفرج والعقيلي وغيرهم إذ ليس هو في فضل العقل وإنما ذكر فيه نقصان
عقل النساء وذلك أن العقل مصدر عقل يعقل عقلا إذا ضبط وأمسك
ما يعلمه وضبط المرأة وإمساكها لما تعلمه أضعف من ضبط الرجل وإمساكه
ومنه سمي العقال عقالا لأنه يمسك البعير ويحبسه ويضبطه وقد نبه النبي
صلى الله عليه وسلم ضبط القلب للعلم بضبط العقال للبعير فقال في الحديث
المتفق عليه استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم
في عقلها وقال مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وإن
أرسلها ذهبت وفي الحديث الآخر اعقلها وتوكل أو أرسلها فقال بل اعقلها وتوكل
فالعقل والإمساك والضبط والحفظ ونحو ذلك ضد الإرسال والإطلاق والإهمال
والتسييب ونحو ذلك وكلاهما يكون بالجسم الظاهر للجسم الظاهر ويكون
بالقلب الباطن للعلم الباطن للعلم الباطن فهو ضبط العلم وإمساكه وذلك مستلزم
لاتباعه ولهذا صار لفظ العقل يطلق على العمل بالعلم كما قد بسطنا الكلام
على مسمى العقل وأنواعه في غير هذا الموضع إذ الغرض هنا بيان كذب هؤلاء
على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم الوجه الخامس أن العقل
في لغة المسلمين كلهم أولهم عن آخرهم ليس ملكا من الملائكة ولا جوهرا قائما
بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان ولم يسم أحد من المسلمين قط أحدا
من الملائكة عقلا ولا نفس الإنسان الناطقة عقلا بل هذه من لغة اليونان
ومن المعلوم أن حمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كلام الله تعالى
على ما لا يوجد في لغته التي خاطب بها أمته ولا في لغة أمته وإنما توجد في
لغة أمة لم يخاطبهم بلغتهم ولم تخاطب أمته بلغتهم فهذا يبين أن الذين

وضعوا الأحاديث التي رويت في ذلك ليس المراد بها عند واضعيها ما يثبته
الفلاسفة من الجوهر القائم بنفسه فهؤلاء لا يستدلون بهذا على قول
المتفلسفة فكأنهم لم يفهموا كلام الكاذبين الواضعين للحديث بل حرفوا معناه كما
حرفوا اللفظ فإذا كان هذا حالهم في الحديث الذي استدلوا به فكيف في غيره
فتبين أن استدلالهم باطل قطعا الوجه السادس أن العقل في الكتاب والسنة
وكلام الصحابة والأئمة لا يراد به جوهرا قائما بنفسه باتفاق المسلمين
وإنما يراد به العقل الذي في الإنسان الذي هو عند من يتكلم في الجوهر والعرض
من قبيل الأعراض لا من قبيل الجواهر وهذا العقل في الأصل مصدر عقل يعقل
عقلا كما يجيء في القرآن وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا
العالمون أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون
بها ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون صم بكم
عمي فهم لا يعقلون وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وهذا
كثير وهذا مثل لفظ السمع فإنه في الأصل مصدر سمع يسمع سمعا وكذلك
البصر فإنه مثل الإبصار ثم يعبر بهذه الألفاظ عن القوى التي يحصل بها الإدراك
فيقال للقوة التي في العين بصر وللقوة التي يكون بها السمع سمع وبهذين
الوجهين يفسر المسلمون العقل ومنهم من يقول العقل هو من جنس العلم
كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني وأبو الطيب الطبري وأبو يعلى ابن الفراء
وغيرهم ومنهم من يقول هو الغريزة التي بها يعلم العلم كما نقل ذلك عن أحمد
ابن حنبل والحارث المحاسبي ويدخل ذلك في العقل العملي وهو العمل
بمقتضى العلم وأما تسمية الشخص العاقل عقلا أو الروح عقلا فهذا
وإن كان يسوغ نظيره في اللغة فقد يسمون الفاعل الشخص بالمصدر
فيسمى عدلا وصوما وفطرا فليس هذا من الأمور المطردة في كلامهم فلا
يسمون الآكل والشارب أكلا وشربا ولو كان ذلك مما يسوغ في القياس
بحيث يجوز أن يسمى كل فاعل باسم مصدره فهذا إنما يسوغ في الاستعمال
لا في الاستدلال فليس لأحد أن يضع هو مجازا بنفسه يحمل عليه كلام الله

تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام من تكلم قبله والمقصود بالكلام
هو فهم مراد المتكلم سواء كان لفظه يدل على المعنى وهو الحقيقة او لا يدل
الا مع القرينة وهو المجاز فليس لاحد ان يسمى الجوهر القائم بنفسه عقلا ثم يحمل
عليه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم بالاضطرار لمن يعرف لغة النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين الذين يتكلمون بلغته ان هذا ليس هو مراد النبي
صلى الله عليه وسلم في اسم العقل فليس هذا مراد المسلمين باسم العقل ولا
يوجد ذلك في استعمال المسلمين وخطابهم فاذا كان كذلك لم يجز ان يتمسكوا
بشيء من كلام الرسول الذي فيه لفظ العقل لو كان ثابتا على اثبات الجوهر
الذي يسمونه عقلا ومن تدبر ما يوجد من كلام المسلمين عامهم وخاصهم
سلفهم وأئمتهم وفقهائهم ومحدثيهم وصوفيتهم ومفسريهم ونحاتهم ومتكلميهم
لم يجد في كلام احد منهم لفظ العقل مقولا على ما يزعمه هؤلاء من المتفلسفة
ولا على ما يقال انه ملك من الملائكة ولا يسمون احدا من الملائكة عقلا ولا الله
تعالى عقلا الا من اخذ ذلك عن الفلاسفة هذا مع انه مذكور في كتب الاصول
والكلام في ذلك فيه من النزاع اقوال كثيرة تنازع فيها اهل الكلام واهل
النظر المنتسبين الى الاسلام ثم ان قول المتفلسفة عندهم قول آخر واعلم
ان المقصود في هذا المقام ان لفظ العقل لا يعبر عن جوهر قائم بنفسه لا عن ملك
ولا غيره في عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين
وسائر علماء المسلمين فلا يجوز ان يحمل شيء من كلامهم المذكور فيه لفظ العقل
على مراد هؤلاء المتفلسفة بالعقول العشرة ونحو ذلك فينقطع دابر
من يجعل لهم عمدة في الشريعة من هذا الوجه ثم بعد لهذا النزاع بين
الناس في فرعين احدهما ان العقل هو الانسان ما هو الثاني ان ما
يعنيه الفلاسفة بلفظ العقل هل له وجود ام لا وقد ذكروا في كتب
الاصول النزاع في ذلك جملة كما يذكره القاضي ابو بكر بن الباقلاني والقاضي
ابو الطيب والقاضي ابو يعلى وابو الوفاء ابن عقيل وابو المعالي

الجويني

الجويني وابو الخطاب وابو الحسن ابن الزاغوني والقاضي ابو بكر بن العربي
المعافري واكثر اهل الكلام فان هؤلاء يختارون ان العقل الذي هو مناط
التكليف هو ضرب من العلوم الضرورية كالعلم باستحالة اجتماع الضدين
وكون الجسم في مكانين وتنقصان الواحد عن الاثنين والعلم بموجب
العادات فاذا اخبره مخبر بان الفرات يجري براهم لم يجوز صدقه ومن
اخبر بنبات شجرة بين يديه وحمل ثمره وادراكها في ساعة واحدة
لا ينتظر ليأكل منها واذا اخبر بان الارض تنشق ويخرج منها فارس بسلاح
يقتله لا يهرب فزعا فاذا حصل له العلم بذلك كان عاقلا ولزم التكليف
ثم قد نقل عن طوائف من الائمة والعلماء ما يقتضي انه القوة التي يعقل بها وعن
طوائف ما يقتضي انه قد يكون مكتسبا فروى ابو الحسن التميمي عن ابراهيم
في كتاب العقل عن محمد بن احمد بن مخزوم عن ابي الحسن التميمي الحربي عن
احمد بن حنبل انه قال العقل غريزة والحكمة فطنة والعلم سماع والرغبة
في الدنيا هوى والزهد فيها عفاف وقد فسر القاضي ابو يعلى ذلك بان
قوله غريزة انه خلق الله ابتداء وليس باكتساب انما هو فضل من الله
وذكر عن ابي الحسن التميمي انه قال في كتاب العقل العقل ليس بجسم ولا صورة
ولا جوهر وانما هو نور فهو كالعلم وعن بعضهم انه قال هو قوة يفصل بها
بين حقائق المعلومات وعن ابي بكر بن فورك انه قال هو العلم الذي يمتنع به
عن فعل القبيح وعن بعضهم انه ما يحسن معه التكليف ثم قال القاضي ومعنى ذلك
كله متقارب ويكون ما ذكرناه اولى لانه مفسر خلافا لما حكي عن قوم من
الفلاسفة انه اكتساب وقال قوم هو عرض مخالف لسائر العلوم والاعراض وعن
قوم هو مادة طبيعية وقال الاخرون هو جوهر بسيط قلت وبعض هذه الاقوال
التي خالفها هي نحو من الاقوال التي جعلها متقاربة فان من قال هو العلم الذي
يمتنع به من فعل القبيح لم يجعل العقل الذي هو مناط التكليف الذي يفرق به بين
العاقل والمجنون الذي حدوه هم وجعلوه ضربا من العلوم الضرورية بل هذا
هذا العقل هو من مناط النجاة والسعادة وهو من العقل الممدوح الذي صنفت

وذكر عن ابي محمد البربهاري انه قال ليس العقل باكتساب صح

الكتب في فضله والذي حدوده اولا قد يفيض صاحبها انواع المنافع ويكون
ممن قيل فيه لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ولفظ العقل الممدوح
قد يكون اكتسابا وايضا من قال هو عرض مخالف لسائر العلوم والاعراض فقوله
موافق لقول من قال هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وقول احمد هو غريزة
يتناول هذه القوة ولهذا افرق بين ذلك وبين العلم وابو الحسن التميمي قال
هو كالعلم ولم يقل هو من العلم فههنا امور احدها علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون
الذي رفع القلم عنه وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذه اضافها مناط التكليف
والثاني علوم مكتسبة تدعو الانسان الى فعل ما ينفعه وترك ما يضره فهذه
ايضا لا نزاع في وجوده وهو اخص بها يحمد بها عند الله من العقل ومن عدم هذا
ذم وان كان من الاول وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه
هذا النوع وقد عدمه من قال لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
الثالث العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل ايضا بل هو من اخص ما يدخل في اسم العقل
الممدوح وهذان النوعان لم ينازع الاولون في وجودهما ولا في انهما يسميان
عقلا ولكن قالوا كلامنا في العقل الذي هو مناط التكليف للفرق بين العاقل
والمجنون وهذا لا يدخلان في ذلك فالنزاع بينهما لفظي الامر الرابع
الغريزة التي بها يعقل الانسان فهذه ما تنوزع في وجودها فانكر كثير من
الاولين ان يكون في الانسان قوة يعلم بها غير العلم او قوة يبصر بها غير البصر
او قوة يسمع بها غير السمع وجعلوا اثبات ذلك من جنس قول الفلاسفة والطبائعية
الذين يجعلون في الاشياء قوى يفعل بها وقد بالغ في ذلك منهم القاضي
ابو بكر ابن العربي في العواصم والقواصم واصل ذلك تقريرهم ان الله تعالى خالق
كل شيء لا خالق غيره وهذا مذهب سلف الامة وائمتها وسائر اهل السنة والجماعة
وهو احسن ما امتاز به الاشعري عن طوائف المتكلمين وبالغ في ذلك حتى جعل
اخص اوصاف الرب القدرة على الاختراع ومن زعم ان هذا معنى الالوهية وفي
الاصل رد على القدرية القائلين بان الله تعالى لم يخلق افعال العباد

وعلى الفلاسفة واتباعهم من اهل النجوم والطبع القائلين بنا على غير الله لكن
زاد من زاد منهم في ذلك اشياء ليست من السنة بل تخالف السنة حتى ردوا
بدعة ببدعة فدخل بعضهم في اثبات الجبر الذي انكره السلف والائمة
حتى توسل بذلك قوم الى اسقاط الامر والنهي والوعد والوعيد وانكرت
انكر منهم ما جعله الله تعالى يحدث الشبع والري عند وجود الاكل والشرب
لا بهما وكذلك يحدث النبات عند نزول المطر لا به ونحو ذلك وهذا خلاف
ما جاء به الكتاب والسنة قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء
فاخرجنا به من كل الثمرات وقال الله تعالى وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا
به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وقال فاحيينا به بلدة ميتا وقال الله
تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ومثل هذا كثير ونفي هذه الاسباب ان تكون اسبابا في الامور المخلوقة
هي شبيه بنفي طوائف من المتصوفة ونحوهم لما يؤمرون به من اعمال القلوب وغيرها
من الامور المشروعة نظرا الى القدر ودعوى التوكل كما قد بسطنا الكلام في ذلك
في غير هذا الموضع ولهذا قال من نظر في هذين الاغراقين كابي حامد الغزالي
وابي الفرج ابن الجوزي وغيرهما في كتاب التوكل اعلم ان الالتفات الى الاسباب
شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض
عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والسلف والائمة متفقون على اثبات
هذه القوى فالقوى التي بها يعقل كالقوى التي بها يبصر والله تعالى خالق ذلك
كله كما ان العبد يفعل ذلك بقدرته بلا نزاع منهم والله تعالى خالق القدرة وخالق
قدرته فانه لا حول ولا قوة الا بالله والحول اسم لكل تحول من حال الى حال والقوة
عام في كل قوة على الحول فنفي القوة كنفي الحول وقد بسطنا الكلام في غير هذا
الموضع فيما يقع من الاشتباه والنزاع في قدرة العبد هل هي مؤثرة في الفعل
او في بعض صفاته او غير مؤثرة بحال وقد وقع تسمية هذه القوة عقلا
في كلام طوائف منهم ابو المعالي الجويني في اصول الفقه ان العقل معنى يدرك
به العلم وجملة صفات الحي وكان يقول في التلخيص من يثبت سمة ادراك النفس

ذكر

وقد خالفه صاحبه أبو القاسم الأنصاري وقال هذا فيه نظر فإن عليه وقال
المحققون من أئمتنا العقل هو العلم بدليل أنه لا يقال عقلت وما علمت أو علمت
وما عقلت وإن كان فرق بين اللفظين في إطلاق أهل اللغة وتخصيصهم بعضها
كان أبى العالم في الحقيقة ذو العلم سواء كان العلم علم الشريعة والدنيا وغيره
من العلوم فإذا أطلق مطلق فقال رأيت العلماء أو جاءني عالم فلا يفهم من إطلاقه
أصحاب الحرف والصناعات بل لا يفهم منه إلا علماء الشريعة وكذلك العقل إذا
أطلق فإنما يراد به عقل التكليف والصبا به يمكن التمييز والاستدلال على ما
وراء المحسوس ويخرج به عن حد المعتوهين وتسميه العقلاء عاقلا وقول
أبي الحسن وإنما قال لأن النمل تراه ينسج أشكالا مسدسة يعجز عنه كثير من
العقلاء وكذلك غيره من الحيوان ولا يجعل لهذا قال العاقل من تسميه العقلاء
عاقلا والعقل المعتد به إنما هو جنس العلم ولهذا قال الشافعي رحمة الله عليه
الحمام أعقل الطائر يعني به أكيس الطير وقد ذكر أيضا أبو بكر بن فورك عن الأئمة
في العقل أقوالا ثم زيفها وحملها على محامل فنقل عن الشافعي وأبي عبد الله بن مجاهد
أنهما قالا العقل آلة التمييز وحكي عن أبي العباس القلانسي قال العقل قوة التمييز
وعن الحارث المحاسبي أنه قال العقل أنوار وبصائر ثم قال الوجه أن لا يصح نقل
عن هؤلاء الأئمة فإن الآلة تستعمل في الأجسام المبنية واستعمالها في الأعراض
مجاز على أنا نقول لكل حاسة من الحواس آلة التمييز وليست عقلا ولا المؤمنون
بها عقلاء والكفار معهم عقول ومعهم آلة التمييز ثم لا يميزون بين الحق والباطل
فإن قالوا أردنا بذلك أنه يصح بها التمييز والاستدلال والكفار يصح منهم
ذلك قلنا هذا يبطل بالدليل والنظر وقول الرسول والمفتي فإن كل واحد
ممن ذكرنا يميز به بين الأحكام وليس ذلك من العقل في شيء فإن صحت هذه
الحكاية فإن المعني بها ما يقع به التمييز ويمكن معه الاستدلال على ما وراء المحسوس
والخلاف يرجع إلى العبارة قال والشافعي رحمه لم يسلك مسالك المتكلمين
ولم يراع ما راعوه وكذلك لا يعقل من القوة إلا القدرة والقلانسي أطلق
ما أطلقه توسعا في العبارة وكذلك المحاسبي والعقل ليس ببصيرة ولا نور
ولكن يستفاد به الأنوار والبصائر قال أبو القاسم الأنصاري ولا اختلاف

بين

بين أصحابنا في المعنى فقد سمى الله تعالى الإيمان نورا فقال أفمن شرح الله صدره
للإسلام فهو على نور من ربه وشيخنا الإمام يعني أبا المعالي أطلق ما أطلقه توسعا
ولو كان العقل معنى يدرك به العلم فما العلم الذي يدرك بالعقل فكيف يتميز
أحدهما عن الآخر لا سيما والعلم عنده خارج عن قبيل الاعتقاد قلت لا يخفى
ما في هذا الكلام من الغض عن الأئمة الذين هم أحق بالحق منهم وكل منهم يريد
القوة التي جعل الله بها العلم والعمل لم ينكرها من المعتد الأمين وأفق هو لا
على تفريط وقول الشافعي وأحمد والمحاسبي ومن وافقهم قول واحد وإنما ردوا قولهم
بالباطل فأما قوله إن الآلة إنما تستعمل في الأجسام وهي في الأعراض مجاز
فيقال له هذا ممنوع ثم الشافعي إنما استعملها مقيدة بالإضافة فلو كانت عنده
عند الإطلاق لا تتناول الأجسام لكانت مع الإضافة التي ذكرها كقولهم إبرة
الذراع وأرنبة الأنف وإنسان العين وقلب الأسد وقلب العقرب ونحو ذلك
مما أحدثت فيه الإضافة فمن الناس من يقول هذا مجاز والمحققون يقولون إن
هذا وضع جديد لم يستعمل فيه اللفظ في غير موضوعه إذ هذا المضاف لم يكن موضوعا
لغير هذا المعنى ثم هب أن كان مجاز فأي عيب في ذلك إذا ظهر المقصود ومن الذي
قال إن الحد والدليل لا يستعمل فيهما المجاز المقرون بما يبين معناه ما ليس حد وأما
قوله كل حاسة من الحواس على طريقة من يفرق بين الحد والرسم وأما من يجعل المقصود
بالحد هو التمييز بين المحدود وغيره كما هو مذهب المتكلمين فالجميع عنده حد
وأما قوله كل حاسة من الحواس آلة التمييز فليس كذلك لأن الحاسة لا تميز بين
الأشياء بل مجرد السمع الذي يدرك الصوت ثم الحكم على الصوت فإنه غير
اللون يعرف بغير الحاسة وهو العقل وبه يعرف غلط الحس إذ الأحول يرى
الواحد اثنين والممرور يجد الحلو مرا لكن العقل به يميز سلامة الحس من فساده
إذا استقر عنده ما يعرف بالحس السليم فإذا رأى من حسه ما يدرك خلاف ذلك
علم فساده ونظر في سبب فساده وكذلك المجنون قد يرى أحمر وأحمر وأبيض وأبيض ولا يميز
بين الدينار والدرهم وغيره ولا بين الأيام ولا بين ثوبه وثوب غيره ونعله
ونعل غيره مع وجود حسه وأما الكفار فلهم التمييز الذي يصح معه التكليف

الذى فيه فارقوا المجنون وليس من شرط عقل لكل تمييز كل حي من كل باطل
بل هذا لا يوجد لعامة الخلق وانما نعضد بالدليل والنظر فلذلك يميز بين بعينه
ليس هو الذى لكل تمييز فيه يميز بين دليل ودليل ونظر ونظر واما قول ابى القاسم
لو كان العقل معنى يدرك به العلم فبم يميز العلم عنه فقول ضعيف فانه اذا كان
يميز بين انواع العلم فيميز بين الضرورى وغيره وما يحصل بالحواس وغيره كيف لا
يميز بينه وبين القوة التى يحصل بها كما يميز بين الابصار وبين قوة البصر
فانا نعلم ان فى العين قوة فارقت بها قوة اليد حتى كان هذه يرى بها وهذه
لا يرى بها ونعلم ان فى العاقل قوة فارق بها المجنون حتى كان هذا يعقل وهذا
لا يعقل وان قدر انه ساه عن العلم وعمدة جمهور الذين قالوا ليس العقل الا
ضرب من العلوم الضرورية انهم قالوا ليس بجوهر لان الدليل قد دل على ان الجواهر
كلها من جنس واحد خلافا للملاحدة فى قولهم مختلفة لان معنى المثلين ما سد
احدهما مسد الاخر وناب منابه والجواهر على هذا لان كل واحد منهما متحيز وساكن
وعالم فلو كان العقل جوهرا لكان من جنس العاقل ولا يستغنى العاقل بوجود
نفسه فى كونه عاقلا عن وجود مثله وما هو من جنسه وقد ثبت انه ليس يعقل
بنفسه فمحال ان يكون عاقلا بجوهر من جنسه ولانه لو كان جوهرا لصح قيامه
بذاته ووجوده لا بعاقل ولصح ان يفعل ويكلف لان ذلك مما يجوز على الجواهر
وفى امتناع ذلك دليل على انه ليس بجوهر وثبت انه غير عرض قالوا ومحال ان
يكون عرضا غير سائر العلوم حتى يكون الكامل العقل غير عالم بنفسه ولا
بالمدركات ولا بشئ من الضروريات اذ لا دليل يوجب تضمن احدهما للاخر
وذلك غاية الاحالة ومحال ان يكون اكتسابا لانه يؤدى الى ان الصبى
ومن عدمت منه الحواس الخمس ليسوا بعقلاء لانه لا نظر لهم ولا استدلال
يكتسبون به العقل وفى الاجماع على حصول الحى العاقل منهم دليل على فساد هذا
ولا يجوز ان يكون العقل هو الحياة لان العقل يبطل ويزول ولا يخرج الحى
عن كونه حيا وقد يكون الحى حيا وان لم يكن عالما بشئ اصلا ولا يجوز ان
يكون هو جميع العلوم الضرورية ولا العلوم التى تقع عقيب الادراكات

الخمس

وميز العقل آلة ويعقل آلة لكل تمييز

الخمسة لان هذا يؤدى الى ان الاخرس والاطرش والاكمه ليسوا بعقلاء لانهم
لا يعلمون المشاهدات والمسموعات والمدركات التى تعلم باضطرار
لا باستدلال ولا يجوز ايضا ان يكون العلم بتحسين حسن وتقبيح قبيح ووجوب
واجب وتحريم محرم من جملة العلوم التى هى عقل لان هذه الاحكام كلها معلومة
بالسمع دون قضية العقل فوجب ان يكون بعض العلوم الضرورية وهو ما ذكره
وما كان فى معناه من ان الموجود لا يخلو من ان يكون لوجوده اول وان الموجود
لا يكون موجودا معدوما فى حال واحدة وان المتحرك عن المكان لا يجوز ان يكون
ساكنا فيه فى حال واحدة وان الذات الواحدة لا يجوز ان تكون حية ميتة
ونحو ذلك من الاوصاف المتضادة فهذا الدليل هو عمدتهم كلهم فى الجملة وهذه الفاظ
القاضى ابى يعلى الفراء وهذا القول قالته المعتزلة قبل المتكلمة الصفاتية ومن اتبعهم
ولكن ادخلوا فيه العلم بحسن الافعال وقبحها قال ابو على الجبائى العقل عشرة
انواع من العلم وعد منها العلوم البديهية والعلوم الصادرة عن الحواس والعلم
بحسن الشئ وقبحه ووجوب شكر المنعم وقبح الكفر والظلم والكذب والمتكلمة
الصفاتية الذين قالوا انه بعض العلوم الضرورية لم يميزوه بتمييز مضبوط
بل كبيرهم القاضى ابو بكر لما قرر انه بعض العلوم الضرورية كما تقدم وملخص تلك
الحجة انه لا يجوز الاتصاف بالعقل مع الخلو عن جميع العلوم او بعضها فثبت
انه من العلوم وليس هو من العلوم النظرية اذ شرط ابتداء النظر تقدم العقل
فانحصر العقل اذا فى العلوم الضرورية ويستحيل ان يقال هو جميع العلوم
الضرورية فان الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم
ضرورية عنه فاستبان بذلك ان العقل من العلوم الضرورية وليس كلها ذيل
تعيينه والتنصيص عليه ان يقال كل علم لا يخلو العاقل منه عند التذكر ولا يشاركه
فيه من ليس بعاقل اشارة الى العلوم الصادرة عن الحواس والعلوم بالاوليات
فانه يستوى فى دركها العقلاء وغيرهم من الاطفال والبهائم وهذا اذا تأملنا البهائم
علوم بالمحسوسات فيخرج من مقتضى الحد انه العلوم الضرورية بجواز الجائزات

واستحالة المتضادات والعلم بأن المعلوم لا يخلو عن نفي واثبات والموجود لا يخلو اما
من القدم والحدوث والخبر لا يخلو من الصدق والكذب وعد القاضي من ذلك
العلم بمجاري العادات وهذه الحجة التي احتجوا بها ليست صحيحة وان كانت بادي
الرأي مرضية اذ مدار الحجة على انه لو لم يكن من العلوم لامكن وجوده بدون العلم لعدم
الدليل على تلازمهما وهم يعبرون عن هذه النكتة بعبارات تارة يقولون اذا كانا
خلافين غير ضدين امكن وجود احدهما مع ضد الآخر كالحياة والعلم والقدرة وتارة
يقولون ما تقدم وتارة يجعلون ذلك كانه مقدمة بينة او مسلمة فيقولون لو لم
يكن من العلم لجاز ان يخلو العاقل عن جميع العلم وكل هذا ضعيف فانه ليس كل خلافين
يجوز وجود احدهما مع ضد الآخر بل الخلافان قد يكونان متلازمين من الطرفين
او من احدهما كالحس مع الحركة الارادية وكالحس مع العلم الحاصل عقيب الاحساس
بل هذا شأن كل سبب تام بمسببه وكل معلول علته وكل متضايفين كالابوة
والبنوة فانهما خلافين ومع هذا فانه لا يجوز وجود احدهما مع عدم
الآخر فضلا عن ضده وقولهم لا دليل حينئذ على تنافي احدهما الآخر ليس
بسديد لوجهين احدهما انه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه في نفس الامر
فلا يكفي في نفي تلازمهما مجرد عدم دليله الثاني اذا قدر ان العقل هو الغريزة
كان العلم باستلزامه للعلم ضروريا لا يحتاج الى دليل فان وجود العلم مستلزم
للقوة التي هي شرط في العلم كما ان وجود السمع والبصر مستلزم للقوة التي بها
يسمع ويبصر والمشروط بدون شرطه محال وان كان هذا شرطا في العادة والله
قادر على خرق العادة فان الكلام في الواقع لا فيما يمكن وقوعه فايضا اذا قيل
ان العقل اسم لمجموع الغريزة والعلم الحاصل بها كان ما ذكروه بعض مسمى العقل
فلا يوجد اسم العقل الا مع وجوده واذا لم يكن هو مجموع العقل وايضا فمن المعلوم
انه يدخل في مسمى العقل العمل الذي يختص به العقلاء من جلب المنفعة ودفع المضرة
وهذا مما يفرق به بين العاقل والمجنون في عرف الناس كما يفرق بينهما

بعلوم

بعلوم ضرورية فليس جعله اسما للعلوم الضرورية باولى من جعله اسما للاعمال
الضرورية التي لا يخلو العاقل منها فان من رأى يلقي نفسه في نار او ماء فيغرق
او نحو ذلك من المضار التي لا فائدة فيها ونحو ذلك من الافعال الخارجة عن
افعال العقلاء سلب عنه العقل حتى ينتهي به الحد الى الجنون واذا كان
كذلك فهم بين امرين ان جعلوا اعمال العقلاء داخلة في مسمى العقل بطل قولهم
هو من جنس العلم فقط وان قالوا افعال العقلاء دليل على العلم الذي هو عقل
وكذلك افعال المجانين دليل على فوات هذه العلوم قيل لهم فحينئذ قد صار
العقل يستلزم امورا ليست داخلة في مسماه فلا يمتنع حينئذ ان يقال هو
الغريزة المستلزمة لهذه العلوم كما قلتم هو العلوم المستلزمة لهذه الاعمال
السابع ان هذا مما يبين كذب هذا الحديث المروي كما رووه فان العقل
اذا كان في لغة المسلمين هو عرض قائم بغيره لم يكن مما يخلق منفردا عن العاقل
وانما يخلق تبعه خلق العقلاء وايضا فان مثل هذا الخطاب ولا يقبل ولا يدبر
وايضا فقوله ما خلقت خلقا اكرم علي منك لا يضاف الى الله تعالى فانه من المعلوم
فانه من المعلوم ان الانبياء والملائكة اكرم على الله منه اذ كان في بعض صفاتهم
ولو قدر ان العقل في لغتهم يكون جوهرا او ملكا وقدر ان هذا اللفظ يكون
قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجز ان يراد به ما يقوله الفلاسفة
ومن سلك سبيلهم لما بينا انه يدل على انه خلق قبله خلقا آخر وايضا فقوله له
بك آخذ وبك اعطي وبك الثواب وبك العقاب خصه بهذه الاعراض
وعندهم هو المبدع لكل ما سواه من العقول والنفوس والافلاك والنفوس
البشرية والعناصر والمولدات فكيف يخصه باربعة اعراض وايضا فقوله لما
خلقه قال له اقبل فاقبل يقتضي انه خاطبه في اول اوقات خلقه وعندهم
يمتنع ان يكون خلقه في زمان بل يمتنع ان يكون مخلوقا عندهم كما تقدم الثامن
ان هؤلاء سمعوا في الحديث ان اول ما خلق الله القلم وهذا الحديث معروف
ليس مثل الاول رواه ابو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس وغيره من الصحابة نكره السلف متنازعون هل المراد بذلك

اول ماخلقه من هذا العالم الذى خلقه فى ستة ايام كما قال وهو الذى خلق
السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء وعلى هذا القول فالعرش
كان مخلوقا قبل ذلك او هو مخلوق قبل العرش على قولين ذكرهما الحافظ ابو العلاء
الهمدانى وغيره والاحاديث الصحيحة تدل على القول الاول فقال هولاء ان
ذلك يسميه الفلاسفة العقل الاول هو القلم وهذا كثير فى كلامهم وفى كلام
صاحب جواهر القرآن وهو من نوع كلام القرامطة قال فى الجواهر واعلم ان القرآن
والاخبار تشتمل على كثير من هذا الجنس فانظر الى قوله قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن فان روح الاصبع القدرة على سرعة التقليب وانما قلب المؤمن
بين لمة ملك ولمة شيطان هذا يهديه وهذا يغويه والله تعالى يقلب
قلوب العباد كما تقلب انت الاشياء باصبعيك فى روح الاصبعية وخالف
فى الصورة واستخرج من هذا قوله ان الله خلق ادم على صورته وسائر الايات
والاحاديث الموهمة عند الجهلة للتشبيه والذكى يتنبه بمثال واحد والبليد
لا يزيده التكثير الا تحيرا ومهما عرفت الاصبع امكنك الترقى الى العدم والبد
واليمين والوجه والصورة واخذت الجميع امرا روحانيا لا جسمانيا فتعلم ان
روح القلم وحقيقته التى لابد من تحقيقها اذا ذكرت حد القلم وهو الذى يكتب به
وان كان فى الوجود شىء يسطر بواسطته نقش العلوم فى الواح القلوب فاخلق
به ان يكون هو القلم فان الله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وهذا القلم
روحانى اذا وجد فيه روح القلم وحقيقته ولم يعوزه الا قالبه وصورته وكون
القلم من خشب او قصب ليس من حقيقة القلم لذلك لا يوجد فى حده الحقيقى ولكل شىء
حد وحقيقة هى روحه فاذا اهتديت الى الارواح صرت روحانيا وفتحت لك ابواب
الملكوت واهلت لموافقة الملأ الاعلى وحسن اولئك رفيقا ولا تستبعد ان يكون
فى القرآن اشارة من هذا الجنس فان كنت لا تقدر على ما يقرع سمعك من هذا النمط
ما لم يسند التفسير الى الصحابة فان التقليد غالب عليك فانظر الى تفسير قوله تعالى

[في الهامش: انظر كيف تشارك ... نسبة ... المحرر ... الى الله ... اصبعيك]

على ما ذكره المفسرون انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع
زبد مثله الاية وانه كيف مثل العلم بالماء والقلوب بالاودية والينابيع والضلال
بالزبد ثم نبهك فى اخرها فقال كذلك يضرب الله الامثال ويكفيك هذا
القدر من هذا المعنى فلا تطيق اكثر منه وبالجملة فاعلم ان كل ما لا يحتمله فهمك
فان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذى لو كنت فى النوم مطالعا بروحك
اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير واعلم ان
التأويل يجرى مجرى التعبير انتهى كلامه فهذا الكلام ونحوه من جنس كلام
الفلاسفة القرامطة فيما اخبر الله به من امور الايمان بالله واليوم الاخر
يجعلون ذلك امثالا مضروبة لتفهيم الرب والملائكة والمعاد وغير ذلك والكلام
عليهم مبسوط فى غير هذا الموضع وصاحب الجواهر لكثرة نظره فى كلامهم
واستمداده منهم مزج فى كلامه كثيرا من كلامهم وان كان قد يكفرهم بكثير مما
يوافقهم عليه فى موضع اخر وفى اخر كلامه قطع بان كلامهم لا يفيد علما ولا
يقينا بل وكذلك قطع فى كلام المتكلمين واخر ما اشتغل بالنظر فى صحيح البخارى
ومسلم ومات وهو مشتغل بذلك وانما المقصود هنا التنبيه على ما ذكروه فان
كثيرا اغتروا بهذا لانهم وجدوه فى كلامه وحرمته عند المسلمين ليست مثل حرمة
من لم يدخل فى الفقه والتصوف دخوله ولهذا اكثر فيه كلام ائمة طوائف الفقهاء
والصوفية مثل ابى بكر الطرطوشى وابى عبد الله المازرى المغربى وغيرهما من
المالكية ومثل ابى الحسن المرغينانى وابى البيان القرشى وابى عمرو بن الصلاح
وابن شكر واولاد القشيرى وغيرهم من الشافعية ومثل ابى الوفا ابن عقيل
وابى الفرج ابن الجوزى من الحنبلية واما الحنفية فكلامهم فيه لون اخر وكان
قد جرت له وقعة معروفة معلم وعاصيها بالشافعية وهذا الذى ذكره
باطل من وجوه كثيرة منها ان القلم اذا كان اول مخلوق وهو العقل عندهم
لم يصح تفسيره بما ينتقش العلم فى قلوب بنى ادم لان ذلك عندهم انما هو

[في الهامش: مع ان ... مذهبهم ... من الحنبلية ... [illegible]]

المعقل المنفعل وهو العاشر واول مخلوق على زعمهم هو العقل الاول والثاني ان
ان تسمية الملائكة التي يجعلونها هي المعقول اقلاما اذ تسمية بعضهم قلما
شيء لا يعرف في كلام احد من الامم لا حقيقة ولا مجازا اصلا فالتعبير بلفظ
القلم عن ملك يكون عندهم قد ابدع هذا الوجود من ابطل الباطل الثالث ان الذي
في الحديث ان الله خلق القلم وامره ان يكتب في اللوح قبل خلق بني ادم
بل في صحيح مسلم ان الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فكيف يكون قلما
قلما انه ينقش العلوم في قلوب بني ادم الرابع ان خاصية القلم كونه يكتب
به فاذا قدر ان خاصيته شيء من الاشياء ان يكتب به امكن تشبيهه بالقلم اما اذا
كانت له افعال عظيمة غير ذلك فليس تشبيهه بالقلم باولى من تشبيهه بغير ذلك
والعقل عندهم قد صدرت عنه الجواهر والمواد والصور وما يقوم بالنفوس والاجسام
من جميع الاعراض كالحياة والعلم والقدرة والكلام والاكوان والالوان والطعوم
والروائح وغير ذلك فلا شيء يسمى باسم عرض من الاعراض التي تصدر عنه
دون ان يسمى بما يقتضيه سائر الاعراض بل والجواهر التي صدرت عنه وهو
عندهم قد فاض عنه الالواح التي يكتب فيها فهل يكون القلم مبدعا اللوح وهل
في الحديث ان اللوح تولد عن القلم او ما يشبه ذلك ولئن جاز تسميته هذا قلما
فتسمية لسان الانسان قلما اقرب فانه جسم مستطيل مستدق الراس
يشبه القلم وهو اذا خاطب بالعلم نقش العلم في القلب وخاصيته هي التفهيم
دون سائر الافعال وقد يقال القلم احد اللسانين فتسمية اللسان قلما اشبه
وانسب ومع هذا فلم يسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم او احدا من الصحابة اراد
بلفظ القلم اللسان كلسانه او لسان الملك الذي نزل عليه فكيف اذا عبر
به عما هو ابعد من ذلك الخامس ان المسلمين يعلمون بالاضطرار ان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يرد بالقلم ما تريده الفلاسفة بلفظ العقل السادس ان
الذي يقوله الفلاسفة من الذي قال ما يوجد في قلوب بني ادم من العلم انما هو من فيض العقل الفعال
فان دليل الفلاسفة على ذلك ضعيف بل باطل

والكتب

والكتب الالهية لم تخبر بذلك بل الاخبار الالهية تدل على تعدد ما يلقي في قلوب
بني ادم وانه ليس ملكا واحدا بل ملائكة كثيرون وقد وكلت بهم ايضا الشياطين
فامتنع ان يكون في الوجود ما يلقي العلم في القلوب على ما ذكروه السابع ان
ما ذكروه في حد القلم ليس مستقيما اذ لو صح لصح تسمية كل من علم العلم قلما وان كان
القلم لا يشترط في تسميته ان يكون من مادة مخصوصة فلا بد له من صورة من
اي مادة كانت كما قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وقال
تعالى اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الثامن قوله ان لكل شيء حدا وحقيقة
هي روحه وهو انما عني به مثلا كونه كاتبا كما جعل حقيقة القلم وحده
كونه ينقش العلم وجعل الحد والحقيقة موجودة في العقل ومعلوم بطلان
هذا بالاضطرار فان حقيقة الجواهر الموجودة لا يكون بمجرد كونه موصوفا
بفعل منفصل عنه او متصل به ولو قدر ان تلك الصفة توجد في حده لكانت
فصلا تميزه عن غيره مع مشاركة غيره له في الجنس المشترك وذلك
يمنع ثبوت الحقيقة لغيره اما ان يجعل هي الحد والحقيقة وحدها فهذا
ظاهر البطلان التاسع انه قد ذكرنا ان للسلف في العرش والقلم ايهما خلق
قبل الاخر قولين كما ذكر ذلك الحافظ ابو العلاء الهمداني وغيره احدهما ان القلم
خلق اولا كما اطلق ذلك غير واحد وذلك هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من
صنف في الاوائل كالحافظ ابي عروبة ابن ابي معشر الحراني وابي القاسم الطبراني
للحديث الذي رواه ابو داود في سننه عن عبادة ابن الصامت انه قال يا بني
انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك
لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله
القلم فقال له اكتب فقال يا رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم
الساعة يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا
فليس مني والثاني ان العرش خلق اولا قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في
مصنفه في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدي ثنا سفيان الثوري ثنا
ابو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الله كان على عرشه قبل ان يخلق شيئا
فكان اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما هو كائن وانما يجري الناس

بلغ

على امر قد فرغ منه ورواه ايضا ابو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح
اصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن ابي هاشم عن مجاهد قال قيل
لابن عباس ان ناسا يقولون في القدر قال يكذبون بالكتاب لئن اخذت
بشعر احدهم لانصونه اي لاخذن بناصيته ان الله كان على عرشه قبل ان
يخلق شيا فخلق القلم فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة وانما يجري الناس على امر
قد فرغ منه وكذلك ذكر الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات
لما ذكر بدأ الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو عن عمران بن حصين وغيرهما
وسنذكر هذين الحديثين ان شا الله تعالى ثم ذكر حديث الاعمش عن المنهال
بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اول شي خلقه الله القلم وامره فكتب كل شي
يكون قال البيهقي ويروى ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعا وانما اراد
والله اعلم اول شي خلقه بعد خلق الما والريح والعرش القلم وذلك بين
في حديث عمران بن حصين ثم خلق السموات والارض وفي حديث ابن ظبيان
عن ابن عباس موقوفا عليه ثم خلق النون فدحى الارض عليه وروي باسناده
الحديث المعروف عن وكيع عن الاعمش عن ابن ظبيان عن ابن عباس قال
اول ما خلق الله عز وجل من شي القلم فقال له اكتب فقال يا رب وما اكتب
قال اكتب القدر قال فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة
قال ثم خلق النون فدحى الارض عليها فارتفع بخار الما ففتق منه السموات
واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال لتفخر على الارض الى يوم
القيمة قلت حديث عمران بن حصين الذي ذكره هو ما رواه البخاري
من غير وجه منها ما رواه في كتاب التوحيد في باب وكان عرشه على الما
وهو رب العرش العظيم قال ابو العالية استوى الى السما ارتفع قال مجاهد استوى
على علا على العرش وذكر من حديث ابي حمزة عن الاعمش عن صفوان بن محرز عن عمران
ابن حصين قال اني عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم
فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا فدخل ناس من اهل اليمن

(هامش: سل عن قوله تعالى وكان عرشه على الما
على اي شي كان الما قال على متن الريح
روي من حديث القاسم بن ابي بزة عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس صح)

(هامش: قال البيهقي)

فقال

فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا جئناك لنتفقه
في الدين ولنسألك عن اول هذا الامر قال كان الله ولم يكن شي قبله
وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شي ثم اتاني
رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا
السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها قد ذهبت ولم اقم ورواه البيهقي
كما رواه محمد بن هرون الروياني في مسنده وعثمان بن سعيد الدارمي
وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن ابي اسحق الفزاري عن الاعمش
عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت فاتاه
نفر من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا فجاءه
نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم
فقالوا قد قبلنا يا رسول الله اتيناك لنتفقه في الدين ونسألك عن
اول هذا الامر كيف كان قال كان الله ولم يكن شي غيره وكان عرشه على
الما ثم كتب في الذكر كل شي ثم خلق السموات والارض قال ثم اتاني رجل
فقال ادرك ناقتك فقد ذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب
وايم الله لوددت اني كنت تركتها ففي الحديث الصحيح بيان انه كتب في
الذكر ما كتبه بعد ان كان عرشه على الما وقبل ان يخلق السموات والارض
واما حديث عبد الله بن عمرو فقد رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب
اخبرني ابو هاني الخولاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الما ورواه مسلم
ايضا من حديث حيوة ونافع بن يزيد كلاهما عن ابي هاني الخولاني مثله غير انهما
لم يذكرا وعرشه على الما وقد رواه البيهقي من حديث حيوة ابن شريح اخبرني
ابو هاني الخولاني انه سمع ابا عبد الرحمن الحبلي انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص

(هامش: اخوانكم من بني)

يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل
ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ورواه البيهقي ايضا من حديث
ابي مريم ثنا الليث ونافع بن يزيد قالا حدثنا ابو هاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ
الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وعرشه على الماء
بخمسين الف سنة ففي هذا الحديث الصحيح ما في ذلك الحديث من انه قدر المقادير
وعرشه على الماء قبل ان يخلق السموات والارض لكن بين فيه مقدار السبق انه كان
قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة وقد ضبط هذه الزيادة
الامامان المعتبران الليث بن سعد وعبد الله بن وهب فقوله في الحديث فرغ
فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وعرشه على الماء
بخمسين الف سنة يوافق حديث عبادة الذي في السنن انه لما خلق الله القلم
قال له اكتب قال وما اكتب قال ما هو كائن الى يوم القيمة وكذلك في حديث ابن عباس
وغيره وهذا يبين انما امره حينئذ ان يكتب مقادير هذا الخلق الى قيام الساعة
لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك وهذا يؤيد حجة من جعله اول المخلوقات من هذا
الخلق الذي امره بكتابته فانه سبحانه كتبه وقدره قبل ان يخلقه بخمسين الف سنة
وبكل حال فهذه الاحاديث التي في الصحاح والسنن والمسانيد والاثار التي عن
الصحابة والتابعين تبين ان هذا القلم ليس ما يدعيه هؤلاء انه الذي يسمونه
العقل الاول والفعال فانه امره ان يكتب فقط لا ان يفعل شيئا غير ذلك والعقل
عندهم ابدع جميع الكائنات لا انه امره ان يكتب في الذكر وهو اللوح فيكون اللوح قد خلق
قبل ان يكتب القلم شيئا اذ الكتابة لا تكون الا في لوح وايضا فانه امره بالكتابة
فعرفت تلك الكتابة كما قال فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات
والارض وعندهم القلم اذا فسروه بالعقل الذي ينقش العلوم في قلوب بني ادم
كتابته دائمة كلما احدث انسان كتب في قلبه ما يكتبه الى موته وكذلك ان فسروه

بالعقل

بالعقل الاول فان كتابته دائمة كلما حدث انسان كتب في قلبه ما يكتبه الى
موته وكذلك ان فسروه بالعقل الاول فان كتابته دائمة وايضا فانه كتب
في الذكر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعندهم ان
العقل مقارن للسموات لم يتقدمها وايضا فاخباره في الحديثين الصحيحين
بما يوافق القران من ان العرش كان على الماء قبل خلق السموات والارض وذكره
فيها ان التقدير وهو الكتابة بالقلم كان بين ذلك كما جا عن الصحابة يبطل
ان يكون العقل الاول هو اول المخلوقات وان سموه هم قلما يبطل ان يكون
القلم الذي ذكره السلف ايضا مخلوقا قبل العرش وفي ذلك اثار مثل ما رواه
قال عثمان بن سعيد ثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق
العرش والماء وقال ايضا ثنا عبد الله بن صالح المصري حدثنا ابن لهيعة ورشدين
ابن سعد عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال لما اراد الله تبارك
وتعالى ان يخلق شيئا اذ كان عرشه على الماء واذ لا ارض ولا سماء خلق الريح فسلطها
على الماء حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الماء دخانا وطينا
وزبدا فامر الدخان فعلى وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين
وخلق من الزبد الجبال وروى البيهقي من حديث الاشيب ثنا ابو هلال محمد
بن سليم ثنا حبان الاعرج قال كتب يزيد بن ابي مسلم الى جابر بن زيد يسأله
عن بدء الخلق قال العرش والماء والقلم والله اعلم اي ذلك بدأ قبل وروي من
حديث سعيد بن منصور ثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق
العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وقال بدء الخلق يوم الاحد والاثنين
والثلثاء والاربعاء وخلق الاقوات ونبات الارض يوم الخميس وجمع الخلق يوم
الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون
وروى باسناده عن الشيباني عن عون بن عبد الله عن اخيه عبيد الله
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجمعة ساعة لا يوافقها
احد يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه اياه قال فقال عبد الله بن سلام ان الله
ابتدأ الخلق فخلق الارضين يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق السموات

يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق الأقوات وما في الارض يوم الخميس الصلوة
المصر وهي ما بين صلوة العصر الى ان تغرب الشمس والاثار في هذا كثيرة وان
كان قد تنوزع هل كان بدء خلق هذا العالم يوم السبت او يوم الاحد
وقد روى في ابتدائه يوم السبت حديث رواه مسلم فالذي عليه الجمهور
وعامة الاحاديث ان ابتداءه يوم الأحد فاذا ثبت بالنصوص الصحيحة
ان العرش خلق اولا وان التقدير كان لهذا العالم بطل اصل حجتهم ومما يوضح
ذلك ما ذكره البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق فقال وروى عيسى عن
رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر يقول قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل
الجنة منازلهم واهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه
فهو قد ذكر المبدأ وجعل المنتهى دخول الدارين ومعلوم ان ما يكون بعد ذلك
من تفاصيل احوال اهل الدارين لم يدخل في هذا فعلم انه اريد هذا الخلق
وذكر البخاري ايضا الحديث الذي في الصحيحين عن ابي الزناد عن الاعرج عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب
في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي فقوله لما قضى الله
الخلق اي اكمله واتمه كما قال فقضاهن سبع سموات في يومين ومعلوم ان
المراد بالخلق خلق هذا العالم لا الخلق للدار الآخرة وهو الاعادة فانه قال
سبحانه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهذا كله يبين ان هذا الخلق
هو المقدر بالقلم كما تقدم فاما قبل فقد احتج طوائف من اهل الكتاب
السنة على ان القرآن غير مخلوق بهذه الآثار وهي قوله اول ما خلق الله القلم
فقال له اكتب قالوا فبين انه اول مخلوق وانه خاطبه بالكتابة ولو كان كلامه
مخلوقا لم يكن القلم فانه خلقه بكلامه قيل قد يقال حجتهم سقيمة وان كان
العرش قبله فان الذين يقولون القرآن مخلوق فانهم يقولون هو مخلوق من
المخلوقات في هذا العالم كسائر ما خلقه فيه من الجواهر والاعراض وهو عند

لكان يفتقر الى محل يقوم به ولو كان كلامه

اكثرهم

اكثرهم عرض خلقه قائما ببعض اجسام العالم كما يخلق اصوات الرياح
ونحوها وعند بعضهم هو جسم وعلى التقديرين هو عندهم جزء من هذا
العالم فاذا ثبت ان اول ما خلقه من هذا العالم القلم بطل ان يكون
خلق قبله شيا من هذا العالم الثاني ان النصوص والآثار المتواترة
عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين مطابقة على ما دل عليه
القرآن من ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام وان كان
العرش مخلوقا قبل ذلك وهذا ايضا متفق عليه بين اهل الملل كاليهود
والنصارى وهو مذكور في التوراة وغيرها كما ذكر في القرآن ولهذا
شرع الله لاهل الملل اجتماع اهل المدينة في كل اسبوع يوما يعبد ون الله فيه
ويتخذونه عيدا وجعل للمسلمين يوم الجمعة الذي جمع فيه الخلق في الصحيحين
واللفظ للبخاري عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن
الآخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم
الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا
والنصارى بعد غد وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة وحذيفة قالا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان
لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم
الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة نحن
الآخرون في اهل الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلائق وفي لفظ
المقضي بينهم وفي المسند عن ابي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لاي شيء
سمي يوم الجمعة قال لان فيها طبعت طينة ابيك آدم وفيها الصعقة والبعثة وفيها
البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وفي المسند
ايضا عن سلمان الفارسي قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يوم الجمعة
قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه ابوكم قال لكني ادري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل
فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته الا كان كفارة
له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة
وفي السنن الثلاثة والمسند عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه قبض
وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فيه فان صلوتكم معروضة
علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلوتنا عليك وقد ارمت اي يقولون قد
بليت اي صرت رميما فقال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد
الانبيا صلوات الله عليهم ولما ثبت بهذه الاحاديث التي في الصحاح
والسنن والمسانيد وغيرها ان ادم خلق يوم الجمعة وثبت انه اخر
المخلوقات بلا نزاع علم ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد لان القران قد
اخبر ان الخلق كان في ستة ايام وبهذا النقل المتواتر مع شهادة ما عند
اهل الكتاب على ذلك وموافقة الاسما وغير ذلك علم ضعف الحديث
المعارض لذلك مع انه في نفسه متعارض والحديث قد رواه من طريق
ابن جريج اخبرني اسماعيل ابن امية عن ايوب ابن خالد عن عبد الله
بن رافع مولى ام سلمة عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق
الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثا وخلق النور يوم الاربعا
وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم يوم الجمعة بعد العصر من يوم الجمعة
اخر الخلق من اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا
الحديث قد بين ما يوافق سائر الاحاديث من ان ادم خلق يوم الجمعة وانه
خلق اخر الخلق ومعلوم بنصوص القران ان الخلق كان في ستة ايام وذلك
يدل على ما وقع فيه من الوهم بذكر الخلق يوم السبت والمقصود هنا ان من
المعلوم ان الاسبوع ليس له حد موجود في السما كما يوجد في اليوم الليلة

والشهر

والشهر بل انما يعرف عدده لان الله خلق هذا الخلق في ستة ايام ثم استوى على
العرش وانتشرت ايام الاسبوع في العالم من جهة اخبار الانبيا ولم يعلم
ذلك الامم الا ممن اخذ عنهم ولهذا كانت الامم الذين لم يتلقوا ذلك ليس لايام
الاسبوع في لغتهم ذكر بعدد كالترك والبربر واذا نطقوا بها نطقوا باللغة
الفرس مثله او العرب فكان في هذا الاجتماع العام حفظ لايام الاسبوع
وفيه تذكير بالاسبوع الاول الذي خلق الله فيه الخلق ومعلوم ان هذا
الاجتماع والاخبار بالخلق في ستة ايام معلوم بالاضطرار من دين اهل الملل
وهؤلاء عندهم ان هذه السموات ما زالت هكذا ولا تزال هكذا متحركة على
هذا الوجه من الازل الى الابد ولا يزال العقل الاول او الفعال الذي
يسمونه بالقلم هذا او هذا مقارنا لها وليس عندهم قيامة تنشق فيها
السموات وتنفطر ويستحيل عندهم ان تكون السموات مسبوقة سبقا زمانيا
بشيء من الاشيا لا بربها ولا بغيره ولا بغير ذلك فضلا عن ان تكون
مسبوقة بتقدير مقاديرها بخمسين الف سنة فهل يمكن ان يكون ما اخبر به
الانبيا مطابقا لقولهم وان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم اراد بما اخبر
به ما يريده هؤلاء بما يذكرونه من فلسفتهم هذا مما يعلم كل من فهم الكلامين
انه باطل بالاضطرار وان الكلامين متنافيين قطعا وان كان في بعض
ما يقولونه ما هو موافق لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا لا بد منه
في كلام كل طائفة بل نحن نعلم بالاضطرار ان اليهود والنصارى كفار في دينهم
ونعلم بالاضطرار انهم اكثر موافقة لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولما اخبر
به من هؤلاء فكيف يمكن دعوى موافقة هؤلاء له بل هذا من اعظم الجهل والنفاق
والمنافقون في الدرك الاسفل من النار واذا كان قد تحقق بعض الكفر
والنفاق على بعض المؤمنين ويغفر الله له اذا كان مؤمنا ايمانا صحيحا
مع جهله ببعض ما اخبر به الرسول وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة واللفظ
لمسلم عن معمر قال قال الزهري الا احدثك بحديثين عجيبين قال الزهري
اخبرني حميد ابن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه فقال اذا انا مت

دين الاسلام

فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر علي ربي
ليعذبني عذابا ما عذبه احدا قال ففعلوا به ذلك فقال للارض ادي ما
اخذت فاذا هو قائم فقال له ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب
او قال مخافتك فغفر له بذلك وقال الزهري وحدثني حميد عن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت امراة النار في هرة ربطتها
فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت قال الزهري
ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل وهو في الصحيح ايضا من حديث مالك
وغيره عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا انا مت فحرقوه ثم
اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه
عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البر
فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب
وانت اعلم فغفر الله له وقد بسطنا الكلام على هذا الحديث في مسئلة
التكفير وما فيه من اضطراب الناس في هذا الموضع وبينا ان من تأول قوله
في الحديث قدر بمعنى ضيق او بمعنى قضى فلم يصب مقصود الحديث
وبينا ان المؤمن الذي لا ريب في ايمانه قد يخطئ في بعض ما يكون من
العلمية ~~الاجتهادية~~ الاعتقادية فيغفر له كما يغفر له ما يخطئ فيه من الامور
العملية وان حكم الوعيد على الكافر لا يثبت في حق الشخص المعين حتى تقوم
عليه حجة الله التي بعث بها رسله كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وان الامكنة والازمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت
عليه آثار النبوة حتى انكر ما جاءت به خطأ كما يكون حكمه في الامكنة
والازمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة وذكرنا حديث حذيفة الذي فيه
يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا
الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون ادركنا آباءنا وهم يقولون لا اله الا الله
فقيل لحذيفة ما تغني عنهم قول لا اله الا الله وهم لا يعرفون صلاة ولا زكوة
ولا صوما ولا حجا قال تنجيهم من النار تنجيهم من النار وذكرنا ان قول النبي

الكفر

صلى الله

صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا
دعا قد استجابه الله تعالى كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
وابن عباس ففي صحيح مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة
قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شيء قدير فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا
يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة
وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها
السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى
فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم وفي صحيح مسلم ايضا عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية ان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا واطعنا وسلمنا قال فالقى الله الايمان
في قلوبهم قال فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا
تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا

بلغ

ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين قال قد فعلت الحادي عشر قوله لا تستبعد ان يكون
في القرآن اشارات من هذا الجنس ان اراد ان مثل هذه الاشارة تكون
هي معنى الكلام ومقصوده فهذا تحريف الكلم عن مواضعه والحاد في ايات الله
من جنس ضلالات القرامطة وامثالهم من الملاحدة وان اراد ان الاية مع الاقرار
على المعنى الذي يدل عليه لفظها قد يكون فيها اشارة الى معنى اخر يناسبه فهذا هو
القياس والاعتبار فالذي تريده الصوفية بالاشارة هو الذي يريده الفقهاء
بالقياس والاعتبار وهذا صحيح اذا روعيت شروطه عند اكثر العلماء ومعلوم
انه مراده هنا هو القسم الاول فهو من جنس كلام القرامطة الملاحدة واما ما استشهد
به من قوله تعالى انزل من السماء ماء فيقال لا خلاف بين المسلمين ان في القرآن
امثالا في هذه الاية وفي غيرها بل يقال فيه اكثر من اربعين مثلا ومعلوم
ان الممثل ليس هو الممثل به بل يشبهه من جهة المعنى المشترك وهذا شأن كل قياس
وتمثيل واعتبار كما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية وقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب الاية وامثال
ذلك وقوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الاية وهذه
الاية وهي قوله انزل من السماء ماء وهو ايضا على ظاهره كسائر الايات مع تضمنها
للمثل المذكور فانه سبحانه قال انزل من السماء ماء وهو على ظاهره وهو الماء
المعروف فانه اخبر بانزاله ثم اخبر بعد ذلك بان الزبد الذي يخرج مما يوقد
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع ثم قال بعد ذلك كذلك يضرب الله
الحق والباطل فلما ذكر المثل والتشبيه وهذا من الامثال الذي قال في اخرها
كذلك يضرب الله الامثال فقد صرح فيها بانه يضرب الامثال كما ضرب هذا المثل
وقد بين سبحانه الاصل المشبه به ثم ذكر المشبه فانطبق الكلام على حقيقته
وظاهره ومن توهم انه اراد مجرد العلم كما توهمه المتوهم فقد غلط لكنه اراد به اولا
هذا الماء وجعله مثلا مضروبا للعلم كما في الصحيحين عن ابي موسى عن النبي صلى

الله

الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث
اصاب ارضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير
وكانت منها طائفة امسكت الماء فشرب الناس وسقوا وكانت طائفة انما هي
قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه
ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى
الله الذي ارسلت به فهذا الحديث مثل هذه الاية كلاهما بين فيه المثل والممثل به
وهل يجوز ان يراد بالكلام ما مثل به ولا يراد به عين المسمى باللفظ من غير
دلالة تنضبط على ذلك ومعلوم ان هذا من جنس الاستعارة والتشبيه فلا
يحمل اللفظ على ذلك بمجرده وان ساغ ذلك ان يقال وكل شيء احصيناه
في امام مبين انه علي ابن ابي طالب او غيره ويقال في اللؤلؤ والمرجان انهما الحسن
والحسين لان هذا مات مسموما وهذا مات مقتولا وامثال ذلك من تاويلات
القرامطة الذين يحملون اللفظ على غير مسماه المعروف بمجرد شبه بينهما من
غير دلالة بل لا استعمال لذلك اللفظ في ذلك المعنى الثاني في اللغة
الثاني عشر قوله ان القرآن يلقيه عليك على الوجه الذي لو كنت في النوم
مطالعا بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى
التعبير يتضمن اصلين فاسدين ليسا من اصول المسلمين بل من اصول
الفلاسفة الضالة وهي انما يخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء
من امور الغيب انما هو من جنس المنامات التي يراها الناس فان النائم تضرب له
الامثال في منامه بنوع يشابه تاويل الرؤيا ولهذا كان يحتاج تاويل الرؤيا
على معرفة القياس والاعتبار والرؤيا الصادقة وان كانت جزءا من ستة واربعين
جزءا من اجزاء النبوة وفي الصحيح كان اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرؤيا الصادقة وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فرؤيا الانبياء

كما قال ابن عباس وحي وقد لا يحتاج الى تعبير كما راى ابراهيم عليه الصلوة والسلام
ذبح ولده فاصبح يريد ان يذبحه حتى فداه الله وهذا قول المسلمين واليهود
والنصارى خلاف ما يزعمه بعض الملاحدة كصاحب الفصوص من ان رؤياه
كان تعبيرها ذبح الكبش وان ابراهيم غلط في ذلك فلم يعرف تعبير الرؤيا
حتى فداه ربه من وهم ابراهيم ما هو فداء في نفس الامر وانه قال ان هذا لهو البلاء
المبين اي الاختبار المبين اي الظاهر بمعنى الاختبار في العلم هل يعلم ما يقتضيه
موطن الرؤيا من التعبير ام لا لانه يعلم ان موطن الخيال يطلب التعبير قال فغفل
ابراهيم فما وفى الموطن حقه ومعلوم عند كل مسلم ان هذا ليس من اقوال من يؤمن
بالله ورسله ويعرف قدرهم لا سيما ابراهيم الخليل خير البرية بعد محمد صلى الله
عليه وسلم كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح انه خير البرية رواه مسلم في صحيحه
وهو الامة اي القدوة لجميع المؤمنين بعده وهو الذي جعله الله للناس اماما
واتخذه خليلا وقد قال ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع
ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا بل من رؤيا المؤمنين ما يكون
مطابقا للظاهر لا يحتاج الى تاويل فاذا كان في رؤيا المؤمنين والانبياء
ما لا يحتاج الى تعبير بل يكون المرئي في المنام هو الموجود في اليقظة فكيف يكون
القران كلام الله الذي نزل بلسان عربي مبين وجعل هدى وبيانا مشتبها
على ما هو من جنس احاديث الرؤيا المفتقرة الى التعبير ثم كيف يكون ذلك
والرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة والتابعون لم يتاولوا القران ولم يعبروه
بما يخالف مقتضاه ودلالته كما كانوا كثيرا ما يعبرون الرؤيا بما يخالف ظاهر
المرئي فخرج والحقائق الخبرية الظاهرة المعروفة في القران من امر اليوم الاخر
وصفات الربوبية وان كانت ليست في الحقيقة الحقائق الموجودة في الدنيا
مماثلة

كما

كما قال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا الاسماء رويناه من حديث
وكيع عن الاعمش عن ابي ظبيان عن ابن عباس فذلك لا يقتضي ان يكون الكلام
دل عليها بطريق الحقيقة بل لا يمنع ان تكون هي الاسما المذكورة في القران
احق من مسميات الدنيا حتى يقال ان دلالتها على مدلولها حقيقة لا انها يدل
عليه بطريق التعبير كالرؤيا اذ من المعلوم ان ما راه يوسف من سجود الشمس والقمر
والكواكب ورؤيا الملك من البقر والسنبل لم يكن موجودا في الخارج وانما هو في
نفسه ومدلوله في الخارج سجود ابويه واخوته وسني الخصب والجدب فمن
يقول لمن يؤمن بالله ورسله ان ما اخبر به الرسول من صفات ربه وصفات
الملائكة واليوم الاخر وغير ذلك انما هي امور ذهنية لا وجود لها في الخارج
بل هي تعبير كالرؤيا فهل هذا الا نسبة الرسل الى الكذب الصريح فان الخبر
الذي يقوله الرائي لو اطلقه ولم يقل في المنام واراد به ما دل الرؤيا لكان كاذبا
باتفاق العقلاء فلو قال مخبر اسجد لي الشمس والقمر والكواكب ولم يقل في المنام
او قال رأيت سبع بقرات سمانا ياكلهن سبع عجاف لكان كاذبا وكذبه جميع
الناس اذ اللفظ لا يدل على ذلك لا حقيقة ولا مجازا ولو كان مجازا لم يجز
ذكره الا بقرينة تبين المراد واذا قال رأيت هذا في المنام كان مصدقا في
انه رأى في المنام كذلك وان لم يكن تاويله في اليقظة كذلك لعلم الناس
ان ما يرى في المنام لا يجب ان يكون هو لعينه في اليقظة بل يكون مشابها
له من بعض الوجوه ولم يقل احد من الامم ان مجرد المشابهة التي بين المرئي في المنام
وبين تاويل الرؤيا يكفي في استعمال اللفظ على وجه الاستعارة بل لو تخاطب الناس
بمثل هذا لم يفهم احد ما اراد غيره وللاستعارة والتشبيه حدود معروفة في
الخطاب واما الرؤيا فتاويلها وتعبيرها باب لا ينضبط له حد وقد يكون تاويلها

لا يشبهها الا بوجه بعيد لا يهتدى له الا حذاق المعبرين ولا ريب ان هذا
الذى ذكره هو من اصول الفلاسفة القرامطة الباطنية فى رد ما اخبر به
الرسول من المعاد وغيره الى امثال مضروبة لكن اهل الملل يعلمون بالاضطرار
ان هذا باطل وان هذا نسبة للانبياء الى الكذب الصريح ويعلمون بالاضطرار
ان الرسل لم تقصد مجرد ما يذكرونه ثم من المعلوم ان الرؤيا ان لم يعلم تعبيرها
لم يكن فيها فائدة بل قد يضل الرائى اذا حملها على ظاهرها فاذا كان القرآن
ونحوه كذلك لا بد له من مثل هذا التعبير وهولاء ول عند هولاء القرامطة
فاخص الناس بمعرفة ذلك الصحابة ولا بد ان يبينه الرسول ولو لخواصهم
بل يجب ايضا ان يبين لعوامهم والا كان ذلك اضلالا لهم ودعاء لهم الى العقائد
الفاسدة ومن المعلوم بالتواتر علما ضروريا لمن له خبرة متوسطة باحوال الصحابة
انهم كانوا اعظم الخلق منافاة لمثل هذه التحريفات التى يسمونها التعبير والتأويل
خاصتهم وعامتهم وان جميع ما ينقل عنهم مما يخالف الظاهر المعروف فهو كذب مفترى
مثل ما يزعم اهل البطاقة والجفر ونحو ذلك مما يدعونه من العلوم الباطنة المنقولة عن علي
كرم الله وجهه واهل البيت رضي الله عنهم وقد ثبت بالاحاديث الثابتة عن علي
رضي الله عنه المتلقاة بالقبول ما يكذب ذلك كقوله لما قيل له هل عهد اليكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهدا لم يعهده الى الناس فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ
النسمة الا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه وما فى هذه الصحيفة فكان فيها
العقل يعنى عقل القتيل واسنان الديات وفكاك الاسير وفيها لا يقتل مسلم
بكافر وكذلك فى الصحيح عنه انه قال ما عندنا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتاب نقرؤه الا كتاب الله وما فى هذه الصحيفة وفيها المدينة
حرام ما بين عير الى ثور من احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين ونحو ما تقدم ومثل هذا عن علي رضي الله عنه كثير وكذلك ما يذكره

بعض

بعض الناس عن عمر انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر يتحدثان و
كنت بينهما كالزنجي فان هذا كذب باتفاق اهل المعرفة لم يروه احد منهم
لا باسناد صحيح ولا ضعيف ولا يذكره الا من هو من اجهل خلق الله باحوال
الصحابة رضي الله عنهم وان كان فيمن يذكره من ينتسب الى التحقيق والتوحيد
والعرفان واما حديث ابى هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جرابين اما احدهما فبثثته واما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم
فهذا صحيح لكن الذى كان فى الجراب الآخر انما هو الاخبار عن الفتن التى
تكون فى الامة كما قال ابن عمر لو حدثكم ابو هريرة انكم تقتلون خليفتكم
وتحرقون بيت ربكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب ابو هريرة ولم يكن
فى الجراب باتفاق العلماء ما يدعيه هؤلاء ولا كان ابو هريرة عندهم من
الخواص الذى ينفرد بعلم اسرارهم وحقائقهم وانما الذى يذكر عنه انه صاحب
السر الذى لا يعلمه غيره فهو حذيفة وكان ذلك السر معرفة باعيان
المنافقين وكان اعظمهم لاحاديث الفتن لا لانه خص بعلمها بل لانه
اعتنى بها كما ثبت ذلك عنه ثم كيف يصح ان يكون القرآن بمنزلة احاديث
الرؤيا هذا والقرآن موصوف بانه هدى وبيان للناس وان على الرسول البلاغ
المبين واى بيان او بلاغ فيما هو من جنس الرؤيا التى لا تعبير ولم يخبر
بتعبيرها ومن المعلوم ان هذه الاحاديث النبوية المتواترة والآثار
الصحابية والتابعين كلها توافق ما يفهم من القرآن ويمنع ان يكون المراد ما يراد
بالرؤيا من التعبير ثم هل يقول مؤمن عاقل ان الشمس والقمر والنجوم فى قوله
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره تأويلها من جنس تأويل قول يوسف رأيت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وان السنبل فى قوله مثل
الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل من جنس السنبلة
فى قول الملك سبع سنبلات خضر وان البقرة فى قوله ان الله يأمركم ان تذبحوا

بقرة وقوله ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين كالبقر في قوله
الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وأن المراد بالخمر في
قوله إنما الخمر والميسر كالمراد بالخمر في قول أحد صاحبي السجن إني أراني أعصر
خمرا وأمثال ذلك ولكن من زعم أن ما رآه الخليل من الكواكب والقمر والشمس
هي إشارة إلى أمور من هذا الجنس كالنفس والعقل لم ينكر أن يقول ما يشابه هذا
ومن طرد القياس جعل المراد بالصلاة معرفة أسرارهم والمراد بالصوم
كتمان أسرارهم والمراد بالحج قصد شيوخهم المقدسين وتبت يدا أبي لهب أبو بكر وعمر
واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وعلمت نفس ما قدمت وأخرت علم جبريل بتقدم
محمد وتأخر علي وأئمة الكفر طلحة والزبير ولئن أشركت ليحبطن عملك لئن
أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية ونحو ذلك مما هو من بلايات القرامطة فإنهم
أئمة هذا التأويل الذي كان من أعظم إضلال الناس عن سواء السبيل وهو في الأصل
إنما صدر عن زنادقة منافقين أرادوا التلبيس به على جهال المسلمين فوافقوهم
في الظاهر وخالفوهم في الباطن وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى
شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في
طغيانهم يعمهون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء
ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وذكر مثل هذا طويل ليس هذا موضع استقصائه
الأصل الثاني من الأصلين الفاسدين كون روح العبد تطالع
اللوح المحفوظ فإن هذا هو قول هؤلاء من المتفلسفة القرامطة أن اللوح المحفوظ
هو العقل الفعال أو النفس الكلية وذلك ملك من الملائكة وأن حوادث الوجود
منتقشة فيه فإذا اتصلت به النفس الناطقة فاض عليها وكل من علم ما جاء به
الرسول يعلم بالاضطرار أن مراده باللوح المحفوظ ليس هو هذا ولا اللوح المحفوظ
ملك من الملائكة باتفاق المسلمين بل قد أخبر الله أنه قرآن مجيد في لوح محفوظ
وقال إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون كما قال في الآية الأخرى

فمن

فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة وقال
وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال وكل شيء أحصيناه في إمام مبين
وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
وقال تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب
من شيء على أصح القولين وقال تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك
في كتاب إن ذلك على الله يسير ولم يقل أحد من علماء المسلمين أن أرواح كل من
رأى منا ما تطلع على اللوح المحفوظ بل قد جاء في الحديث أنه لا ينظر فيه إلا الله عز وجل
في حديث أبي الدرداء ثم اللوح المحفوظ فوق السموات والنفس والعقل الذي
يذكرونهما منفصلان بعقل الفرد دون ما فوقهما من العقول والنفوس وقوله إن
كنت لا تقوى على احتمال ما يقرع سمعك من هذا النمط ما لم يشع التفسير للصحابة
فإن التقليد غالب عليك يقال له إنما لم أحتمل هذا النمط لأني أعلم بالاضطرار أنه
كذب وباطل ولو نقل مثل هذا النمط عن أحد من الصحابة والتابعين لعلمت
أنه كذب عليهم ولهذا تجد القرامطة ينقلون هذا عن علي عليه السلام ويدعون
أن هذا العلم الباطن المخالف لما علم من الظاهر مأخوذ عنه ثم لم يستفيدوا بهذا
النقل عن علي عليه السلام عند المسلمين إلا زيادة كذب وخزي فإن المسلمين يعلمون
بالاضطرار أن عليا لا يقول مثل هذا وأهل العلم منهم قد علموا بالنقول الصحيحة
الثابتة عن علي ما يبين كذب هذا ويبين أنه من ادعى على علي أنه كان عنده
عن النبي صلى الله عليه وسلم علم خصه به فقد كذب كما هو مبسوط في غير هذا الموضع
وقد دخل كثير من هذه القرمطة في كلام كثير من المتصوفين كما دخل في كلام
المتكلمة وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه حقائق التفسير قطعة من هذا
الجنس عن جعفر الصادق رضي الله عنه وأهل العلم بجعفر وأحواله يعلمون قطعا
أن ذلك مكذوب على جعفر كما كذب عليه الناقلون عنه الجدول في الهلال وكتاب
الجفر والبطاقة والهفت واختلاج الأعضاء والرعود والبروق ونحو ذلك كلام
أهل النجوم والفلسفة ينقلونه عن جعفر وأهل العلم بحاله يعلمون أن هذا كله

ملا يسند

باطل وأن المراد به فردي للقرمطة في السمعيات كردي للسفسطة في العقليات وذلك كردي لكل قول أعلم بالاضطرار أنه صح

كذب عليه بل يحكي ذلك طوائف ان كتاب رسائل اخوان الصفا هو
عن جعفر الصادق وهذا الكتاب هو اصل مذهب القرامطة والفلاسفة فينسبون
ذلك اليه ليجعلوا ذلك ميراثا عن اهل البيت وهذا من اقبح الكذب واوضحه فانه
لا نزاع بين العقلاء ان رسائل اخوان الصفا انما صنفت بعد المائة الثالثة في دولة
بني بويه زمان بناء القاهرة وقد ذكر ابو حيان التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة
من كلام ابي الفرج ابن طرار بعض واضعيها ومناظرته لهم ومن كلام ابي سليمان المنطقي
فيهم وغير ذلك ما يتبين به بعض الحال وفيها نفسها بيان انها صنفت بعد استيلاء النصارى
على سواحل الشام ومن المعلوم بالتواتر ان استيلاءهم على سواحل الشام كان بعد
المائة الثالثة وجعفر رضي الله عنه توفي سنة ثمان واربعين ومائة قبل وضع هذه
الرسائل بنحو مئتي سنة وهذا وامثاله يبين ان نقل مثل هذه التحريفات التي قد سماها
تاويلا وتفسيرا عن الصحابة واهل البيت والمشايخ لا يزيدها عند اهل العلم والايمان
الا علما بكذب منتحليها وعلما بجهلهم وضلالهم فلا يظن ان مجرد النقل والرواية
ينفق الباطل عند اهل العلم والايمان كما قد ينفق عليه وعلى امثاله من المنقول الباطلة
ما لا يعلمه الا الله لقلة علمهم بالحديث والآثار واحوال السلف وعلومهم كما ينفق عليه
من المعقولات الفاسدة ما لا يعلمه الا الله تعالى فان اهل العلم والايمان مؤيدون
بصحيح المنقول وصريح المعقول واما التفسير الثابت عن الصحابة والتابعين
فذلك انما قبلوه لانهم قد علموا ان الصحابة بلغوا عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ القرآن
ومعانيه جميعا كما ثبت ذلك عنهم مع ان هذا مما يعلم بالضرورة من عاداتهم فان
الرجل لو صنف كتابا في علم في طب او حساب او غير ذلك وحفظه تلامذته فكان
يعلم بالاضطرار ان هممهم تتشوف الى فهم كلامه ومعرفة مراده وانه بمجرد حفظ
لا يكتفي به القلوب فكيف بكتاب الله الذي امر ببيانه لهم وهو عصمتهم وهداهم
وبه فرق الله بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وقد امرهم
بالايمان بما اخبر فيه والعمل بما فيه وهم يتلقونه شيئا بعد شيء كما قال تعالى وقالوا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا

الآية

الآية وقال تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وهل
يتوهم عاقل انهم كانوا انما ياخذون منه مجرد حروفه وهم لا يفقهون ما يتلوه
عليهم ولا ما يقرؤنه ولا تشتاق نفوسهم الى فهم هذا القول ولا يسألونه عن ذلك
ولا يبتدئ هو ببيانه لهم هذا مما يعلم بطلانه كما انهم ما توفر الهمم والدواعي
على نقله ومن زعم انه لم يبين لهم معاني القرآن او انه بينها وكتموها عن التابعين
فهو بمنزلة من زعم انه بين لهم النص على علي واشياء اخرى من الشرائع والواجبات وانهم
كتموا ذلك او انه لم يبين لهم معنى الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك مما يزعم
القرامطة ان له باطنا يخالف الظاهر كما يقولون ان الصلاة معرفة اسرارهم والصيام
كتمان اسرارهم والحج زيارة شيوخهم وهو نظير قولهم ان ابا بكر وعمر كانا منافقين
قصدهما اهلاك الرسول وان ابا لهب اخا همّا لذلك وانهما يدا ابي لهب هو المراد
في زعمهم بقوله تبت يدا ابي لهب وتب وقولهم ان الاشراك الذي قال الله لئن
اشركت ليحبطن عملك هو الاشتراك ابي بكر وعلي في الولاية وان الله امره باخلاص
الولاية لعلي دون ابي بكر وقال لئن اشركت بينهما ليحبطن عملك ونحو ذلك من
تفسير القرامطة فقولنا تفسير الصحابة والتابعين لعلمنا بانهم بلغوا عن الرسول
صلى الله عليه وسلم ما لم يصل الينا الا بطريقهم وانهم علموا ما انزل على رسوله
متلقيا عن الرسول فيمتنع ان نكون نحن مصيبون في فهم القرآن وهم مخطئون
وهذا يعلم بطلانه ضرورة عادة وشرعا الوجه الثاني من الحادي عشر ان ابا
حامد في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة مع انه قد توسع فيه في تاويلات
المتفلسفة غاية التوسع وذكر فيه من الامور ما قد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الموضع
جزم بكفر هؤلاء كما جزم به سائر علماء المسلمين كما جزم بكفرهم في التهافت وغيره
ورد ايضا التاويلات التي ذكرها في مشكاة الانوار وغيره فقال فصل من الناس
من يبادر الى التاويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي ان يبادر الى
تكفيره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تاويله في امر لا يتعلق باصول العقائد ومهماتها
فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل الكواكب والقمر والشمس

ن اعظم مما يعلم بطلانه

ن على علي

يعني

ن علمنا من القرآن ما يناقض ما علموه فان ذلك لو صح لوجب ان نكون نحن

وقوله هذا الى غير ظاهرها بل هي جواهر روحانية ملكية ونورانيتها عقلية
لا حسية ولها درجات متقاربة في الكمال نسبة ما بينها من التفاوت نسبة
الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه بان الخليل اجل من ان يعتقد في جسم انه الله
حتى يحتاج الى ان يشاهد افوله فيرى انه لو لم يافل لكان يتخذه الها ولم يعرف
استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا واستدل بانه كيف يمكن ان يكون
اول ما راى الكوكب والشمس هي الاظهر وهي اول ما تبدو واستدل بان الله
قال اولا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ثم حكى هذا القول فكيف
يمكن ان يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت وهذه دلالة ظنية وليست براهين
قاطعة اما قوله اجل من ذلك فتحقيق انه كان صبيا لما جرى له ذلك ولا يبعد
ان يخطر لمن سيكون نبيا في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه على قرب ولا يبعد
ان تكون دلالة الافول على الحدوث عنده اظهر من دلالة التقدير والجسمية واما
روية الكوكب اولا فقد روي انه كان في صباه محبوسا في غار وانما خرج بالليل
واما قوله اولا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فيجوز ان يكون الله
قد ذكر حال نهايته ثم رجع الى حال بدايته فهذه وامثالها ظنون يظنها براهين من
لا يعرف حقيقة البرهان وشرطه فهذا الجنس تاويلهم وقد تاولوا في العصا
والنعلين في قوله تعالى لموسى اخلع نعليك وقوله تعالى الق ما في يمينك ولعل
الظن في مثل هذه الامور التي لا تتعلق باصول الاعتقاد يجري مجرى البرهان
في اصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب يؤدي
الى تشويش قلوب العوام فيبدع فيه صاحبه في كل ما لم يؤثر عن السلف ذكره
ويقرب منه قول بعض الباطنية ان عجل السامري مؤول اذ كيف يخلو الخلق
الكثير عن عاقل يعلم ان المتخذ من الذهب لا يكون الها وهذا ايضا ظن
اذ لا يستحيل ان تنتهي طائفة من الناس اليه كعبدة الاوثان وكونه

نادرا

نادرا لا يورث يقينا قاطعا فاما ما يتعلق باصول العقائد المهمة فيجب
من هذا الجنس
تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات
الحسية في الاخرة بظنون واوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره
قطعا اذ لا برهان على استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر ذلك عظيم الضرر
في الدين ويجب تكفير من قال منهم ان الله عز وجل لا يعلم الا نفسه او لا يعلم الا الكليات
فاما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى
الله عليه وسلم وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها في التاويل اذ ادلة القران
والاخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهيم علم الله بكل ما يجري على الانسان
مجاوزة حدا لا يقبل التاويل وهم معترفون بان هذا ليس من التاويل ولكن قالوا
لما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد
العقلي وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم
ليورث ذلك رهبة ورغبة في قلوبهم جاز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يفهمهم
ذلك قالوا وليس بكاذب من اصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله
وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذر له انه لم يكن كذبا ويجب
اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن
الكذب وهذه اول درجات الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة
المطلقة فان المعتزلة تقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد
وهو ان المعتزلي لا يجوز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر مثل هذا العذر بل
يؤول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه والفلسفي لا يقتصر مجاوزته للظواهر
على ما يقبل التاويل على قرب او بعد واما الزندقة المطلقة فهو ان ينكر اصل
المعاد عقليا وحسيا وينكر الصانع للعالم اصلا وراسا واما اثبات المعاد بنوع
عقلي مع نفي الالام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الامور
فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظني والعلم عند الله تعالى

ان هؤلاء المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة كلهم
في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة هذا لفظ الحديث في بعض الروايات ولفظ الحديث
يدل على ان الزنادقة من امته والذين ينكرون اصل المعاد واصل الصانع
فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل
كذلك موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون
الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذن لا معنى لزندقة هذه الامة
الا ما ذكرناه قلت اما هذا الحديث فلا اصل له بل هو موضوع كذب
باتفاق اهل المعرفة بالحديث ولم يروه احد من اهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ
بل الحديث الذي في السنن والمسانيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال
ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار
وروي عنه انه قال هي الجماعة وفي حديث اخر هي من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي
وايضا فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن
وهو لفظ اعجمي معرب اخذ من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام وعرب وقد تكلم به
السلف والائمة في توبة الزنديق ونحو ذلك فاما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول
توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر وان
كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه يهوديا او نصرانيا
او مشركا او وثنيا وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة فقط او للنبوة لنبينا صلى الله
عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين
يتناول مثل هذا باجماع المسلمين ولهذا كان هؤلاء مع تظاهرهم بالاسلام قد
يكونون اسوأ حالا من الكافر المظهر لكفره من اليهود والنصارى مثلا كما قال تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا
واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما ومثل هؤلاء المنافقين كفار في الباطن باتفاق المسلمين
وان كانوا متظاهرين بالشهادتين والاقرار بما جاء به الرسول ومؤدين للواجبات

الظاهرة

الظاهرة فان ذلك لا ينفعهم في الآخرة اذ لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم باتفاق ائمة
المسلمين وبهذا يظهر ضعف ما ذكره من ان لا معنى لزندقة هذه الامة
الا ما ذكره من الزندقة المقيدة التي هي مذهب الفلاسفة المشائين فان الزندقة
في هذه الامة وغيرها باتفاق ائمة المسلمين اعم من هذا كما يذكره الفقهاء كلهم في
باب توبة الزنديق وسائر احكامه وان لم يكن لفظ الزنديق واردا في الكتاب
والسنة بل معناه عندهم المنافق وقد قال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر
لنا انك على كل شيء قدير وقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله
الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي
مولاكم وبئس المصير وقال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون
بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين
هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا
الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من
المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة
قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وفي القرآن من ذكر
المنافقين في عامة السور المدنية كالبقرة والنساء والتوبة وغيرها ما لا

من

يمكنا استقصاؤه هنا بل جميع الامة بعد دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم عند ثلاثة
اصناف مؤمن وكافر ظاهرا وباطنا ومنافق هو كافر في الباطن مسلم في الظاهر فقد انزل الله
وصف الاصناف الثلاثة في اول سورة البقرة فانزل اربع ايات في المؤمنين
وايتين في الكافرين وبضع عشرة اية في المنافقين فقال تعالى ومن الناس
من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا
وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم
عذاب اليم بما كانوا يكذبون الى قوله تعالى انا معكم انما نحن مستهزءون وبالجملة
فقد ذكر الله تعالى من امور المنافقين في السور المدنية كما اومأنا اليه كسورة البقرة
والنساء والتوبة والاحزاب والفتح وغيرها ما يطول ذكره وعامة ما يوجد في النفاق
في اهل البدع فان الذي ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا وكذلك يقال عن الذي
ابتدع التجهم وكذلك رؤس القرامطة والخرمية وامثالهم لا ريب انهم من اعظم المنا
فقين وهؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم واما تكفير من لم يكن منافقا فهذا فيه
تفصيل قد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا الفرق بين من قامت عليه الحجة دون
من قامت عليه الحجة النبوية التي يكفر تاركها وبين المخطئ المجتهد في اتباع الرسول
اذا اخطأ خطؤه نفى بعض ما اثبته او اثبات بعض ما نفاه حتى في نفس المقالة
الواحدة يكفر بتكذيبها من قامت عليه الحجة دون من لم تقم كالذي قال اذا انا مت
فاسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه
احدا من العالمين فان الايمان بقدرة الله على كل شيء ومعاد الابدان من اصول
الايمان ومع هذا فهذا لما كان مؤمنا بالله وامره ونهيه وكان ايمانه بالقدرة
والمعاد مجملا فظن ان تحريقه يمنع ذلك فعل ذلك ومعلوم انه لو كان يعلم من العلم
ان الله يعيده وان حرق كما ابصر انه يعيده لا بد انه لم يفعل ذلك وقد بسطنا الكلام
في مقالات الناس في التكفير وبيان الصواب في غير هذا الموضع والمقصود ان ابا حامد
ذكر هنا ان هذه التاويلات التي اشار اليها في مشكاة الانوار لم يتم دليل

قاطع

قاطع يقتضيه وتكلم في تبديع اهلها بما تقدم وذكر ان ما يتعلق باصول العقائد
فيجب تكفير من يغير الظاهر فيه بغير برهان قاطع وقطع بتكفير الفلاسفة
كما تقدم كما قطع بتكفيرهم في تهافت الفلاسفة وقال بعد ذلك في قانون
التكفير هو ان تعلم ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول العقائد وقسم
يتعلق بالفروع واصول الايمان ثلاثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم الاخر
وما عداه فروع قال واعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات
وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة واحوال الصحابة الى ان قال ومهما
وجد التكذيب وجب التكفير ولو كان في الفروع فلو قال قائل مثلا البيت الذي بمكة
ليس هو الكعبة التي امر الله بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواترا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلافه ولو انكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه
الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا انه معاند في انكاره الا ان يكون
قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك وكذلك من نسب عائشة
رضي الله عنها وعن ابيها الى الفاحشة وقد نزل القران ببراءتها فهو كافر
لان هذا وامثاله لا يمكن انكاره الا بتكذيب او انكار التواتر والمتواتر ينكره
الانسان بلسانه ولا يمكنه ان يجهله بقلبه نعم لو انكر ما ثبت باخبار الاحاد
فلا يلزمه الكفر ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا عندي فيه نظر لان معرفة كون
الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع فاما الاصول الثلاثة فكل ما لم
يحتمل التاويل في نفسه وتواتر نقله ولم يتصور ان يقوم برهان على خلافه فمخالفته
تكذيب محض ومثاله ما ذكرناه في حشر الاجساد واحاطة علم الله بتفاصيل
الامور وما تطرق اليه احتمال تاويل ولو بالمجاز البعيد فينظر فيه الى البرهان
فان كان قاطعا وجب القول به لكن ان كان في اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم
فاظهاره بدعة وان لم يكن البرهان قطعيا لكن يفيد ظنا غالبا وكان مع ذلك
لا يعظم ضرره في الدين كنفي المعتزلة الرؤية عن الباري تعالى فهذه بدعة وليس بكفر
واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل ان يكفر وان لا يكفر

ومن جنس ذلك من يدعي من المتصوفة انه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى اسقطت عنه
الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصي واكل مال السلطان فهذا مما لا اشك في وجوب
قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا افضل من قتل مائة كافر
اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسد فضرر هذا فوق ضرر من يقول
بالاباحة مطلقا فانه يمتنع من الاصغاء اليه لظهور كفره واما هذا فيهدم الشرع
من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم الكتاب اذ خصص عموم
ايات التكليف بمن ليس له مثل درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس الدنيا ويقارف
المعاصي بظاهره وهو بباطنه بريء عنها ويتداعى هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل
حاله وينحل به عصام الشرع ولا ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان يدرك
قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدماء
والحكم بالخلود في النار فماخذه كماخذ سائر الاحكام الشرعية فتارة يدرك
بيقين وتارة يدرك بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد فالتوقف
عن التكفير اولى والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل
ولا بد من التنبيه لقاعدة اخرى وهو ان المخالف قد يخالف نصا متواترا
ويزعم انه مؤول ولكن لا انقداح له اصلا عن اللسان لا على قرب ولا على بعد
فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول مثاله ما رايته في كلام بعض
الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى انه يعطي
العلم ويخلقه لغيره وموجود بمعنى انه يوجد غيره فاما ان يكون في نفسه واحدا
او موجودا او عالما بمعنى اتصافه بها فلا وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد
الوحدة ليس من التاويل في شيء ولا تحتمله لغة العرب ولو كان خالق الوحدة
واحدا لخلقه الوحدة لسمي ثلاثا واربعا لانه خلق الاعداد ايضا فامثلة هذه
المقالات تكذيبات عبر عنها بالتاويلات ثم قال فصل قد تكلمت

في هذه

في هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق بامور احدها ان النص الشرعي الذي
عدل به عن ظاهره هل يحتمل التاويل ام لا وان احتمل التاويل فهو قريب ام بعيد
الثاني في النص المتروك انه ثبت تواترا او احادا او ثبت بالاجماع المجرد الثالث في ان
صاحب المقالة هل تواتر عنده الخبر او بلغه الاجماع اذ كل من يخالف لا تكون الامور عنده
متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف الرابع النظر في دليله
الباعث له على مخالفة الظاهر هو على شرط البرهان ام لا

الخامس ان ذكر تلك المقالة هل يعظم ضرره في الدين ام لا

قلت ليس المقصود هنا
تعقب كلامه في التكفير فان هذه مسئلة كبيرة وفيها اضطراب عظيم لا يحتمله هذا الموضع
وانما المقصود الكلام على تصويب التاويل وتخطئته والقطع بذلك فانه قد
ذكر انه من النصوص ما لا يحتمل التاويل وجعل امثال تلك التاويلات تكذيبات ومن
تدبر هذا وجد جمهور ما تذكره الفلاسفة والمعتزلة في التاويل هو من هذا
الباب ولا ريب ان المعتزلة اقرب الى الاسلام من الفلاسفة ومن اشهر مسائلهم
التي امتحنوا الناس عليها قولهم ان القران مخلوق وقالوا معنى ان الله متكلم انه
خلق في غيره كلاما وقد قال هذا ان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من التاويل في شيء
ولا تحتمله لغة العرب اصلا ولو كان خالق الوحدة واحدا لخلقه الوحدة لسمي ثلاثا
واربعا لانه خلق الاعداد ايضا ومثل هذا يقال في الكلام والارادة والرضى والغضب
واشباه ذلك مما يقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم انه خلقه في غيره فتسمى واتصف به
فان حمل المتكلم على الذي اوجد الكلام في غيره بمنزلة حمل العالم والقادر والسميع البصير على الذي اوجد العلم والقدرة ونحوهما
في غيره ولو كان متكلما بما يخلقه في غيره لكان ما نطق به الايدي والجلود التي
قالت انطقنا الله الذي انطق كل شيء متكلما به وكان ذلك كلام الله ولم يكن فرق بين
ان يقول هو وبين ان ينطق غيره ثم انه اذا اقام الدليل على انه خالق افعال العباد
لزم ان يكون هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام كما قال بعض الاتحادية

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

وحينئذ لا فرق بين قول فرعون انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري
وبين القول الذي سمعه موسى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة

لذكرى وهكذا تصرح به هؤلاء الجهمية الاتحادية كما وجدته في كتبهم وكما
شافهني بذلك حذاقهم ومحققوهم وشيوخهم ويقولون انه هو المتكلم على لسان
كل قائل لا يكتفون بأن يكون هو الذي انطق كل شيء كما يقول المسلمون بل يقولون
انه الناطق في كل شيء فلا يتكلم الا هو ولا يسمع الا هو حتى قول مسيلمة والدجال
وفرعون يصرحون بأن قولهم هو قوله وخاطبت في ذلك بعضهم فذكرت له الدجال
فقال يكون الدجال مستثنى من ذلك بالشرع فقلت له هذا لا يمكن على اصلكم
في الوحدة فتحير وبقي في حيرة ومن اصولهم الجمع بين النقيضين والضدين
وقول هؤلاء هو في الحقيقة قول الجهمية الذين كفرهم السلف والائمة لكن اولئك
ظهر عنهم انهم قالوا ان الله بذاته في كل مكان وكل من القائلين بالقولين قد يقول بقول
الآخر كما بينته في غير هذا الموضع فان هؤلاء يقولون بالمظاهر وانه ظهر في الاشياء
فقلت لبعضهم فالمظاهر وجود او عدم قال وجود قلت فهي غيره ام لا فان قلتم
غيره فقد قلتم بموجودين وان قلتم لا بطل ما قررتموه فتحير ولهذا لما فهم السلف
حقيقة قول هؤلاء كفروهم كما قال عبد الله ابن المبارك ما ذكره البخاري في كتاب
خلق الافعال قال وقال ابن مقاتل سمعت ابن المبارك يقول من قال اني انا الله
لا اله الا انا فاعبدني مخلوق فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق ان يقول ذلك قال وقال
ابن المبارك لا نقول كما قالت الجهمية انه في الارض هاهنا بل على العرش استوى
وقيل له كيف نعرف ربنا فقال فوق سمواته على عرشه وقال لرجل منهم اتظنك خال منه
فبهت الآخر وقال من قال لا اله الا الله مخلوق فهو كافر وانا لنحكي كلام اليهود والنصارى
ولا نستطيع ان نحكي كلام الجهمية قال البخاري وقال علي بن عاصم ما الذين قالوا ان
لله ولدا اكفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم قال البخاري وقال ابو الوليد
سمعت يحيى بن سعيد وذكر له ان قوما يقولون القرآن مخلوق قال فقال كيف
يصنعون بقل هو الله احد كيف يصنعون بقوله اني انا الله لا اله الا انا
قال وقال سليمان بن داود الهاشمي من قال القرآن مخلوق فهو كافر وان كان
القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون اولى بان يخلد في النار اذ قال انا

ربكم الاعلى وزعموا ان هذا مخلوق والذي قال اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني هذا
ايضا قد ادعى ما ادعى فرعون فلم صار فرعون اولى بان يخلد في النار من هذا وكلاهما
عنده مخلوق فأخبر بذلك ابو عبيد فاستحسنه قلت المقصود التنبيه على ان
السلف فهموا حقيقة قول هؤلاء الجهمية الذي هو حقيقة قول القرامطة ومن وافقهم
من الفلاسفة فانهم ينفون الصفات وهم في الحقيقة ينفون الاسماء ايضا لكن
يحتاجون الى اطلاقها في الظاهر لاجل تظاهرهم بالاسلام ويتأولونها على انه خلق
معانيها في غيره وهذه هي القاعدة المعروفة وهو ان الصفة اذا قامت بمحل عاد
حكمها على ذلك المحل دون غيره ووجب ان يشتق لذلك المحل من المعنى اسم ولا يشتق
لغيره الاسم والمعتزلة تنازع اهل الاثبات في بعضها كما تنازعهم القرامطة في
بعضها وطرد ذلك في اسماء الافعال كالعادل ونحوه فان المفهوم من مذهب الفقهاء
اصحاب الائمة الاربعة واصحاب الحديث والصوفية وطوائف من اصحاب الكلام طرد ذلك
ومن لم يطرده انتقضت حجته ولا فرق في ذلك بين نوع ونوع في الحقيقة ولكن من المذاهب
ما قل قائله وخفي وظهر مخالفته لما استقر في قلوب المسلمين ومنها ما كثر قائله ونفي نفور
القلب عن ذلك القول ومشتبهه اعظم ولو فرضنا ان شخصا مؤمنا باطنا وظاهرا
لكن جهل وضل في صفة القدرة او العلم حتى ظن ان القدرة تقوم بغيره والعلم بغيره
كما هو قول الباطنية لكان حاله كحال من هو مؤمن باطنا وظاهرا وقد جهل وضل حتى
اعتقد ان الكلام لا يقوم به بل بغيره وكثير من اهل المقالات قد اخرج بعض
الموجودات عن قدرته ومنع قدرته على شيء كحال الذي قال لاهله ما قال فهذه المقالات
هي كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التي يكفر تاركها
وان اطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل اطلاق القول بنصوص الوعيد مع ان
ثبوت حكم الوعيد في حق الشخص المعين موقوف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه ولهذا
اطلق الائمة القول بالتكفير مع انهم لم يحكموا في عين كل قائل بحكم الكفار بل الذين امتحنوهم
وامروهم بالقول بخلق القرآن وعاقبوا من لم يقل بذلك اما بالحبس والضرب والاخافة
وقطع الرزق بل بالتكفير ايضا لم يكفروا كل واحد منهم واشهر الائمة بذلك الامام احمد

وكلامهم في تكفير الجهمية مع معاملته مع الذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف
وانما المقصود هنا التنبيه على ان عامة هذه التاويلات مقطوع ببطلانها وان الذي يتاوله
او يسوغ تاويله فقد يعذر بالخطا في نظيره او فيه بل قد يكفر من يتاوله ونحن قد
بسطنا الكلام في هذه الابواب في غير هذا الموضع وانما الغرض في هذا الجواب التنبيه
على مخالفة اقوال هؤلاء المتفلسفة لدين الاسلام وان اقوالهم هذه التي ادخلها من ادخلها
من المتكلمة والمتصوفة في دين الاسلام ليست موافقة لاقوال الرسل بل نقطع بمخالفتها
وانا انبه على نكت فيما ذكره الوجه الثالث عشر ان ما ذكره في قصة ابراهيم الخليل
عليه السلام من ان المراد بالكوكب والقمر والشمس ما يذكره المتفلسفة من العقول
والنفوس كما في المشكاة وان الشمس هي العقل لكونه هو المفيض على النفس كالشمس مع
القمر وهم مضطربون في هذا التاويل فان العقول عندهم عشرة والنفوس تسعة
والشمس والقمر اثنان والكواكب كثيرة فلا ينطبق هذا على هذا ولهذا كلامهم في المطابقة
مضطرب كما تقدم وملخصه انه جعل الكوكب هي النفوس المتعددة وجعل القمر كنفس الفلك
التاسع وجعل الشمس هي العقل لكن المقصود ان هذا مما يعلم بالاضطرار انه ليس هو
المراد بالاية ولم يقل احد من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين بل قد اتفق كل من
تكلم في تفسير القرآن من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين على ان المراد بالكوكب
والقمر والشمس ما هو معروف من مسميات هذه الاسماء وهذه الاعيان المشهودة المحسوسة
ولا كان احد من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين يثبت العقول والنفوس كما يثبتها
هؤلاء المتفلسفة ولا الملائكة المذكورون في الكتاب والسنة على الصفة التي تنص
هؤلاء وما يذكرونه من العقول والنفوس فضلا عن ان تسميها عقولا ونفوسا بل بينهما
من الفروق والمخالفات ما لا يكاد يحصيه الا الله ولفظ الكوكب والشمس والقمر معرف بلام
التعريف والبزوغ والافول لا يحتمل ما يذكرونه من العقول والنفوس في لغة العرب بوجه
من الوجوه والذين نقلوا القرآن لفظه ومعناه عن الرسول قد علم بالتواتر والاضطرار
عنهم ان المراد بالشمس والقمر الشمس والقمر كما ان ذلك هو المراد بهذين الاسمين

ومن بعدهم من علماء

في

في عامة القرآن كقوله ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون وقوله ومن اياته
الليل والنهار والشمس والقمر وقوله والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وقوله
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقوله اذا الشمس
كورت وقوله في وصف القمر والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر الاية ولكن هذا من جنس تاويل القرامطة
كالسهروردي الحلبي وامثاله ان المراد بالشمس هنا عقل الانسان والنجوم حواسه
وبالجبال اعضاؤه ونحو ذلك مما بيناه وفيه نصوص القيمة على موت الانسان وهو
كتاويل بعض كبار الاتحادية الذين يفسرون طلوع الشمس من مغربها بطلوع كلامهم
وبطلوع النفس من البدن ونزول عيسى بن مريم من السماء بنزول روحانيته
او جزئها على هذا الشخص وكان اسم امه مريم وامثال ذلك ومعلوم ان حمل كلام الله
ورسوله على معنى من المعاني لا بد فيه من شيئين احدهما ان يكون ذلك المعنى
حقا في دين الاسلام يصلح اخبار الرسول عنه الثاني ان يكون قد دل عليه بالنص
لفظ يدل عليه دلالة لفظ على معناه وكل من المقدمتين هنا معلوم انتفاؤه قطعا
بالاضطرار فان من فهم ما يقوله هؤلاء من العقول والنفوس وان سموها ملائكة
وفهم ما جاءت به الرسل عن الاخبار بملائكة الله واعتبر احد القولين بالاخر
علم بالاضطرار ان قول هؤلاء من اعظم الاقوال منافاة لاقوال الرسل فان ذلك من اعظم
الكفر في دين الرسل وان حقيقته حقيقة قول من يقول ولد الله وانهم لكاذبون
ومن خرق له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وحقيقة قول الذي اخبر
عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حيث قال يقول الله شتمني ابن ادم
وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن ادم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت

ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واما تكذيبه اياى
فقوله لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته وهذا الحديث
منطبق على هولاء المتفلسفة فان قولهم فى المبدا بالتولد عنه وفى المعاد بعود
النفوس الى عالمها من دون اعادة الخلق يتضمن من شتم الله وتكذيبه ما اخبر به
رسوله وهذا باب واسع لكن المقدمة الثانية اغرب وهو كون لفظ الكواكب
والشمس والقمر فى القران اريد بالكواكب النفوس الكلية وبالقمر نفس الكل وبالشمس
العقل فان هذا مما يعلم بالاضطرار ان لفظ القران لا يحتمله لا حقيقة ولا مجازا
كما لا يحتمل الا يراد بلفظ الشمس والقمر والكواكب ادم وحوا واولادهما اذ هم ابوا
ابراهيم واخوته كما كان مثل ذلك بتاويل فى رؤيا يوسف وكما لا يحتمل انه اراد بالشمس
والقمر والكواكب سلطان وقته ووزيره واعوانه وشبه ذلك مما قد يعبر به لعابر
فيمن راى الشمس والقمر والكواكب ثم الرائى كيوسف الصديق انما مثل له فى منامه
سجود هذا الشمس والقمر والكواكب لكن لم تكن هى الساجدة فى الخارج بل مثل له
ذلك فى نفسه وهولاء يزعمون ان ابراهيم لم يرد هذا الشمس والقمر والكوكب
لا فى نفسه ولا فى الخارج فكيف اذا حمل على ما هو ابعد وهذا الجواب لا يحتمل البسط
الوجه الثالث ان يقال قصة ابراهيم الخليل التى قصها الله تعالى فى كتابه مع انها
من اعظم سبل الاعتبار لتحقيق التوحيد فقد ضل بها فريقان من الناس واصل
ضلالهم انهم اعتقدوا ان ابراهيم لما قال هذا ربى مخبرا او مستفهما او مقدرا
اراد ان هذا هو الذى خلق السموت والارض وانه رب العالمين ثم انهم لما ظنوا انه اراد
هذا سلك هولاء سبيله وهولاء سبيلا ولو تدبروا القصة لعلموا انها تدل على
نقيض قولهم فالفريق الاول طوائف من اهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن
اتبعهم من غيرهم حتى مثل ابن عقيل وابى حامد وغيرهم قالوا ان هذا الذى سلكه
ابراهيم هو الدليل الذى سلكه هولاء فى حدوث الاجسام حيث استدلوا على ذلك

فى الدلالة

بما قام بها من الاعراض الحادثة كالحركة واثبتوا حدوث الاعراض او بعضها ولزومها
للجسم او بعضها ثم قالوا وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث ثم منهم من اخذ ذلك
مسلما ومنهم من تفطن للسؤال الوارد هنا وهو الفرق بين ما لا ينفك عن عين الحوادث
او نوعه فان الحادث المعين اذا قدر انه لازم لغيره فلا ريب انه حادث هذا معلوم
بالضرورة والاتفاق واما ما يستلزم نوع الحوادث فانما يعلم حدوثه اذا قدر امتناع
حوادث لا اول لها كما خاضوا فى تقرير هذه المقدمة بما ذكروه والمقصود هنا ان من هولاء
من جعل هذا هو دليل ابراهيم الخليل على اثبات الصانع وهو انه استدل بالافول الذى
هو الحركة والانتقال على حدوث ما قام به ذلك ولو تدبروا لعلموا ان قصة ابراهيم
هى على نقيض مطلوبهم ادل الاقوال اما اولا فان ابراهيم انما قال لا احب الافلين والافول
هو المغيب والاحتجاب بالعلم العام المتواتر الضرورى فى النقل واللغة ولم ينقل
احد ان الافول مجرد الحركة واما ثانيا فانه قد قال فلما راى القمر بازغا قال هذا ربى
فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما
افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون ومعلوم انه من حين البزوغ ظهرت فيه الحركة
فلو كانت هى الدليل على الحدوث لم يستمر على ما كان عليه الى حين المغيب بل هذا يدل على
ان الحركة لم يستدل بها او لم تكن تدل عنده على نفس مطلوبه واما ثالثا فانما قال
لا احب الافلين فنفى محبته فقط ولم يتعرض لما ذكروه واما رابعا فمن المعلوم ان
احدا من العقلاء لم يكن يظن ان كوكبا من الكواكب دون غيره من الكواكب هو رب
كل شىء حتى يكون رب سائر الكواكب والافلاك والشمس والقمر وقد بسطنا الكلام
فى ذلك فى غير هذا الموضع والفريق الثانى من فسر ذلك من متفلسفة الصوفية
المتصوفة انه النفوس او العقول كما ذكره ابو حامد ومعلوم ان هذا افسد من الاول
بكثير مع انه فى المشكاة رجح حال من يعتقد الربوبية هذه فيما راى على طوائف السلف
الصفاتية المقرين برب العالمين فانه لما ذكر الحجبة ثم اخذ فى تفسير الحديث المكذوب

ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره
وفي بعضها سبعمائة وفي بعضها سبعين الف حجاب فنقسم المحجوبين ثلاثة اقسام
الاول المحجوبون بمحض الظلمة وهم المعطلة للصانع الثاني المحجوبون بنور مقرون
بظلمة وهي ثلاثة انواع حسية وخيالية وعقلية فالحسية كطوائف من المشركين
والمجوس والخيالية كطوائف من المسلمين من المجسمة والكرامية والعقلية قال
هم المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقامات عقلية فعبدوا الها سميعا بصيرا
متكلما عالما قادرا مريدا حيا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح احدهم فقال كلامه صوت ككلامنا وربما ترقى
بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك اذا طولبوا بحقيقة
السمع والبصر رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان انكروها باللفظ بل ما ادركوا
اصل معاني هذه الاطلاقات في حق الله تعالى وكذلك قالوا في ارادته انها
حادثة مثل ارادتنا وانها طلب وقصد مثل قصدنا وقال وهذه مذاهب مشهورة
فلا حاجة الى تفصيلها فهولاء محجوبون بجملة الانوار مع ظلمة المقامات العقلية
فهولاء كلهم اصناف القسم الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة القسم الثالث
المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا يمكن احصاؤهم باستراك ثلاثة اصناف
منهم فالاول طائفة عرفوا المعاني والصفات تحقيقا وادركوا اطلاق اسم الكلام
والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا
عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى
صلى الله عليه وسلم في جواب قول فرعون وما رب العالمين فقال ان الرب
المقدس المنزه عن المفهوم الظاهر من معاني هذه الصفات هو محرك السموات
ومدبرها والصنف الثاني ترقوا عن هولاء من حيث ظهر لهم ان في السموات كثرة
وان محرك كل سماء خاصة بوجود اخر يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار

الالهية فنسبة الكواكب الى الانوار المحسوسة ثم لاح لهم ان هذه السموات
في ضمن فلك اخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فقالوا الرب
هو المحرك للجرم الاقصى المنطوي على الافلاك كلها اذ الكثرة منتفية عنه
والصنف الثالث ترقوا من هولاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة
ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى
ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار المحسوسة فزعموا
ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل بطريق الامر
لا بطريق المباشرة ثم في فهم ذلك الامر وماهيته غموض تقصر عنه اكثر الافهام
ولا يحتمله هذا الكتاب فهولاء كلهم اصناف محجوبون بالانوار المحضة وانما
الموحدون الواصلون الى حضرة الحق صنف رابع تجلى لهم ايضا ان هذا المطاع
موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ كثيرا لا يحتمل هذا
الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع نسبة الشمس الى الانوار المحسوسة
فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي امر بتحريكها الى الذي فطر السموات
والارض وفطر الامر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما ادركه بصر من قبلهم
فاحرقت سبحات وجهه الازلي على جميع ما ادركه بصر الناظرين وبصيرتهم
اذ وجدوه مقدسا منزها عن جميع ما وصفه من قبل ثم هولاء انقسموا فمنهم من
احترق منه جميع ما ادركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظا للجمال
المقدس وملاحظا ذاته من جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية
فانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هولاء طائفة هم خواص الخواص
فاحرقتهم سبحات وجهه من انفسهم وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا
في ذواتهم ولم يبق لهم لحاظ الى انفسهم لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد
الحق وصار معنى قوله كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقا وحالا وقد اشرنا
الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا انهم كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه
نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج في الترقي على التفصيل الذي ذكرناه ولم
يطل عليهم الطريق فسبقوا من اول مرة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية

عن كل ما يجب تنزيهه فغلب عليهم او لا ما غلب على احد الاخرين اذ هجم عليهم التجلي دفعة فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدرك ببصر حسي وبصيرة عقلية من غير تدريج ويشبه ان يكون الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله عليهما والله اعلم باسرارها وانوار غايتهما فهذه اشارة الى اصناف المحجوبين بالنور والظلمة ولا يبعد ان تبلغ اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين الفا ولكن اذا فتشت لا تجد واحدا منهم خارجا عن الاقسام التي حصرناها فانهم انما محجوبون بصفاتهم البشرية وبالحس او بالخيال او بمقايسة العقل او بالنور المحض كما سبق فهذا الكلام مع ما فيه من تصويب مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم وتخطية الصفاتية الذين هم سلف الامة وائمتها واهل الحديث والتصوف والفقه وحذاق اهل الكلام من الكلابية والاشعرية والكرامية والهشامية وغيرهم يتضمن ايضا تفضيل الذين يعتقدون في احد النفوس والعقول انه رب العالمين وغايتهم ان يجعلوا ذلك هي الملائكة ويتضمن تفضيل من يعتقد في ملك من الملائكة انه رب العالمين على من يقر برب العالمين من الصفاتية المسلمين واليهود والنصارى واذا كان معلوما بالاضطرار من دين الرسل ان الفلاسفة الصابئة الذين يعبدون الملائكة مع قولهم انهم مخلوقون هم اسوأ حالا من اهل الكتاب اليهود والنصارى مع ما وصف الله هؤلاء من المقالات الغالية من التجسيم والتعطيل وقد ذكر الله في كتابه العزيز عن اليهود انهم قالوا يد الله مغلولة وانهم قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وذكر انه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسه من لغوب ناك من قال من اليهود انه استراح يوم السبت فنزه نفسه عن اذ يمسه لغوب وذكر قول النصارى ان المسيح هو الله وانه ابن الله وان الله ثالث ثلاثة ومع هذا فالمشركون الذين يعبدون الملائكة وغيرها اسوأ حالا من هؤلاء باتفاق المسلمين مع اقرارهم برب العالمين فكيف بتفضيل من يقول ملكا هو رب العالمين على طوائف المسلمين واليهود والنصارى الذين يثبتون

الصفات

الصفات ولو فرض ان بعضهم اخطأ في بعض ذلك فهذا يشبه ما ذكره الملحد بقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ومنشأ هذا الضلال الذي وقع في قصة ابراهيم ما تقدم ذكره من ظنهم انه قال ان الكوكب او القمر او الشمس رب العالمين وليس الامر كذلك بل ابراهيم عليه السلام خاطب قومه المشركين الذين كانوا مع اقرارهم برب العالمين يعبد احدهم ما يستحسنه ويهواه ويراه نافعا له فهذا يعبد المشتري وهذا يعبد الزهرة وهذا يعبد غيرها كما كانت الكواكب تعبد وكان اعظم ما يعبد من ذلك الشمس والقمر لظهور تأثيرها في العالم وكانوا يبنون لها كل العبادات لهذه المعبودات فيقولون هيكل الشمس هيكل القمر هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الزهرة هيكل عطارد وقد ذكر المصنفون لاخبارهم ان احد مسجدي دمشق وحران كان هيكل المشتري والاخر هيكل الزهرة وكان ابراهيم عليه السلام قد ولد بحران كما هو معروف عند اهل الكتاب وجمهور المسلمين وكان ابوه في ملك النمرود وكان قد استولى على العراق وغيرها وكانوا صابئة فلاسفة يعبدون الكواكب وقد صنف من صنف في مخاطبة الكواكب والسحر على مذهبهم مثل كتاب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم ونحو ذلك مما يذكر فيه مذاهب الكلدانيين والكشدانيين وكانوا مع بنائهم هياكل النجوم يبنون هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل النفس ويفرقون بين هذا وهذا وبقوا بحران ووسط اكثر من ثلاث مائة سنة في صدر الاسلام وتنازع الفقهاء في قبول الجزية منهم ومنهم من جعل للشافعي واحمد قولين واستقراء القول فيهم على التفصيل بان من دان منهم بدين اهل الكتاب الحق به والا فلا فدخلوا في النصرانية وشرح حالهم يطول والمقصود ان

مخاطبة الخليل عليه السلام تضمنت الرد على الفلاسفة الصابئين المشركين
وامثالهم فان احدهم كانت عبادته تابعة لما يحبه ويرضاه فانهم انما يتبعون
الظن وما تهوى الانفس واحدهم يظن ان عبادة هذا الكوكب ومخاطبته
تنفعه بجلب منفعة ودفع مضرة فيتخذه الها مع اقراره بانه مربوب ليس هو
رب العالمين وهؤلاء احد انواع المشركين وكانوا تارة يتخذون هذه الكواكب
اجساما على ما يظنونه موافقا لطبائعها كما يلبسون لها من اللباس ويتختمون
لها بالخواتيم ويتحرون لها من الايام ما يظنونه موافقا لطبائعها وقد سمي ذلك
علم الاستخدام والروحانيات وقد يتمثل لاحدهم شيطان يخاطبه فيقول هذه
روحانية الكوكب او خادمه كما كانت لاصنام العرب شياطين تخاطبهم وكذلك
في بلاد الترك والهند من الشياطين التي تخاطب المشركين ما هو معروف ولهذا
قال الخليل في اخر امره انني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فتبرأ مما كانوا يشركون بالله
وذكر انه وجه قصده وعبادته للذي فطر السموات والارض وهذه الحنيفية
ملة ابراهيم التي بعث الله بها الرسل وهي عبادة الله وحده لا شريك له
وليس في لفظه احداث اقرار بالصانع بل كان الاقرار بالصانع ثابتا عندهم
ولهذا قال في الاية الاخرى افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين وقال ايضا قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى اذ
قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فبهذا وغيره يتبين ان القوم كانوا
مشركين بالله مثل ما كان مشركوا العرب قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون فهم يجعلون معه الهة اخرى يعبدونها مع اعترافهم

انه وحده رب العالمين كما ذكر الله ذلك في غير موضع في القرآن في مثل قوله قل لمن
الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء
وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وكانوا يتخذونهم
شفعاء وشركاء كما اخبر القرآن بذلك ولهذا قال الخليل لا احب الافلين فذكر انه
لا يحب لانهم كانوا على عادتهم على عادة المشركين يعبد احدهم ما يحبه ويهواه ويتخذ
الهه هواه وقوله لا احب الافلين كلام مناسب ظاهر فان الافل يغيب عن عابده
فلا يبقى وقت افوله من يعبده ويستعينه وينتفع به ومن عبد ما يطلب منه المنفعة
ودفع المضرة فلا بد ان يكون ذلك في جميع الاوقات فاذا افل ظهر بالحس
حينئذ انه لا يكون سببا في نفع ولا ضر فضلا عن ان يكون مستقلا ولهذا قال
ابراهيم في مناظرته لهم وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف
ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف
اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا فاي
الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون وهذه محاجة قوم كانوا يخوفونه بالهتهم كما هي عادة
المشركين يخوفون من يكفر بطواغيتهم اي مضرة ذلك فقال الخليل وكيف اخاف
ما اشركتم فهو لا يخاف ما اشركتموه بالله فتعبدونه كما يعبد الله ولا تخافون انكم اشركتم بالله
ما لم ينزل به عليكم سلطانا فان الله لم ينزل كتابا من السماء ولم يرسل رسولا
بعبادة شيء سواه كما قال تعالى واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت
هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون

شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم نفسه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم
عظيم وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ولكن نبهنا على المقصود الوجه
الرابع عشر قوله فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة علية
يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى
اربابا ويكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة
فبالحري ان يكون مثالها في عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب الى اخر الكلام فيقال
لا ريب ان تسمية هذه اربابا هو كلام اليونانيين وامثالهم من المشركين فانهم
يصرحون في كتبهم بتسمية هذه المجردات التي يقولون انها الملائكة اربابا والهة
ويقولون هي الارباب الصغرى والالهة الصغرى وهؤلاء المتفلسفة الصابئة
يعبدون الملائكة والكواكب واما الرسل واتباعهم الموحدون فنفوه قال الله تعالى
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون وقال تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا
بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون
له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك

نجزيه

نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى وكم
من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقال تعالى قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى
اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وامثال ذلك
كثير ثم هذا معلوم بالاضطرار ان الملائكة ليست اربابا ولا تسمى في الشريعة اربابا
فقول القائل ولاجلها قد تسمى اربابا يقال له هذه التسمية هي من التسمية المذكورة
في قوله ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان وكما قال
يوسف الصديق يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
بل لا رب الا الله ربنا ورب ابائنا الاولين واذا قيل في البشر رب كذا فانما
يضاف الى غير المكلف كما يقال رب الدار ورب الثوب وكما قال صلى الله عليه وسلم
لابي الاحوص الجشمي ارب ابل انت ام رب غنم وكما قال اذا اختلف البيعان
فالقول ما قال رب السلعة وهذا مما يبين ضلال بعض من يتاول كلام شيوخ
الاتحادية فانه لما قال في الفصوص فصح قول فرعون انا ربكم الاعلى وان كان
عين الحق زعم بعض اتباعه بقوله انما صح قوله كما يقال رب الثوب ورب الدار
ونحو ذلك واعجب من ذلك قول بعض اكابرهم انه اراد رب كذا ومعلوم ان
هذه الاقوال لولا انه يقولها بعض المعروفين من الشيوخ ويضلون بها اكابر من
الناس لكان المؤمن في غنية عنها وعن حكايتها وردها لظهور فسادها
لكل احد فيقال لهذا ان صاحب الفصوص عنده قد صرح بمذهبه تصريحا

ازال الشبهة في غير موضع فلا حاجة الى هذا التكليف وقد قال لما كان فرعون
في منصب التحكم انه الحاكم بالسيف وانجاز في العرف ان موسى لذلك قال انا ربكم
الأعلى اي ان كان الكل اربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما اعطيته في الظاهر من الحكم
فيكم قال ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه واقروا له بذلك وقالوا اقض
ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا قال ولهذا صح قوله انا ربكم الأعلى وان كان عين الحق فقد صرح
انه عين الحق وان قوله انا ربكم الاعلى صح مع كون الجميع اربابا بنسبة ما فالعياذ بالله
هو الرب ثم يقال له فرعون قد قال ما علمت لكم من اله غيري وقال لموسى وما رب
العالمين فانكر الصانع وذكر الله ذلك عنه فلا حاجة الى تاويل الكلام ويقال
له الله سبحانه ذكر هذا الكلام عنه منكرا له غاية الانكار مبينا لعقوبته فقال
وهل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون
انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى
فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الأعلى فاخذه الله نكال
الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى فقد صح من الله سبحانه انه اخذه
نكالا على ذلك وجعل ذلك عبرة وجعل المناداة بهذه الكلمة عينا على
الكفر حيث قال فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الأعلى
وقد قالوا ان قوله الاخرة والاولى اي كلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله
غيري وكلمته الاخرى وهي قوله انا ربكم الأعلى فان هذه اعظم من تلك ثم
يقال اوجب ذلك انه لا يجوز لاحد ان يجعل غير الله ربا كما لا يجوز ان يوصف
بالربوبية مطلقا الا الله وحده لا شريك له الوجه الخامس عشر ما ذكر في
تفسير قصة موسى والوادي المقدس وتفسير ذلك فنقول هؤلاء المتفلسفة
في العقول والنفوس قد انتحلوا هذا من الاصول المخالفة لدين المسلمين
واليهود والنصارى ان الطور الذي كلم الله عليه موسى هو جبل من الجبال
والطور الجبل وعلم بالاضطرار من دين اهل الملل والنقل بالتواتر ان الله

انه يقول من الجن والانس انا ربكم غير الله تعالى ولا يجوز لاحد

بالاضطرار ما لا ينبغي لهذا الموضع لذكره مع ان دلالة هذه الالفاظ على تلك المعاني افسد مما ورده من التاويلات ونحن نعلم من ملة المسلمين واليهود والنصارى صح

لما كلم موسى كلمه من الشجرة فانه كان يخرج منها نار محسوسة وان موسى عليه السلام
لما ذهب امراته المخاض قال لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى طلب ان
يجيء بجذوة نار او يجد من يخبره وانه سبحانه وتعالى كلمه وهو بالوادي المقدس
طوى وعلم ان هذا التكليم الذي كلمه موسى لم يكلم غيره من الانبياء والرسل الا
ما يذكر من مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وعلى ما ذكروه فلا فرق بين
موسى وغيره من الانبياء بل وغير الانبياء قال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد
قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
وقال تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الاية وقال تعالى في سياق ذكر الانبياء
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب
الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وقد ذكر
منادته اياه ومناجاته له في مواضع من القران ولم يذكر انه فعل ذلك بغيره من
الانبياء وهذا مما اجمع عليه المسلمون واهل الكتاب ان تكليم الله تعالى
لموسى من خصائصه التي فضله بها على غيره من الانبياء والرسل وفي الصحاح
من الاحاديث مثل حديث الشفاعة ومحاجة ادم موسى وذكر فضيلته بتكليم الله
اياه وكذلك في حديث المعراج من رواية شريك عن انس وهو في الصحيحين
وهذا يقول ثم السلف والائمة ضللوا بل كفروا من قال ان الله خلق كلاما في الشجرة
او الهواء فسمعه موسى كما يقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم ومعلوم ان هذا اقرب
الى اقوال الرسل من قول هؤلاء المتفلسفة الذين يزعمون ان ذلك فيض فاض من
العقل على نفس النبي كما يفيض على سائر الانبياء بل وغيرهم فان هذا ليس من

مقالات اهل الملل لا سنيهم ولا بدعيهم لكن من مقالات الصابئة المتفلسفة
الذين ليس عندهم في الحقيقة لله كلام ولا ملائكة تنزل بكلامه بل عندهم
لا تمييز بين موسى وهرون ولا بينهما وبين فرعون فكيف يتصور على اصلهم ان
يختص موسى برسالاته وكلامه غايته ان القلوب عندهم مثل انية توضع تحت
السماء فيقع فيها المطر او نبات تنبسط عليه الشمس فيحصل فيها فيكون ذلك بحسب
القابل ولهذا يمكن عندهم ان يكلم كل واحد كما كلم موسى وعندهم قد يسمع احدهم
ما سمعه موسى وقد ذكر ذلك صاحب المشكاة في غير هذا الموضع وهذا القول
لا ريب انه يعلم بالاضطرار من دين الاسلام انه باطل وقد بينا في غير هذا
الموضع الشبهة الباطلة التي قادت من قالها من المتكلمين في سماع كلام الله
ورؤيته حيث قالوا ان ذلك ليس الا مجرد ادراك يحصل في نفس العبد من
غير اسباب منفصلة عنه وهذا مما اوقع الطائفة الاتحادية وغيرهم من
المبتدعة في دعوى رؤيته في الدنيا وهو ايضا مما يجريهم على مقام التكليم نعوذ
بالله من الضلالة ونسأله الهدى والثبات عليه وتجدهم قد فتحوا هذه الجرأة على
الله فلا يزال احدهم لا يدعي ما خص به المكلم في شريف مقام الجليل ولا يميزون
لضلالهم ونفاقهم بين ما يوحيه الله تعالى الى انبيائه وبين اوليائه من الالهام
والحديث الذي يجب عرضه على الكتاب والسنة وبين تكليمه لنبيه موسى من
وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ففرق ما بين ما يوحيه والايحاء
الاعلام الخفي السريع وبين تكليمه لموسى من وراء حجاب نداء ونجاء وكذلك
قال تعالى واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا وقال واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد
كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي فعمر فهذا وامثاله مما يكون
لغير الانبياء فاما تكليم الله تعالى لموسى فانه لم يكن لعامة الرسل والانبياء

فضلا

فضلا عن سواهم ولما كان هؤلاء المتفلسفة ومن سلك سبيلهم يجعلون كلام الله كله
لموسى وغيره من الانبياء ما يفيض على نفوسهم من العقل الفعال زادت الاتحادية
درجة اخرى فجعلوا الكلامه كلما يظهر من شيء من الموجودات وهؤلاء يصرح احدهم بان
ما يسمعه من بشر مثله اعظم من تكليم الله لموسى لان ذلك بزعمهم كلام الله من الشجرة
وهي جماد وهذا كلام الله من الحيوان والحيوان اعظم من الجماد وطائفة اخرى منهم
يقولون ان الالهام المجرد وهي المعاني التي تتنزل على قلوبهم اعظم من تكليم الله
موسى لان هذا بزعمهم خطاب محض بلا حجاب ولا واسطة وموسى خوطب بحجاب الحرف
والصوت وامثال هذا الكلام الذي يتضمن ترفع احدهم عن تكليم الله تعالى لموسى
الذي علم بالاضطرار من دين اهل الملل المسلمين واليهود والنصارى انه اعظم
من خطابه وايحائه الى سائر الانبياء والمرسلين ولهذا يقولون ان الولاية
اعظم من النبوة والنبوة اعظم من الرسالة وينشدون

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي

ويقولون ان ولاية النبي اعظم من نبوته ونبوته اعظم من رسالته ثم قد يدعي
احدهم ان ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وان جميع
الانبياء والرسل من حيث ولايتهم التي عندهم اعظم من نبوتهم ورسالتهم انما يستفيدون
العلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم
في اصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول بواسطة
ولهذا جعلوا ما يفيض في نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبة الالهية والمكاشفات
الربانية اعظم من تكليم موسى بن عمران وهي في الحقيقة ايحاءات شيطانية ووساوس
نفسانية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ولو هدوا لعلموا ان افضل ما
عند الولي ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه وان افضل الاولياء
الصديقون وافضلهم ابو بكر وكان هو افضل من عمر مع ان عمر كان محدثا
كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم
محدثون فان يكن في امتي احد فعمر وفي الترمذي لو لم ابعث فيكم لبعث فيكم عمر

وقال ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه ومع هذا فالصديق انما كان يتلقى
من مشكاة النبوة مطلقا افضل لانه ما ياخذه عن معصوم من الخطأ والمحدث ليس
بمعصوم بل يقع له الصواب والخطا ولهذا يحتاج ان يزن بالميزان النبوى
المعصوم جميع ما يقع له اى لغير الاخذ من مشكاة النبوة فهذا حال محدثى السابقين
الاولين وهو عمر ابن الخطاب وهو افضل من غيره والصديق اكمل منه وانم مقاما
فهذا حال السابقين الاولين وافضل الخلق بعد الانبياء والمرسلين فكيف
بهؤلاء الذين فيهم من الباطل والضلال ما لا يعلمه الا ذو الجلال والاكرام
وكذلك جعله امره بخلع النعلين يتضمن ترك الدنيا والاخرة امر لا يدل
عليه لا حقيقة اللفظ ولا مجازه ان صح المجاز ولم يذكر عن احد من المسلمين
لا من الصحابة ولا التابعين ولا من غيرهم ان ذلك مرادا من هذا اللفظ بل قد
ذكروا ان سبب الامر بخلعهما كونهما كانا من جلد حمار غير مدبوغ ثم هذا الخلع
ممارسة اليهود عند عباداتهم ونحن قد امرنا بمخالفتهم فى ذلك فكيف يجعل صون
هذا الخلع مشروعا لنا ونحن نأباه وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان
اليهود لا يصلون فى نعالهم فخالفوهم وفى الصحيحين عن انس قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه وفى المسند وسنن ابى داود عن ابى سعيد
الخدرى قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه
فوضعهما عن يساره فلما راى ذلك القوم القوا نعالهم فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رايناك القيت نعليك
فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتانى فاخبرنى
ان فيهما قذرا وقال اذا جاء احدكم الى المسجد فلينظر فان راى فى نعليه قذرا او
اذى فليمسحه وليصل فيهما وفيهما ايضا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا وطئ احدكم بنعليه الاذى فان التراب له طهور وفى رواية
اذا وطئ الاذى بخفيه فطهورهما التراب فكثير من الناس يقول فى تفضيل

بين

ذكي مع

نبينا صلى الله عليه وسلم ما مضمونه ان موسى امر بخلع نعليه بالوادى المقدس ونبينا
لم يؤمر بشئ ليلة المعراج مع علو درجته على موسى ولو كان فى ذلك امر بترك الدنيا
والاخرة لكان محمد صلى الله عليه وسلم مامورا بذلك وكان ذلك شرحا لنا والتعبير
عن هذه المعانى بهذه العبارات مع دعوى انه بهذا المنزل حصل له الخطاب
وهو الذى يوقع طوائف فى انواع الضلالات ظنا ان هذا المقام وما يشبهه ينال
بالزهد وغيره فيطلب احدهم ما لا يصلح للانبياء فضلا عن ان يصلح لامثالهم حتى
يقع فيما هو من جنس حال اعظم المبتدعة بل حال الكفار والمنافقين قال ابو
مجلز لا حى ابن خامد فى قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
قال ان يسال الانسان منازل الانبياء وبمثل هذا اضل ابن قسى صاحب كتاب
خلع النعلين حتى ذكر فى كتابه من انواع الباطل ما ذكره وشرحه ابن عربى صاحب
الفصوص فتارة يشتمه ويسبه ويقول انه من اجهل الناس وتارة يجعل كلامه
فى نهاية التحقيق والعرفان ومن المعلوم انه لا ينفى كلامه وكلام غيره من امور
صحيحة ومعان حسنة لكن هى متضمنة من الباطل والضلال لما يفوق الوصف
فان احد هؤلاء ان امكنه ان يدعى الالهية او النبوة ولو بعبارة غريبة لا
ينفر عنه الناس فعل حتى كان فى زماننا غير واحد ممن اجتمع بى وانكرت عليه وجرى
بيننا القيام عليهم فقول من يدعى الرسالة ظانا ان هذا يسلم له اذ لم يسلم له
النبوة فيدعون الرسالة فاذا جاء من يخاف منه من العلماء ادعى احدهم الارسال
العام الكونى كارسال الرياح وارسال الشياطين وتارة يدعى ارسال الرسل
كقصة صاحب يس اى فى قصة صاحب يس وقد وضح للعالم ان الرسالة التى
وصف بها الانبياء ممنوعة اذ هى اخص من النبوة وبين النبوة بعد محمد صلى الله عليه
وسلم ما يستلزم نفيها مع قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ختم بى النبوة والرسالة
واما الارسال الثانى فلا يكون مع مشافهة الرسول الا فى حياته واما بعد موته
فتبليغ القرآن والايمان والسنة امر مشترك وتارة وتارة يدعى احدهم انه خاتم

الأولياء ظانا أن خاتم الأولياء أفضلهم قياسا على خاتم الأنبياء ثم يدعون
لخاتم الأولياء ما هو أعظم من النبوة والرسالة وخاتم الأولياء كلمة لا حقيقة
لفضلها ومرتبتها وإنما تكلم أبو عبد الله الترمذي بشيء من ذلك غلطا لم يسبق إليه
ولم يتابع عليه ولم يستند فيه إلى شيء ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن تقي
ويكون بذلك خاتم الأولياء وليس ذلك أفضل الأولياء باتفاق المسلمين بل أفضل
الأولياء سابقهم وأقربهم إلى الرسول وهو أبو بكر ثم عمر إذ الأولياء يستفيدون من
الأنبياء فأقربهم إلى الرسول أفضل بخلاف خاتم الرسل فإن الله أكرمه بالرسالة
ولم يجعله على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر في وجوب كونه أفضل من
أبعد القياس وتارة يدعي أحدهم المهدوية أو القطبية ويقول أنا القطب
الغوث الفرد الجامع ويدخل في هذه الأ[illegible] سيما ما هو من خصائص
الربوبية من كونه يعطي الولاية من يشاء ويصرفها عمن يشاء والله يقول
لسيد ولد آدم إنك لا تهدي من أحببت وقال ليس لك من الأمر شيء وقد
بسطنا الكلام في هذه الأمور لحاجة الناس إلى ذلك في غير هذا الموضع
فصل وهذا كله إذا ميز وجود العلم وغيره من المخلوقات عن وجود الرب
تعالى كما عليه أهل الملل وجمهور العقلاء من غيرهم وأما على قول هؤلاء المدعين
التحقيق الذين يدعون أن الوجود واحد فلا يتميز وجود مبدع عن وجود مبدع
ولا وجود خالق عن وجود مخلوق وهم يصرحون بهذا في كتبهم وفي كلامهم ولكنهم
في حيرة وضلال فإنهم إذا يشهدون أن بين الموجودات تباينا وتفرقا فيريدون
أن يجمعوا بين ما ادعوه من وحدة الوجود وبين التعدد للموجود فاضطربوا في ذلك
فأما صاحب الفصوص فكلامه مبني على أصلين أحدهما أن الأشياء كلها ثابتة في العدم
مستغنية بنفسها نظير قول من يقول المعدوم شيء لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق
وذات المخلوق إذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة

وان كان

وإن كان قد يتنافى في ذلك فإنهم كلهم متناقضون وكل من خالف الرسل
فلا بد أن يتناقض قال تعالى إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقال
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا الأصل الثاني أن الوجود
الذي لهذه الذوات الثابتة هو عين وجود الحق الواجب ولهذا قال في أول
الفصوص في الشيثية ومن هؤلاء يعني الذين لا يسألون الله من يعلم أن علم الله
به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوت عينه قبل وجودها ويعلم أن الحق
لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به وهو ما كان عليه في حال ثبوته فيعلم
علم الله به من أين حصل وما ثم صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف
فهم الواقفون على سر القدر وهم على قسمين منهم من يعلم ذلك مجملا ومنهم من
يعلم ذلك مفصلا والذي يعلمه مفصلا أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملا فإنه يعلم
ما في علم الله إما بإعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به وإما بأن
يكشف له عن عينه الثابتة وانتقالات الأحوال عليها إلى ما لا يتناهى وهو أعلى
فإنه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به لأن الأخذ من معدن واحد
هذا لفظه فتوهم كونه جعل عينه قبل ثابتة الوجود زعم أن الحق لا يعطيه إلا
ما أعطاه عينه من العلم به فجعل الحق تعالى عاجزا لا يقدر إلا على ما كانت عليه
عينه وجعله لا يعلم بمخلوقاته من جهة نفسه بل بما رآها في حال ثبوتها التي لا تفتقر فيه
إليه فيعلم أحوالها حينئذ وزعم أن العبد قد يساويه في هذا العلم ولهذا
صرح بحدوث علم الله ومساواة المصنف ذلك فقال لأن الأخذ من معدن واحد
إلا أنه من جهة العبد عناية سبقت له هي من جملة أحوال عينه إلى أن قال فهذا القائل
يقول إن العناية الإلهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في إفادة العلم
ومن هنا يقول الله حتى نعلم وهي كلمة محققة المعنى ما هي كما يتوهمه من ليس له
في هذا المشرب شرب فبين مساواة العبد له في العلم وأن علم الله حادث
كما أن علم العبد حادث وهذا أصل مذهبه أن كل واحد من وجود الحق
وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه كما ذكره في الخليلية وغيرها ولهذا
يقول فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده ويقول إن الحق يتصف بجميع صفات

العبد له يعرفها فهذا الكشف إذا أطلعه الله على ذلك أي على أحوال عينه الخ

العبد المحدثات وان المحدث يتصف بجميع صفات الرب مع انه يقول انهما شي
واحد اذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت فهو يقول في الكون كله
نظير ما قالته الملكانية من النصارى في المسيح لكنه يزيد عليهم بان يسوي بين
الحق والخلق وان الحق مفتقر الى الخلق وان الامر عنده لم يزل كذلك مع زيادته
عليهم فانه قال في جميع المخلوقات اعظم مما قالوه في المسيح ثم اخذ يتكلم في منح
الحق في الله وبين انه اذا منح العبد وجوده فانه انما يكون بحسب ما عليه ذواتهم
ولا يرون الا صورة ذواتهم في وجوده ولا يرون الحق ابدا ولا يمكن ان يروه
لا في الدنيا ولا في الاخرة اذ ليس له وجود سوى ذوات المخلوقات وما سوى
وجود المخلوقات فعدم قال فاما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون ابدا
الا عن تجلي الهي والتجلي من الذات لا يكون الا بصورة استعداد المتجلي له وغير ذلك
لا يكون فاذا المتجلي له ما راى سوى صورته في مراة الحق وما يرى الحق ولا يمكن ان
يراه مع علمه انه ما راى صورته الا فيه كالمراة في الشاهد اذا رايت الصورة
فيها لا تراها مع علمك انك ما رايت الصور او صورتك الا فيها فابرز الله ذلك مثالا
نصبه لتجليه الذاتي ليعلم المتجلي له انه ما رآه وما ثم مثال اقرب ولا اشبه بالرؤية
والتجلي من هذا واجهد نفسك عند ما ترى الصورة في المراة ان ترى جرم المراة لا تراه
ابدا البتة الى ان قال واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق
المخلوق فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى في اعلى من هذا الدرج فما هو ثم
اصلا وما بعده الا العدم المحض فهو مراتك في رؤيتك نفسك وانت مراته في
رؤيته اسمائه وظهور احكامها وليست سوى عينه فاختلط الامر وانبهم فمنا
من جهل وقال والعجز عن درك الادراك ادراك ومنا من علم فلم يقل مثل هذا وهو اعلى
القول بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز وهذا هو اعلى عالم بالله ثم انه
لم يكتف بهذا الذي ذكره من ان حقيقته وجود الخالق وانه ليس ثم موجود سوى
المخلوقات وهو حقيقة قول فرعون فجعل العالم بذلك اعلى عالم بالله حتى جعل
الرسل جميعهم والانبياء يستفيدون هذا العلم من مشكاة الذي جعله خاتم الاولياء
وجعله افضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وانه يأخذ عن الاصل

بلغ مقابلة

٩

من حيث

من حيث يأخذ الملك الذي يوحي الى خاتم الرسل وان خاتم الرسل انما هو شبيه
في الشفاعة فسيادته في هذا المقام الخاص لا على العموم قال وليس هذا
العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء حتى ان الرسل لا يرونه متى راوه الا
من مشكاة خاتم الاولياء وان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالته
ينقطعان والولاية لا تنقطع ابدا فالمرسلون من كونهم اولياء لا يرون ما
ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان
خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الانبياء من التشريع فذلك لا يقدح
في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون انزل كما انه من وجه يكون
اعلى وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فضل عمر في اسارى
بدر بالحكم وفي تابير النخل فما يلزم الكامل ان يكون له التقدم في كل شيء
وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبة العلم بالله هنالك مطلبهم
واما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم
النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان النبي صلى الله
عليه وسلم تلك اللبنة غير انه لا يراها الا كما قال لبنة واحدة فكان
يرى نفسه موضع تلك اللبنة واما خاتم الاولياء فلا بد له من هذه الرؤيا
فيرى ما مثل به رسول الله ويرى في الحائط موضع لبنتين من ذهب وفضة
فيرى اللبنتين ينقص الحائط بهما ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة ولا بد
ان يرى نفسه منطبعا في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الاولياء تلك
اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع
خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما يتبعه
فيه من الاحكام كما هو اخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع
فيه لانه يرى الامر على ما هو عليه فلا بد ان يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية
في الباطن فانه اخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسل
فان فهمت ما اشرت به فقد حصل لك العلم النافع فكل نبي من بني ادم الى اخر نبي
ما منهم احد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته فانه

والرسل

بحقيقته موجود وهو قوله كنت نبيا وادم بين الماء والطين وغيره ما
كان نبيا الى حين بعث وكذلك خاتم الاولياء كان وليا وادم بين الماء والطين
وغيره من الاولياء ما كان وليا الا بعد تحصيل شرائط الولاية من الاخلاق
الالهية في الاتصاف بها من كون الله تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث
ولايته نسبته مع الختم للولاية نسبة الانبياء والرسل معه فانه الولي الرسول
النبي وخاتم الاولياء الولي الوارث الاخذ عن الاصل المشاهد للمراتب وهو حسنة
من حسنات خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة وسيد ولد ادم
في فتح باب الشفاعة فعين حالا خاصا ما عمم وفي هذا الحال الخاص تقدم على الاسماء
الالهية فان الرحمن ما شفع عند المنتقم في اهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين ففاز
محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه
قبول مثل هذا الكلام الى ان قال وبهذا العلم سمي شيث لان معناه هبة الله
فبيده مفتاح العطايا على اختلاف اصنافها ونسبها فان الله وهبه لادم اول
ما وهبه وما وهبه الا منه لان الولد سر ابيه فمنه خرج واليه عاد فما اتاه
غريب لمن عقل عن الله وكل عطاء في الكون على هذا المجرى فما في احد من الله شيء
وما في احد سوى نفسه وان تنوعت عليه الصور وما كل احد يعرف هذا وان
الامر على ذلك الا احاد من اهل الله فاذا رأيت من يعرف ذلك فاعتمد عليه فذلك
هو عين صفاء خلاصة خاصة الخاصة من عموم اهل الله فاي صاحب
كشف شاهد صورة تلقي اليه ما لم يكن عنده من المعارف وتمنحه ما لم يكن قبل
ذلك في يده فتلك الصورة عينه لا غيره فمن شجرة نفسه جنى ثمر غرسه
وقال ايضا في الادريسية من اسمائه الحسنى العلي على من وما ثم الا هو فهو العلي
لذاته او عن ماذا وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين
الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو فهو العلي لا علو
اضافة لان الاعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود فهي على
حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود
الكثرة في الاسماء وهي النسب وهي امور عدمية وليس الا العين التي هي الذات

فهو العلي

فهو العلي لنفسه لا بالاضافة فما في العالم من هذه الحقيقة علو اضافة لكن الوجوه
الوجودية متفاضلة فعلو الاضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه
الكثيرة لذلك لا نقول فيه هو لا هو انت لا انت قال ابو سعيد الخراز وهو وجه
من وجوه الحق ولسان من السنته ينطق عن نفسه بان الله لا يعرف الا بجمعه
بين الاضداد في الحكم عليه بها فهو الاول والاخر والظاهر والباطن فهو عين
ما ظهر في حال بطونه وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم
من ينطق عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى ابو سعيد الخراز وغير ذلك
من اسماء المحدثات الى ان قال ومن عرف ما قررناه في الاعداد وان نفيها
عين اثباتها علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه وان كان قد تميز الخلق من الخالق
فالامر الخالق المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين
الواحدة وهو العيون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر والولد
عين ابيه فما راى يذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش
من ظهر بصورة انسان وظهر بصورة والد لا بل بحكم ولد والولد الذي هو
الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه فمنه الصاحبة والولد والامر واحد
في العدد فمن الطبيعة ومن الظاهر فيها وما رأيناها نقصت بما ظهر فيها
ولا زادت بعدم ما ظهر وما الذي ظهر غيرها وما هي عين ما ظهر لاختلاف الصور
بالحكم فهذا بارد يابس وهذا حار يابس فجمع بين اليبسين وابان بغير
ذلك والجامع الطبيعة لا بل العين الطبيعية فعالم الطبيعة صور في
مرآة واحدة لا بل صورة واحدة في مرايا مختلفة فما ثم الا حيرة لتفرق
النظر ومن عرف ما ذكرناه لم يحر وان كان في مزيد علم وليس الا من حكم المحل
والمحل عين العين الثابتة فيها يتنوع الحق في المجلى فتتنوع الاحكام عليه فيقبل
كل حكم وما يحكم عليه الا عين ما تجلى فيه ما ثم الا هذا ثم انشد

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا — وليس خلقا بذاك الوجه فادكروا
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته — وليس يدريه الا من له بصر
جمع وفرق فان العين واحدة — وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر

فالمحمد لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الامور الوجودية
والنسب العدمية بحيث لا يمكن ان يكون له نصيب فيها سواء كانت محمودة عرفا
وعقلا وشرعا او مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا للمسمى الله
خاصة فهذا وغيره من كلامه يبين ان الوجود عنده واحد وليس للخالق
وجود مباين لوجود المخلوقات بل وجودها عينه ثم يذكر المظاهر والمجالي
والمراتب وهي عنده الذات والثابتة في العدم المساوية للوجود واما اسماء
الله فهي عنده النسبة التي بين الوجود وبين هذه المراتب وهي في الحقيقة
امور عدمية وكل من الوجود والثبوت لا ينفك عن الآخر ولا يستغني عنه وهو
شبيه بقول من يقول الوجود عين الماهية وهو ملازم لها والمادة عن الصورة
وهي ملازمة لها لكن صاحب الفصوص يجعل وجود هذا الوجود الحق الذي هو
وجود كل شيء فهو الموصوف عنده بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش
والكذب والجهل كما هو الموصوف عنده بصفات المدح والكمال فهو العالم والجاهل
والبصير والأعمى والمؤمن والكافر والناكح والمنكوح والصحيح والمريض والداعي
والمجيب والمتكلم والمستمع وهذا كله يذكره في مواضع من كلامه وهذا عنده
غاية الكمال وفي هذا المعنى ينشدون

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم وقد يقول لا هو العالم
ولا غيره وقد يقول هو العالم ايضا وهو غيره وامثال هذه المقالات التي يجمع
فيها في المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين اذ ليس مذهبه في المعرفة
مذهب الصفاتية

بلغ

فصل

واما صاحبه القونوي فقد كان التلمساني
صاحب القونوي وكان هو احذق متأخريهم يقول انه كان اتم من شيخه ابن
العربي وكان ابن سبعين يقول عن التلمساني انه اتم تحقيقا من شيخه القونوي
والقونوي اعرض عن كون المعدوم ثابتا في العدم فان هذا القول معلوم الفساد
عند الائمة في المعقول والمنقول ولكن سلك طريقا هي ابلغ في التعطيل فزعم
ان الحق هو الوجود المطلق والفرق بينه وبين الخلق من جهة التعيين

فاذا عين

فاذا عين كان خلقا واذا اطلق الوجود كان هو الحق فهذا وقد علم ان المطلق
بشرط الاطلاق لا وجود له في الخارج عن محل العلم فليس في الخارج انسان مطلق ولا
حيوان مطلق بشرط الاطلاق ولا جسم مطلق بشرط الاطلاق ولا موجود ولا وجود
مطلق بشرط الاطلاق فاذا قال ان الحق تعالى هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق
فهذا لا وجود له في الخارج وانما الذهن يقدر وجودا مطلقا كما يقدر حيوانا
مطلقا وانسانا مطلقا وفرسا مطلقا وجسما مطلقا وان قال انه المطلق لا بشرط
فهذا اما ان يقال انه لا وجود له في الخارج ايضا واما ان يقال هو موجود في
الخارج لكن بشرط التعيين اذ ليس في الخارج الا وجود معين فعلى احد التقديرين
يكون وجود الحق هو الوجود المعين المخلوق وعلى الآخر لا وجود له في الخارج وكلامهم
كله يدور على هذين المعنيين اما ان يجعلوا الحق لا وجود له ولا حقيقة في الخارج
اصلا وانما هو مطلق في الاذهان واما ان يجعلوه عين وجود المخلوقات
فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها اصلا ولا يكون رب شيء ولا مليكه وهذا
حقيقة قول القوم وان كان بعضهم لا يشعر بذلك ولما كان هؤلاء نسخة
الجهمية الذين تكلم فيهم السلف والائمة مع كون اولئك كانوا اقرب الى الاسلام
كان كلام الجهمية يدور ايضا على هذين الاصلين فهم يظهرون للناس العامة
ان الله موجود بذاته في كل مكان او يعتقدون ذلك وعند التحقيق اما،
يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم ليس بداخل العالم ولا خارجه
ولا مباين له ولا محايث له ولا متصل به ولا منفصل عنه وامثال هذه السلوب
فكلام اول الجهمية وآخرهم يدور على هذين الاصلين اما النفي والتعطيل
الذي يقتضي عدمه واما الاثبات الذي يقتضي انه هو المخلوقات او جزء منها
او صفة لها وكثير منهم يجمع بين هذا النفي وهذا الاثبات المتناقضين
واذا حوقق في ذلك قال ذاك السلب مقتضى النظر وهذا الاثبات مقتضى
شهودي وذوقي ومعلوم ان العقل والذوق اذا تناقضا لزم بطلانهما او بطلان
احدهما واما ابن سبعين فقوله يشبه هذا من وجه وهذا من وجه

فانه يقول بثبوت الماهية المطلقة في الموجودات

وهو الى قول القونوي اقرب لكنه يجعل الوجود الثابت الذي يختلف على صور
الموجودات فانه يقول بثبوت الماهية المطلقة في الموجودات المعينة ولا
يقول بانفكاكها عن الوجود وهذا قول ابن سينا وامثاله من الفلاسفة وهذا
كما ترى مع موافقته لقول من يقول المعدوم شيء فهو يخالفه من هذين الوجهين
ويقول مع ذلك ان وجوده هو تصور الماهيات فهو تارة يجعله بمنزلة المادة
الجسمية والاشياء بمنزلة صورها والقول بان الجسم مركب من المادة والصورة
قول الفلاسفة المشائين وابن سبعين يحتذي حذوهم ويقول انه متقدم عليهم
وعلى غيرهم ويقول انه انشأ الحكمة التي رمزت اليها هرامس الدهور الاولية وبين
العلم الذي رامت افادته الهداية النبوية وقد تنازعوا في امكان انفراد
المادة عن الصورة فارسطو واصحابه على انه لا يمكن انفكاكها عنها بخلاف افلاطون
ويزعمون ان المادة جوهر روحاني قائم بنفسه وان الصورة الجسمية جوهر قائم
بها وان الجسم يتولد من هذين الجوهرين والعقلاء المحققون يعلمون ان هذا
باطل كما قد بسطناه في غير هذا الموضع والهيولى عندهم اربعة اقسام الصناعية
والطباعية والكلية والاولية فالصناعية كالدرهم الذي له مادة وهو الفضة
وصورة وهو الشكل المعين وكذلك الدينار والخاتم والسرير والكرسي ونحو ذلك
وهذا القسم لا نزاع فيه بين العقلاء لكن هذه الصورة عرض من اعراض هذا الجسم
وصفة له ليست جوهرا قائما بنفسه وهذا معلوم بالضرورة حسا وعقلا
واما الطباعية فكصور الحيوان والنبات والمعدن فانه ايضا مخلوق من مادة كالهوا
والماء والتراب وهذا ايضا لا نزاع فيه لكن هذه الصورة جوهر قائم بنفسه يستحيل
عن تلك المواد ليست هي صفة له كالاول واذا تدبر العاقل هذين النوعين
علم فساد قول من يجعل الصورة في النوعين جوهرا كما يقوله من يقوله من المتفلسفة
ومن يجعل الصورة في الموضعين صفة وعرضا كما يقوله من يقوله من المتكلمة الجهمية
واما القسم الثالث الذي هو الكلي فهو دعواهم ان الجسم له مادة هي جوهر قائم

بنفسه

بنفسه لا يحس وانما هي محل للاتصال تارة والانفصال العارضين للجسم
تارة وان هناك شيئا هو غير الجسم الموصوف بالاتصال تارة والانفصال
اخرى وهذه المادة باطلة عند جماهير العقلاء كما قد بيناه في غير موضع
وان كان ايضا تركيب الجسم من الجواهر المفردة باطلا ايضا عند جماهير العقلاء
فلا هذا ولا هذا ثم هذه المادة قد ذكروا عن افلاطون انه قال يمكن انفرادها
عن الصورة كما يحكون عنه نظير ذلك في المدة وهي الدهر وفي المكان وهو الخلا انهما
جوهران قائمان خارجان عن اقسام العالم وفي المثل المعلقة الافلاطونية
المكان والزمان والمادة والصور قول متشابه وجمهور العقلاء يعلمون
ان هذا الذي اثبته في الخارج انما هو في الاذهان لا في الاعيان ومن المعلوم
ان قول من يقول ان هذه المادة المدعاة انها جزء للجسم يمكن تجردها عن
الصورة شبيه بقول من يقول المعدوم شيء ثابت ثبوتا مجردا ليس وجوده
وفي ذلك المناظرة المعروفة لابي اسحق الاسفرايني مع الصاحب اسمعيل بن عباد
رفيق القاضي عبد الجبار وكلاهما تلميذا ابي عبد الله البصري الملقب القائم بنصر
طريقة ابي علي وابي هاشم لما ذكر له ابن عباد ان الفلاسفة القائلين بقدم
الهيولى اعقل من ان يريدوا بذلك الوجود وانما ارادوا ثبوت الذوات
التي تقوله المعتزلة فعارضه الاسفرايني بان قال المعتزلة اعقل من ان يريدوا
بقولهم ان المعدوم شيء ثابت الا ما اراده اولئك بقولهم بان المادة قديمة
موجودة فتكون المعتزلة قائلة بقدم المواد التي هي الاجسام ومن هنا ذكر
الشهرستاني وغيره تقارب القولين وان كان كلاهما باطلا وان كان قول
هؤلاء المتفلسفة اشد بطلانا اذ هو باطل مكرر فان دعوى تركيب الاجسام من
المادة والصورة اللذين هما جوهران قائمان بانفسهما دعوى باطلة كما هو
قول ارسطو وذويه ثم دعوى انفرادها باطل على باطل وايضا فان هؤلاء المتفلسفة
قد يقولون وجود الاشياء زائد على ذواتها في الخارج ويفرقون بين الواجب والممكن
بان الوجود الواجب هو الوجود المقيد بقيد كونه غير عارض لشيء من الماهيات

كما يذكره ابن سينا وغيره عن مذهبهم وحينئذ فيكونوا قد جمعوا هذا الانواع الباطل
من الملل وجعلوا الواجب هو الوجود المطلق الذى لا يتحقق الا فى الاذهان لا فى
الاعيان وهو فى الحقيقة تعطيل لوجود الواجب وعلى هذا فقول المتكلمين من
المعتزلة والفلاسفة بان الوجود ماهيته ووجوده فى الخارج زائدة على الوجود
فى الخارج الذى هو الموجود فى الخارج وان الوجود قائم بتلك الماهية هو شبيه
بقول من يقول ان الجسم مادة هى جوهر قائم بنفسه وهو محل الصورة الجسمية
التى هى ايضا جوهر وهؤلاء يعمدون الى الشئ الواحد المعلوم واحد بالحس والعقل
يجعلونه اثنين اذ كان له وجود عينى ووجود ذهنى فظنوا ان الذهنى خارجى
ثم جاء المدعون انهم محققوهم الى ما يعلم انهما متباينان وهما وجود الخالق سبحانه
البائن المتميز عن وجود المخلوق فزعموا انه هو وان الوجود واحد لا يتميز منه
وجود الخالق فقول ابن سبعين يشبه قول ابن عربى من حيث ان قوله يشبه قول
اهل المادة والصورة كما يشبه ذلك قول اهل الثبوت والوجود المفرقين
بينهما الذين يقولون المعدوم شئ لكن ابن عربى يجعل الوجود الذى هو حاد
فى الثبوت والثبوت محل له فهو وجود الحق كما تقدم فهو وان كان يقول بان
الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد والحلول من هذا الوجه ولا ريب ان قوليه
متناقضان مصرحين كتناقض ذلك وليشير الى ان ذلك هو الحيرة وهو على
العلم وابن سبعين يجعل وجود الحق هو الثابت ابدا الذى هو كالمادة والخلق هو
المنتفى الذى هو الصورة فهو وان قال بان الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد
والحلول من هذا الوجه لكن الحق عنده محل للخلق وعلى قول ابن عربى حال فى الخلق
وقد تقدم ذكر بعض قول ابن العربى واما ابن سبعين ففى بعض الواحه يقول
قد رأى الصورة المحيطة لجميع الصور لها اسم من حيث هى صورة فى متصور قائم بالبنة
وهى قائمة به ولا متصور من حيث هو موصوف بها اسم وبها ارتباطا ارتباطا لا يصح
انفكاكه ابدا دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيامة ولم يصح الانفكاك عن مطلق
الصورة الا ومطلق المتصور ضمنا ولا عن محيط المتصور الا والصورة ضمنا

فالمقصود

فالمقصود بالصور يسمى بظاهر الصورة ظاهرا وبباطنها باطنا ويحكم عليه
بكل حكم فلنه الصورة من اطلاق وحصر وغيبة وحضور واحدية وكثرة
وجمع وتفرقة وسذاجة ولون وحركة وسكون الى ما لا ينضبط كثرة
من الاسماء والصفات فللصورة من حيث هى جميع المتعددات والمتغلات
والتحولات والمتفاضل وللمتصور من حيث هؤلاء من جهتها لا وصف ولا نعت
ولا اسم ولا رسم ولا حد وان كان له شئ من ذلك ولكن باول مرتبة صورية
اطلاقية فله الاطلاقات الاحدية والجمع والسذاجة والسكون والثبوت
وشبه ذلك وللصورة من حيث هى لكن من تعذر قيامها بنفسها هذه ولا حديثة
عنها ولا عنه الا بتيد ارتباطها ط بعضها ببعض اول مرتبة من مراتب
الارتباط بما يض ذلك وهى الحضرة والكثرة والتفرقة والالوان والحركات
والمستغلات لكن لا يتم الحديث الا عنهما معا بل كل كلام منطوق به اى المصنف
عليه فان كان الكثرة والتعدد واخواتها فاعلم ان المخاطب هو الصورة
والخلق تتصورها وصفا وان غلبت الوحدة واخواتها فالمخاطب بذلك
المتصور الحق فاذا رايت التعدد والتنقل والحركة والولادة فذلك للصورة والخلق
واذا رايت الوحدة والثبوت ولم يلد ولم يولد فذلك للحق القائم على كل نفس
بما كسبت وكل شئ هالك الا وجهه فهو الحق القائم على كل شئ لان الاعراض
وهى الصورة لا تبقى زمانين اصلا بل تتبدل فى كل نفس اما بمثل او بضد او
خلاف لانها لذاتها ثابتة وانما المسمى بقاء هو توارد الامثال فى كل نفس فيظن
ان الثانى عين الاول وليس كذلك ولا ينبغى ذلك لان القائم به كل يوم
هو فى شان يريد تعالى كل نفس فيرد المثل بعد المتورد لا يشعر بذلك المحجوب
فيظن ان ذلك الاول باق وهيهات لا بقاء الا لله وحده والفناء لكل ما سواه
بالذات فى كل نفس والصورة الجزئية تبقى بتوالى الامثال الى ان قال
واما مطلق الصورة فبقاؤها بعدم الخلو عن الصور سواء كانت امثالا لها
او مضادة او مغايرة لمقصود عمر ان مطلق الصورة الوجودية هو دال
على وجود واحد وهذا العالم بجميع الصور غير الخالى عنها على التعاقب الصور

هي الهالكة ولما المتماوجة دورانا كابية خابية شاهدة غائبة قديمة حديثة
موجودة معدومة فانه سبحانه في هذا الكلام جعله كالمادة وجعل المخلوق
كالصور وهما مترابطان لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر وفي هذا من
الباطل والكفر ما لا يخفى على عاقل مع ما في الكلام غير ذلك مثل قوله عن الصور
انها اعراض والعرض لا يبقى زمانين فان الذين قالوا ان العرض لا يبقى
زمانين وان كان اكثر العقلاء على خلافه لم يقصدوا الصورة التي هي الجسم
وانما قصدوا الاعراض القائمة بالجسم ولكن يحكى عن النظام انه قال
الاجسام لا تبقى زمانين فهذا يشبه قول النظام وفي كلام ابن العربي ما
يشبه هذا وتارة يجعله الوجود المطلق الذي تتعاقب عليه الموجودات المعينات
ويجعل الموجودات المعينة بمنزلة الماهيات واذا لم يجعلها ثابتة في العدم
كما قال في لوح اخرجه عند اصحابه من ذلك اللوح وهو عندهم نهاية التحقيق
حتى قد يجعلونه في رؤوسهم مبالغة في حفظه وتذكره قال هو الكل ومعينا
وكل الكل بل لا معينا وانت المخبر به لا معينا وجزء المخبر به لا معينا وانت لا
به لا شيء وهو لا بل ثابت ابدا فالكمال له بل معينا وكمال الكمال له لا بل
لا معينا وبعد ذلك لا وصف له الا الثبوت وهو الموجود في كل موجود وهو
مع كل شيء ومتى سرى في ذلك الشيء حكم الى غيره فمنه لا من ذلك الشيء
فله هو في ذلك الحكم ايجاده وللشيء فيه المشبه فقط لانه في الماء ماء وفي
النار نار وفي الحلو حلو وفي المر مر فمهما سرى حكم من شيء الى شيء فله هو في
ذلك الحكم ايجاده وللشيء فيه المشبه فهذا الكلام يقتضي انه هو وجود
العالم وكل جزء من العالم اما ان يوجد معينا كهذا الانسان وهذا النبات
او مطلقا كالانسان والنبات فكل جزء اذا اخذ غير معين فهو جزء
من وجود العالم وان اخذ معينا فهو من المطلق الذي هو جزء من وجود
العالم فهو والعالم هو الكل للجزء اذا عين واذا اطلق ولم يعين فهو كل النوع
الذي هو كل الشخص واعلم انا لم نقصد في هذا الجواب للرد على هؤلاء
وبيان ما في كلامهم من الكفر والباطل والضلال فقد اوضحنا ذلك في غير

هذا

هذا الموضع وبيناه بيانا شافيا وانما المقصد هنا التنبيه على جمل
اقوالهم لتتصور فان تصورها يكفي في بيان بطلانها فان هذا الكلام
وان تضمن انه ليس غير العالم وتضمن تعطيل ان يكون للعالم خالق مباين
له كما هو معلوم بالضرورة من دين جميع اهل الملل بل من دين كل من يقر بالصانع
وهم يصرحون بذلك كما يقول ابن العربي ان العالم صورته وهويته فانه
متناقض باطل في نفسه فان الناس يعرفون انقسام الكلي الى جزئياته
كانقسام الجنس الى انواعه والى اشخاص انواعه كانقسام الحيوان الى الناطق
والاعجم وانقسام الناطق الى العربي والعجمي وانقسام الكلمة الاصطلاحية
الى الاسم والفعل والحرف وانقسام الماء الى الطاهر والطهور والنجس واشباه
ذلك وهذا اسم المقسوم يصدق على الاقسام وانقسام الكل الى اجزائه كقسمة
المواريث بين الورثة والعقار وغيره بين الشركاء ومنه ومنهم ان المقاسمة
بينهم ومنه انقسام الدار الى السقف والارض والحيطان واعضاء الوضوء الى
مغسول وممسوح وهذا القسم هو الذي اراده من قسم الكلام الى الاسم والفعل
والحرف واذا كان كذلك فهؤلاء تارة يجعلون الحق تعالى لاجزاء العالم كالكل
لاجزائه فيجعلون كل شيء من العالم بعضه وجزءه كامواج البحر
البحر وينشدون

وما البحر الا الموج لا شيء غيره   وان فرقته كثرة بالتعدد

وتارة يجعلونه هو الوجود المطلق المنقسم الى قائم بنفسه وغيره وربما
يجعلون الوجود من حيث هو هو المنقسم الى ~~قائم بنفسه وغيره~~ واجب وممكن
فاذا اراد الاول كان هو نفس العالم اذ العشرة ليست غير الاحاد لكن
لها صورة الاجتماع وكما ان اعضاء الوضوء ليست غير الممسوح والمغسول
ولكن لا وجود للجملة الا باجزائها ثم من العجائب انهم يبنون كلامهم على غاية النفي
والتنزيه الذي هو محض التعطيل فينفون الصفات لان الصفة تستلزم
في زعمهم التركيب والمركب مفتقر الى اجزائه واجزاؤه غيره والمفتقر الى
غيره ممكن ليس بواجب بنفسه فهذه هي عمدتهم في نفي صفات الثبوتية

وقد بسطنا الكلام على فساد هذه الحجة في غير هذا الموضع بسطاً تاماً وبينا
ان عامة ما فيها وفي امثالها من المقدمات انما هي بالفاظ مشتبهة قد المعنى من
الفاظ مجملة متشابهة تشتمل على حق وباطل كما قال الامام احمد في هؤلاء يتكلمون
بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فان لفظ التركيب
المعروف في اللغة هم يريدون لذلك وكذلك لفظ الجزء والافتقار والغير وانما
يعنون بلفظ التركيب معان اصطلحوا على تسميتها تركيبا وهي ثبوت الصفات
والمقادير فالاول كقولهم الانسان مركب من الحيوان والناطق والانسانية
مركبة من الحيوانية والناطقية ومعلوم ان الحيوان والناطق صفتان للانسان
والصفة لا توجد بدون الموصوف واما تسمية الحيوان والناطق غيرين للانسان
فتسمية اصطلاحية ايضا واما قولهم ان المركب مفتقر لجزئه فتسمية هذا افتقارا
ايضا لفظ اصطلاحي وانما هو ملازم فان هذا الموصوف لا يوجد بدون وصفه
فهو وهما متلازمان ليس هناك شيء ثابت غير الحيوان والناطق حتى يوصف بانه
مفتقر الى الحيوان والناطق بل المقصود ان حقيقة الانسان مستلزمة لان يكون
حيوانا ناطقا وقولهم ان اجزاءه غيره فهو اصطلاح طائفة فان للناس في لفظ الغير
اصطلاحين مشهورين احدهما اصطلاح المعتزلة والكرامية ونحوهم ممن يقول
الصفة غير الموصوف وهؤلاء فيهم من ينفي الصفات كالمعتزلة ومنهم من يثبتها
كالكرامية وهم يقولون ان الغيرين هما الشيئان او هما ما جاز العلم باحدهما
دون الآخر والثاني اصطلاح اكثر الصفاتية من الاشعرية وغيرهم ان
الغيرين ما جاز مفارقة احدهما الآخر ولهذا يقولون ان الصفات لا هي الموصوف
ولا هي غيره وكذلك الاجزاء الجملة كالواحد من العشرة واليد من الانسان قد
يقولون مثل ذلك واولئك يقولون الصفة غير الموصوف واما حذاق
الصفاتية من الكلابية وغيرهم فهم على منهاج الائمة كما ذكره الامام احمد
في الرد على الجهمية لما سألوه عن القرآن اهو الله ام غير الله لا يقولون
الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره بل لا يقولون الصفة هي الموصوف
ولا يقولون ما هي غيره فيمتنعون عن اطلاق هذا ولا ينفون الاطلاقين

ما بوجودية زمان او مكان
ومن هو كذلك يقول
ما جاز مفارقته احدهما
الآخر

وهذا

وهذا سديد فان لفظ الغير لما كان فيه اجمال لم يطلق نفيه حتى يتبين
المراد فان اريد بانه غير مباين له فليس هو غيره وان اريد انه ليس هو
اياه او انه يمكن العلم به دونه فنعم هو غيره واذا فسر المقال زال الاشكال
فاذا قيل ان الصفة او الجزء غير باحد الاصطلاحين كان باطلا واذا قيل انها
غيره بالاصطلاح الآخر لم يمتنع ان يكون لازما للموصوف وحينئذ فيكون
الموصوف مستلزما للصفة لا توجب ان يكون مفتقرا الى حقيقة مستغنية عنه
كافتقار الممكنات الى واجب الوجود والذي علم بصريح العقل ان ما كان
واجب الوجود بذاته لا تكون حقيقته مفتقرة الى حقيقة اخرى مباينة
لذاته لان ذلك يمنع ان يكون واجبا بذاته ولذلك انحصرت قسمة
الموجود الى واجب بذاته وممكن بذاته وكان الاعتراف بالموجود الواجب
امرا ضروريا لا يمكن دفعه وليس من الاعتراف به اعتراف بصانع العالم
بل فرعون وامثاله ممن ينكر الخالق تعالى لا يدفع وجود موجود واجب الوجود
وانما الشأن في تعيينه فقد يعرفه ويزعم انه العالم كما هي حقيقة قول
هؤلاء ولهذا لما كان متكلموا الصفاتية اقرب الى الحق الذي جاءت به
الرسل كان الغالب على عباداتهم لفظ الصانع فانه يشبه بلفظ الرب والخالق
ونحو ذلك مما كثر لفظه في الكتاب والسنة ولما كان الاقرب الى الحق بعدهم
المعتزلة كان الغالب على كلامهم لفظ قديم فيقولون القديم والمحدث لانهم
اثبتوه بناء على حدوث الاجسام والمحدث لا بد له من محدث واما هؤلاء
المتفلسفة فلما كانوا ابعد عن طريقة الرسل كان الغالب على كلامهم واجب
الوجود ولا ريب ان تقرير ذلك يسهل فان الوجود امر محسوس مشهود
والموجود اما ان يكون من حيث ذاته قابلا للعدم واما ان لا يكون والثاني
هو الواجب والاول اذا كان موجودا فقد يمكن الوجود والعدم وحينئذ
فيمتنع ان يكون وجوده من ذاته فانها لا تخص بوجود ولا عدم بل
التحقيق انه ليس له بدون وجوده ذات يحكم عليها الا ما يقدر في الذهن
ومتى قدر وجود ليس وجوده من ذاته تعين ان يكون وجوده

من غيره فكل موجود وجوده اما بنفسه واما بغيره واذا كان كل ممكن موجود
بغيره لزم قطعا وجود موجود ليس بممكن وكل موجود ليس ممكن فهو الواجب
الذي تشهد به هذا البرهان الذي يذكرونه وان تنوعوا في تصويره يمتنع
ان يفتقر الى ما هو مباين له لانه لو افتقر اليه حينئذ لا يكون موجودا بنفسه بل به
وبذلك الغير او بذلك الغير فقط وهو خلاف ما دل عليه البرهان من انه لا بد
من موجود بنفسه لا يتوقف على غيره كان وجوده بنفسه ينافي كونه
متوقفا عليه وتوقفه عليه ينافي كونه واجبا بنفسه فيكون واجبا
واجبا بنفسه لا واجبا بنفسه وهو جمع بين النقيضين ولانه اذا
كان ذلك الغير ممكنا فهو مفتقر الى الواجب فلو كان كل منهما مفتقر
الى الآخر فالمراد بالافتقار هنا افتقار المعلول الى علته لزم ان يكون
كل منهما علة الآخر والمعلول متوقف على علته فيلزم ان يكون كل منهما
متوقفا على معلوله المتوقف على ذاته فتكون ذاته مستلزمة المتقدم على ذاته
ومستلزمة المتأخر على ذاته وذلك مستلزم كونها موجودة معدومة
في الحال الواحد وهو جمع بين النقيضين وهذا هو الدور القبلي وهو ممتنع
لذاته واما الدور المعي وهو كون كل واحد من الشيئين لا يوجد الا مع الآخر
فهذا ليس بممتنع وهو دون المشروط مثل الامور المتقارنة فان الابوة
لا توجد الا مع البنوة ومعلولا العلة لا يوجد احدهما الا مع الآخر وامثال
ذلك من الامور المتلازمة فواجب الوجود يمتنع ان يقف وجوده على شيء
مباين له توقف المعلول على العلة واما كون ذاته مستلزمة لصفاته
فهذا لا يقتضي ان يكون متوقفا على مباين له توقف المعلول على العلة
اكثر ما يقال ان ذاته لا توجد الا مع هذا وهذا لو كان مباينا له منفصلا عنه
لم يكن ما ذكروه من اثبات واجب الوجود نافيا له كيف وهم يزعمون انه مستلزم
لوجود العالم والعالم لازم له لا يمكن مفارقته له فلم لا يكون قولهم في واجب
الوجود بهذا الحال كيف يمتنع ان تكون له صفات تستلزم ذاته وسواء سمي
ذلك تركيبا او لم يسم اذ لا عبرة بالعبارات والمعاني الذي يقوم الدليل
على نفيها واثباتها فكيف والصفات ليست مباينة له ولا منفصلة عنه

٢
فوجود الواجب لازم على
هذا التقدير ضرورة
فهذا الوجود الواجب

واذا قيل ان حقيقته او وجوده او نحو ذلك يتوقف عليها فغايته ان يفسر
بالتلازم وهو توقف احد المتلازمين على الآخر او توقف المشروط على شرطه
ليس هو توقف المعلول على علته وهذا لا يمنع كونه واجب الوجود بمعنى ان
ذاته ليست لها علة منفصلة عن ذاته وهو هذا الذي اثبته البرهان
ولهذا كان هذا بمنزلة ان يقال هو متوقف على ذاته او مفتقر الى ذاته
كما يقال هو واجب لذاته وموجود بذاته وهذا لا ريب فيه واذا فسر
القائل قوله انه مفتقر الى ذاته بهذا المعنى كان هذا المعنى حقا وان كان
في العبارة ما فيها واذا لم يكن هذا ممتنعا بل كان هذا واجبا فاذا قيل هو
مفتقر الى ما تجعلونه جزءه او صفته وكان المراد بذلك استلزام ذاته
لذلك وامتناع وجود ذاته بدون ذلك كان هذا اولى بالجواز وابعد
عن الامتناع وقد بسطنا الكلام على شبه هذه المقامات العظيمة التي
هي شبه هؤلاء وغيرهم في غير هذا الموضع والمقصود هنا انهم اذا
كانوا يقولون بمنع الصفات وغيرها مما هو مستلزم للتعطيل فرارا من ١٠
هذا المعنى الذي يسمونه تركيبا وليس هو تركيب ثم يجعلونه جملة
العالم التي لها اجزاء حقيقة غيرها وهو مركب منها وكل جزء مباين للآخر
منفصل عنه فمعلوم ان هذا هو التركيب وان كل ما نفوه ونزهوه عنه
اثبتوه في ثاني الحال على اقبح الوجوه مع التعطيل المحض ولهذا كانوا يرون
الجمع بين كل نفي وتنزيه وان استلزم التعطيل وبين كل تشبيه وتمثيل
ويرون ذلك هو الكمال ومعلوم ان ذلك مع ما فيه من الكفر من الجانبين
فهو مشتمل على الجمع بين النقيضين من وجوه لا تحصى وهو حقيقة مذهب
القوم وهم يصرحون بذلك ثم من المعلوم ان بعض اجزاء العالم يشهد عدمه
بعد الوجود ووجوده بعد العدم كصور الحيوان والنبات والمعدن وانواع
من الاعراض وهذا معلوم بالحس انه ليس واجب الوجود بل هو ممكن الوجود
لقبوله العدم وما كان واجب الوجود لذاته لا يقبل العدم اذ لو قبل العدم
لكان ممكن الوجود وممكن العدم وهذا ليس بواجب الوجود لذاته

وإذا كانت هذه الأجزاء التي يشهد عدمها يمتنع اتصافها بوجوب الوجود
ولم يمكن أن يقال إن الكل واجب الوجود بل أكثر ما يقوله هذا المفتري ما تقوله
المعطلة الدهرية أن منه ما هو واجب الوجود ومنه ما ليس بواجب الوجود
وأن واجب الوجود هو الأفلاك مثلا أو العناصر أو العقول أو النفوس مع ذلك
وهذا وإن كان هذا القول يؤذن بتعطيل الصانع وهو غاية الكفر باتفاق كل ذي
عقل ودين فمعلوم أنه أقرب من قول أن كل العالم هو واجب الوجود فتبا لطائفة
تدعي التحقيق والعرفان ويكون قولها أقبح وأعظم كفرا وضلالا من قول كفر الخلق
بالرحمن ولولا أن في هؤلاء القوم من يظن أنه مقر بالله وأنه معظم لله وأن هذا
الذي يقوله تعظيم للحق لكانوا أكفر من هؤلاء من كل وجه لكنهم أجهل منهم قطعا
وتارة يجعله هؤلاء كالكلي المنقسم إلى أجزائه فيجعلونه الوجود والموجود المطلق
ومعلوم أن المطلق لا وجود له في الخارج ولا يوجد إلا معينا وهذا من أوائل ما
في المنطق عندهم والمطلق بشرط الإطلاق قد اتفقوا على أنه لا يوجد في الخارج
وأما المطلق لا بشرط فقد غلط فيه بعضهم كالرازي وادعى وجوده في الخارج وأنه
جزء من المعين والجمهور يعلمون أن ما يوجد في الخارج ليس إلا معينا ليس فيه مطلقا أصلا
وابن سبعين يجعله تارة في كلامه الكلي وأجزاء العالم أجزاؤه وتارة يجعله
يجعله الكلي الذي هو الوجود فلا يكون له وجود في الخارج بحال ولكن
كلامه يقتضي أنه يجعل الكلي المطلق موجودا في المعين على القول الضعيف
وإذا أنزلنا معه على هذا التقدير يكون الرب تعالى عندهم جزءا من كل موجود
مخلوق فهم بين أن يجعلوه جملة المخلوقات أو جزءا من كل مخلوق أو صفة لكل
مخلوق أو يجعلونه عدما محضا لا وجود له إلا في الأذهان لا في الأعيان
ثم مع هذا التعطيل الصريح والإفك القبيح يتناقضون ولا يثبتون على
مقام ولهذا رأيت كلامهم كله مضطربا لا ينضبط لما فيه من التناقض
ولكن لما كنت أبينه وأوضحه إذ ذكر القواعد العلمية التي يعرف الناس
حقيقة ما يمكن حمل كلامهم عليه وميز له بين قولهم هذا وقولهم هذا تبين
ما فيه من التناقض حتى اطلع الناس على ما هم فيه من الكفر ولهذا با لسنة

مع دعواهم

مع دعواهم التحقيق والعرفان وتعظيم الناس لهم وهيبتهم لهم وظنهم أنهم من
كبار أولياء العارفين وسادات المحققين وإنما هم بالنسبة إلى هؤلاء كما
كالمنتسبين إلى الأئمة الصادقين فإن ابن سبعين وذويه لا وصلة عندهم
سوى النبوة بناء على أصلهم الفاسد وهو أن الوجود من حيث هو وجود مع قطع
النظر عن الموجود الواجب والممكن وهو ثابت وقد خاطبهم في ذلك أفضل هؤلاء
فقلت له الوجود من حيث هو وجود لا حقيقة له في الخارج وإنما هو أمر يقدره
العقل كالإنسان من حيث هو إنسان والحيوان من حيث هو حيوان والجسم من
من حيث هو جسم وأمثال ذلك فإن الخارج لا يوجد فيه شيء إلا معينا متميزا
عما سواه لا يوجد فيه حقيقة من الحقائق من حيث هي هي مجردة عن كل تعين وتميز
وهذا الموضع الذي هو أصل ضلال هؤلاء قد سبقهم إليه طوائف من أهل الفلسفة
والكلام وهؤلاء حذوا حذوهم وزادوا عليهم فظنوا أن المطلق
يكون موجودا في الخارج ثابتا في الأعيان المعينة الخاصة وهو الذي يسمونه الكلي
الطبيعي ويجعلونه موجودا في الخارج كالإنسان بلا قيد ولا شرط والحيوان بلا
قيد ولا شرط والجسم بلا قيد ولا شرط والوجود بلا قيد ولا شرط ولا ريب
أن الفرق بين المطلق لا بشرط وبين المطلق بشرط الإطلاق فرق معقول فإن
معنى المطلق بشرط الإطلاق ضد المقيد لا يثبت ولا المقيد بحال ولهذا اتفقوا
على أن هذا لا يكون وجوده إلا في الذهن وأما المطلق لا بشرط فهم يسلمون
أيضا أنه لا يوجد إلا معينا مقيدا إما بقيد كونه في الذهن أو في الخارج أو بقيد
كونه واحدا أو كثيرا ونحو ذلك ولكن كثيرا من أئمتهم يدعون أنه يوجد في
الأعيان كما اتفق الناس على أنه يوجد في الأذهان مع أن حقيقته من حيث
هي هي ليست مقيدة بقيد كونها في الأذهان أو في الأعيان مع أنها لن تخلو عن أحدهما
فيفرق بين ما هو داخل في الحقيقة وبين ما هو لازم لها كما أن من هؤلاء من ادعى ثبوت هذه
الحقائق مجردة عن الأعيان كما تقوله أصحاب المثل الأفلاطونية وقولهم بإثبات هذه
الماهيات المطلقة مع قول فريق منهم بانفصالها عن الأعيان شبيه بقولهم بإثبات

مكان

المادة الطبيعية جوهرا مجردا ثابتا في الجسم عن صورته مع قول فريق منهم بانفصالها
لهذه المادة عن الصور جميعها وقد بسطنا القول في هذا او ذكرنا الفاظا منهم في هذا
وبينا ما وقع في ذلك من الغلط البين المبين لكل عاقل يفهم ما يقال بيانا يقينيا ضروريا
وذكرنا الصواب الذي عليه جمهور العقلاء بانه ليس في الاعيان الموجودة في الخارج
شيء مطلقا اصلا بحال وانه انما هو معين من الاعيان اشير اليه فقيل هذا الانسان
فانه يعلم بالحس والعقل انه ليس فيه شيء مشترك بينه وبين غيره ولا شيء مطلق سواء قيل
مطلق لا بشرط او مطلق بشرط الاطلاق وتكلمنا على ما يذكرونه من هذه المواد والارواح
والاعراض حواشي غريبة عرضت للحقيقة وانها خرجت عن الحقيقة وبسطنا الكلام
في ذلك بسطا يليق به لانه اشتبه على القوم ما يكون في الذهن والخيال بما يكون
في الوجود والخارج فظنوا ما يتخيلونه في انفسهم من هذه الحقائق كالوجود المطلق
والانسان المطلق موجود في الخارج فهم في الوهم والخيال الذي ليس مطابقا للحقائق
مع كونهم قد ينكرون ما كان من الوهم والخيال مطابقا للخارج كما قد بسطنا ذلك
في غير هذا الموضع وقول هؤلاء باثبات الماهيات المطلقة المجردة وبالمواد المجردة
واثباتها في الاعيان هو شبيه بقول من يثبت الاحوال ثابتة في العدم ويجعل
الماهيات غير مجعولة وهؤلاء يقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته
ولكن يريد بالماهية الماهية المشخصة التي لا تكون لغيره كما يقوله من
يقوله من المعتزلة والرافضة واولئك يقولون بنحو ذلك لكن يقولون باثبات
الماهية النوعية الكلية وكل هذه الامور انما هي ثابتة في الاذهان لا في الاعيان
وان كان بعضهم ينكر على غيره اشد الانكار قوله الذي قاله ما هو نظيره وابلغ
منه او هو هو في الحقيقة كما ينكر طائفة من متكلمي الصفاتية القائلين بالاحوال
كالقاضي ابي بكر والقاضي ابي يعلى على من يقول المعدوم شيء قولهم باثبات الماهيات
المطلقة في الاعيان مع قولهم باطلاق المواد للجسم وتركيب الجسم من جوهرين مادة
وصورة هو مع كونه من نمط هذا القول فهو ان لم يكن ابعد منه فليس دونه في الضعف
اذ جعله حقيقة مطلقة لا تتقيد ثابتة في شيء مقيد وحاصلة له مع ان تلك تنقسم
الى واحد وكثير وهذا لا ينقسم ان هذا في الجسم الى يجعل مورد التقسيم جزءا من القسم

ما في الاعيان وقول من يجعل لكل معين من الموجودات ماهية ثابتة

من ينكره بذلك وقولهم باثبات الاحوال هو من نمط قولهم حيث يقرون باثباتها ثابتة لا موجود ولا معدوم وكما ينكر الفلاسفة على من يقول بالاحوال وبان المعدوم شيء
صح

ثابتا في الاعيان ونحو هذا الاتسوية بين قسمة الكل الى جزئياته والكل الى
اجزائه مع انهم يفرقون بينهما وغاية ما يجيبون به عن هذا ان يقولوا المطلق
من حيث هو لا يوصف لا بنفي ولا باثبات فلا يقال هو واحد ولا كثير ولا ينقسم
ولا لا ينقسم ونحو ذلك مع ان محققيهم كابن سينا يقول انه لا يوجد الا موجودا
في الاعيان او في الذهن وعلى هذا فيكون الوجود المطلق لا يوجد الا في الاعيان الموجودة
فلو كان وجود الرب هو المطلق للزم ان يكون جزءا من اعيان المخلوقات مع انه يلزم
ان يكون ثابتا في الوجود الواجب والوجود الممكن فلا يكون هو واجب الوجود وهذا
تناقض كما قد بسطناه في غير هذا الموضع ومعلوم ان هذا الجواب لم يقصد فيه
بيان هذه المسائل تصويرا وتحريرا وتقريرا وانما نبهنا على النكت التي ضل بها
هؤلاء الذين يدعون انهم افضل العالم واكمل الناس وهم في الحقيقة يندرجون في قوله
تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون وفي قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك
الكافرون وكذلك قال بعد ذلك وهو الوجود في كل موجود وهو مع كل شيء
وقد بينا ان هذا الكلام يشبه قول من يجعل الوجود زائدا على الماهية وهو
يشبه قول ابن العربي من هذا الوجه لكن ابن عربي يشبه قوله قول المعتزلة والرافضة
القائلين بان المعدوم المشخص شيء وهذا يشبه قول المتفلسفة الذين يقولون
ان الماهيات الكلية المطلقة ثابتة في الاعيان وما تقدم في ذلك اللوح يخالف قول
ابن العربي كما تقدم وهو في هذا اللوح جعله بمنزلة الصورة ووجود الماهية
وهناك جعله بمنزلة المادة للصورة ولهذا قال وهو مع كل شيء ومتى سوى من ذلك
الشيء حكم لم يغيره فيه لا من ذلك الشيء فجعل الشيء للشيء ليس هو اياه ثم قال فله في
ذلك الحكم ايجاده والشيء منه الشبه فقط لا نور في الماء وفي النار نار وفي الحلو
حلو وفي المر مر فجعله وجودا للذات ومعلوم ان من قال الماهيات الكلية ثابتة في الاعيان
او من قال ان وجود كل شيء زائد على ماهيته يقول ان الماهية المطلقة المعينة ماهية

٣ بالبينات

المتخصصة منه وجودها ولهذا قال فهو في الماء ماء وفي النار نار وهذا من جنس
قول ابن العربي وهو متضمن اصلين فاسدين احدهما ان في الماء والنار والحلول المر
هتيقتين احداهما وجودها والثاني ذاتها المغايرة لوجودها سواء قيل
لها ماهية معينة او مطلقة وهذا وان كان باطلا فهو قول مشهور لطوائف
من المعتزلة والرافضة وطوائف من المتفلسفة والثاني ان الله هو ما في الماء
والنار في النار وهو حلول للمعلوم في المراد هو عنده نفس وجود الموجودات
وهذا من اعظم الباطل واعظم الكفر والضلال ثم ضرب لذلك مثلا فاسدا

ابطل

فقال مثال ذلك لمعوح السراج نور بصورته فتسرج منه سرج كثيرة شبهه والايجاد
لمن لموح كل شيء بصورة ذلك الشيء ولو كانت تلك السرج التي اوقدت من
السراج من ماهيته هو لنقص مادته بايقاد جملة من السرج وكان يظهر فيه الضعف
قليلا قليلا حتى يفنى وانما الاستعداد من الامر الذي هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء
ولا صورة له اذ لو قيدته صورة ما لم يكن مع كل شيء الا معها فقط تعالى وتقدس
فهو الوجود كله ولا وجود لشيء به الا لعلمه به فذكر ان الايقاد من وجود السراج
لا من ماهيته وانه هو وجود السراج وهو مع الماهية بصورة الماهية والفرق بين
وجود السراج وماهيته باطل واما قوله لو كانت تلك السرج من ماهيته
لفنيت فيقال له وكذلك لو كانت من وجوده لو قدر هناك وجود غير ماهيته
فكيف وليس هناك شيء الا السراج المحسوس وهو حقيقة السراج وذاته وماهيته
في الخارج وما الفرق بين الايقاد من ماهيته ومن وجوده ان قدرنا هنا شيئان
فان قال لان وجوده هو الواجب قيل له هذه الدعوى ذاته تكون هي الدليل وانت
ذكرت هذا دليلا على ان الاستعداد من وجود مقارن الماهية بصورتها ثم يقال
اذا قيل او قدت هذه السرج من هذا السراج فمن اما ان تكون للتبعيض واما
ان تكون للابتداء الغاية والاول باطل فان السراج لم يزل فيه شيء اصلا
ولا تبعض ولا نقص من ذاته شيء اصلا ولو كانت للتبعيض للزم ان يزول بعض الوجود
والماهية ان قيل ما الفرق بينهما واما الثاني اذا قيل هي لابتداء الغاية فهذا

لا محذور فيه

لا محذور فيه سواء قيل ان الايقاد من ماهية السراج او من وجوده او منهما ان فرق
بينهما او قيل انما هنالك شيء واحد والايقاد منه كما هو قول اهل الحق وذلك
ان ذبالة المصباح بتقريبها الى المصباح ومجاورتها له يحدث السراج الله فيها
ذلك النور من غير ان ينقص من ذلك النور الاول شيء ولهذا ايشبهون العلم بهذا
فيقولون كل احد يستفيد من علم العالم من غير ان ينقص منه شيء بل المتعلم يجعل الله في
نفسه نظير ما في نفس المعلم من غير ان ينقص ما في نفس المعلم وكذلك يجعل الله في راس
الذبالة من النور من جنس ما في الذبالة الاولى وتكبر وتصغر وتقوى وتضعف
بحسب ذلك وسواء كان هذا هو الهواء المحيط استحال نارا كما قد تستحيل النار هواء
او غير ذلك فليس هو شيء نقص من الاول فبطل تمثيله هذا وهو يزعم الفلاسفة
والمتفلسفة تعلم ذلك ونقول ان الهواء استحال نارا ومن هنا تطرق في قوله وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقوله وما بكم من نعمة فمن الله وقوله
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقوله انما
الاستعداد من الامر الذي مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولا صورة له فهو يتضمن
ثبوت شيئين وجود وشيء والحق ان الاستعداد ليس هناك الا شيء واحد
وبكل حال فالاستعداد من خالق ذلك الشيء وربه ومليكه الذي ليس هو اياه
بوجه من الوجوه بل هو ربه وخالقه ومليكه وليس الله مع كل شيء بصورة ذلك
الشيء اصلا تعالى الله عن ذلك ومن العجب ان هؤلاء يفرون بزعمهم من التشبيه
والتجسيم وقد صنف ابن سبعين في ذلك ورد فيه على بعض من كان ينكر عليه
من شيوخ اهل مكة ثم بالغوا الى غير ذلك ثم يزعمون انه يشبه كل شيء بصورته
وانه جزء من كل جسم فلم يجعلوه جسما تاما بل جزء جسم كما قد يجعلونه في موضع
اخر وجود كل جسم واذ لم يكن للجسم الجزء الذي اثبتوه وجعلوه بينها للجماد
والحيوان والنبات بل هو عين وجود الجماد والحيوان والنبات ثم قال فهو الوجود
كله ولا وجود لشيء معه الا لعلمه به انت علمه فانت به ثابت من حيث مغايرته
وعلمه اياه وهو التعيين وبه هو موجود من حيث ان علمه عين ذاته

جسما ٣

وههنا لا تعيين وانما المعين من حيث انه صورة فى العلم لامن حيث اطلاق العلم
فهذا يتضمن ان الاشيا التى جعلها موجودة وجود ها عين الحق هى علم الحق
وليس هذا قول اهل السنة الذين يقولون ان الاشيا ثابتة فى علم الله قبل
وجودها ليست ثابتة فى الخارج فان هولا يقولون ان الاشيا الموجودة عين
علمه ولا يقولون ان الاشيا المحسوسة بعد وجودها هى كما كانت فى العلم
بل يقولون ان الله علمها وقدرها قبل ان تكون والمخلوق قد يعلم اشيا قبل ان
تكون كما نحن نعلم ما وصف لنا من اشراط الساعة وصفة القيمة وغير ذلك
قبل ان يكون ومن المعلوم ان علمنا بذلك ليس هو من جنس الحقيقة الموجودة
فى الخارج فانا اذا علمنا الما والنار لم يكن فى قلوبنا ما ونار ولكن علم بذلك يطابقه
مطابقة العلم المعلوم ثم اللفظ يطابق العلم مطابقة اللفظ المعنى ثم الخط يطابق
اللفظ وهذه المراتب الاربعة المشهورة هى الوجود العينى والعلمى واللفظى
والرسمى وجود فى الاعيان وفى الاذهان وفى اللسان وفى البنان وقد تشبه
هذه المطابقة مطابقة الصورة التى فى المراة للوجه ومطابقة النقش الذى فى الشمعة
والطين لنقش الخاتم الذى يطبع ذلك له وليس هو ايضا قول من يقول ان المعدوم
شئ ثابت فى الخارج مستغنى عن الله فانه قد قال وانت لا به لا شئ وهذا يخالف
فيه ابن عربى والصواب معه فيه وان كان اضل من وجه اخر بل قوله لون اخر
فانه جعل علمه بالاشيا² اذ جعل لا وجود معه الا لعلمه بذلك الشئ وجعل
وجعل نفس الاشيا علمه وابن عربى اثبت التغاير من وجه وعدم من وجه وقال
فانت به ثابت من حيثيه متغايره ومن حيثية ان علمه عين ذاته وهذا
الثانى ليشبه قول الفلاسفة الذين يقولون انه عاقل ومعقول وعقل وان
ذلك واحد وقيل ان ابا الهذيل العلاف يقرب الى مذهبهم وفساد هذا
القول معلوم قد بسط فى غير هذا الموضع لكن لما هو الزمه ان يكون وجود
الاشياء غيرها هينها والعلم عندهم عين وجود الاشيا ولا بد من اثبات
مغايرة الاشيا واستقيح ان يجعل الاشيا ثابتة فى الاعيان جعلها عين علمه
فوقع فى شر مما فر منه حيث جعل نفس الاشيا الثابتة فى الخارج عين علم

عين الاشياء²

وهذان

وهذا من جنس قوله انه عين وجود الاشيا وهو فى الحقيقة تعطيل لنفسه
ولعلمه اذ جعل وجوده وجود الاشيا وعلمه هو الاشيا ثم يقول ان علمه عين
ذاته فهذه ثلاث عظائم ثم قال فان عرفته فى كل شئ اعنى كل شئ الا الصورة
المعينة لم تجهله فى صورة اصلا ولم تكن ممن يتجلى له فى غير الصورة التى
يعرفها فيعوذ منه حتى يتجلى له فى الصورة التى يعرفها فيتبعه وهذا وان كان
من السعداء فهو بعيد من اهل العلم بالله تعالى جدا واى معرفة لمن يعرف
المطلق مقيدا بصورة ما فهذا الى الجهل اقرب منه الى العلم غير ان بركة الايمان
وسعادته شملته فتنعم فى الجنة من وراء غيب الايمان وليشفع له النبى
الذى صدقه فرفعت له الحجب وقتا ما فتنعم بالمشاهدة حسب حاله وعلى
قدر نصيبه من رسوخه فى الايمان واخذه بنصيبه من مقام الاحسان
فاذا هو كانه يراه لا انه يراه واين هذا المقام من مقام من راه من عرفه فى
كل شئ عين كل شئ سوى تقييد كل شئ وتعينه بان هذا لا يجوز اليه الاشارة
لانه لم تتقيد صورة قط فمن عرفه كما قلناه وراه فى كل شئ لم ينسه قط
ولم ينسحب عليه من عتاب الاية شئ وهو قوله نسوا الله فنسيهم حاشاهم
من ذلك بل ذكروه دائما بذكرهم ورأوه فى كل شئ مشاهدهم لذلك وشهد
لهم بالكمال قلت وهذا الكلام الذى ذكروه من تجليه تارة فى غير الصورة
التى يعرفها المتجلى له حتى يتعوذ منه وما ذكره من ان هذا الحال ناقصة اخذه
من كلام ابن عربى وابن عربى يحتج بذلك بالحديث الى غير ذلك فان ابن عربى
كان اعلم بالحديث والتصوف من هذا وان كان كلاهما من ابعد الناس عن
معرفة الحديث والتصوف المشروع بل هما اقل الناس معرفة بالكتاب والسنة
واثار سلف الامة وابن سبعين اعلم بالفلسفة من ابن عربى واما الكلام
فكلاهما ياخذ من مشكاة واحدة من مشكاة صاحب الارشاد واتباعه
كالرازى فان ابن عربى ذكر فى اول الفتوحات المكية ثلاث عقايد وذكر فى
الرابعة ذكر العقيدة التى فى كلام صاحب الارشاد مجردة ثم ذكر ما فى الدليل
الكلامى الذى ذكره ثم انتقل الى عقيدة فلسفية ابعد عن اعتقاد اهل الاثبات

ثم رمز الى هذا التوحيد الذي افصح به في الفصوص وعاد قولهم الى تحقيق التعطيل
الذي هو حقيقة قول فرعون وكان يتعلم الكلام المنطقي والمتفلسفة من كلام
الرازي في المحصل وغيره وهو يذكر ان ذلك حصل له بالكشف حتى كان القاضي
بهاء الدين ابن الزكي يذكر انه كان يقع بينه وبين والده منازعة في كلامه
اذ كان والده من الغلاة فيه المعظمين لامره حتى حدثني محيي الدين ابن
المصري وكان من اخص اصحابه انه قال في معرض كلام له افضل الخلق عندي
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة والحسن والحسين ومحيي
الدين ابن العربي وكان يقول ان كلامه حصل له على طريق الكشف قال فوجدت
نسخة من المحصل بخطه جدا دقيقة فجئت بها الى والدي وقلت نسخ المحصل بيده
فلولا شدة رغبته في معرفة كلام هذا الرجل لما كان كتبها بخطه او كلاما نحو
هذا واما ابن سبعين فاصل مادته من كلام صاحب الارشاد واذا ظهر
نقضه ونحوه من الكلام ومن كلام ابن رشد الحفيد وبالغ في تعظيم ابن
الصائغ المشهور بابن باجة وذويه في الفلسفة وسلك طريقة الشودية
في التحقيق واخذ من كلام ابن عربي وسلك طريقا في تحقيقهم مغاير الطريق
غيره وان كان مشاركا لهم في الاكثر وهما وامثالهما يستمدان كثيرا مما سلكه
ابو حامد في التصوف المخلوط بالفلسفة ولعل هذا من اقوى الاسباب في سلوكهم
هذا الطريق وابو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في الارشاد والشامل
ونحوهما مضموما الى ما تلقاه من القاضي ابي بكر الباقلاني في اصول الفقه سلك في
الغالب مذهب الباقلاني في مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ونحو ذلك
وضم الى ذلك ما اخذه من كلام ابي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه واما
في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي ابي بكر وشيخه في اصول الفقه
يميل الى مذهب الشافعي وطريقة الفقهاء التي هي اصوب من طريقة الواقفة
ومادة ابي حامد في الفلسفة من كلام ابن سينا ولهذا يقال ابو حامد امرضه الشفا
ومن كلام اصحاب رسائل اخوان الصفا ورسائل ابي حيان التوحيدي
ونحو ذلك واما في التصوف وهو اجل علومه وبه نبل فاكثر مادته من كلام الشيخ

ابي طالب

ابي طالب المكي الذي يذكره في المنجيات في الصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة
والاخلاص فان عامته ماخوذ من كلام ابي طالب لكن كان ابو طالب اسد واعلى
وما يذكره في ربع المهلكات فاخذ غالبه من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية
كالذي يذكره في ذم الحسد والعجب والفخر والرياء والكبر ونحو ذلك واما شيخه
ابو المعالي فمادته الكلامية اكثرها من كلام القاضي ابي بكر ونحوه واستمد من كلام
ابي هاشم الجبائي على مختارات له وكان قد قرأ الكلام على ابي قاسم الاسكاف
عن ابي اسحق الاسفرائيني ولكن القاضي هو عندهم اولى ولقد خرج عن طريقة
القاضي وذويه في مواضع الى طريقة المعتزلة واما كلام ابي الحسن نفسه فلم يكن
يستمد منه وانما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس والرازي مادته الكلامية
من كلام ابي المعالي والشهرستاني فان الشهرستاني اخذه عن الانصاري
النيسابوري عن ابي المعالي وله مادة قوية من كلام ابي الحسين البصري
وسلك طريقته في اصول الفقه كثيرا وهي اقرب الى طريقة الفقهاء من طريقة الواقفة
وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني ايضا ونحوهما واما
التصوف فكان فيه ضعيفا كما كان ضعيفا في الفقه ولهذا يوجد في كلام هذا
وابي حامد ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام ابي المعالي وذويه ويوجد
في كلام هذا وابي المعالي وابي حامد من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في
كلام ابي الحسن الاشعري من النفي الذي اخذه من المعتزلة ما لا يوجد
في كلام ابي محمد ابن كلاب الذي اخذ ابو الحسن طريقه ويوجد في كلام ابن
كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام اهل الحديث
والسنة والسلف والائمة واذا كان الغلط شبرا صار في الاتباع ذراعا
ثم باعا حتى آل هذا المآل فالسعيد من لزم السنة فصل ومن تدبر
الحديث والقاطعة علم انه حجة على هؤلاء الاتحادية الجهمية لا لهم وانه مبطل
لمذهبهم مع انهم يجعلونه عمدتهم في دعواهم ظهوره في كل صورة من الصور المشهودة
في الدنيا والآخرة حتى في الجمادات والقاذورات والحديث مستفيض بل متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل فيه قواعد من امور الايمان

لا وقدماء اصحابه
ويوجد في كلام ابي الحسن

بالله واليوم الاخر اخرجاه في الصحيحين من غير وجه من حديث الزهري عن سعيد بن
المسيب وعطا بن زيد عن ابي هريرة وابي سعيد واخرجاه ايضا من حديث زيد
بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد ورواه مسلم عن جابر موقوفا كالمرفوع
وهو معروف من حديث ابن مسعود وغيره ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة
ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم
القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة
البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها
سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيمة فيقول من كان
يعبد شيا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر
ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم
الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون
نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جا ربنا عرفناه فياتيهم
الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه ويضرب
الصراط بين ظهري جهنم فاكون انا وامتي اول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل
ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان
هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان
غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله
ومنهم المخردل او المجازى حتى ينجا حتى اذا فرغ الله من القضا بين العباد واراد
ان يخرج برحمته من اراد من اهل النار امر الملائكة ان يخرجوا من النار من كان
لا يشرك بالله شيا ممن اراد ان يرحمه ممن كان يقول لا اله الا الله فيعرفونهم
في النار يعرفون باثر السجود تاكل النار ابن ادم الا اثر السجود حرم الله على
ان تاكل اثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ما الحياة
فينبتون وفي لفظ البخاري منه كما ينبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضا
بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو اخر اهل الجنة دخولا الى

[هامش: يعرفونهم ٢]

الجنة

الجنة فيقول اي رب اصرف وجهي عن النار فانه قد قشبني ريحها واحرقني
ذكاوها فيدعو الله ما شا ان يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت
ان فعلت ذلك بك ان تسال غيره فيقول لا يا رب لا اسالك غيره ويعطي
ربه من عهود ومواثيق ما شا الله فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل على
الجنة وراها سكت ما شا الله ان يسكت ثم يقول اي رب قدمني الى باب
الجنة فيقول الله اليس قد اعطيت عهودك ومواثيقك ان لا تسالني غير الذي
اعطيتك ويلك يا ابن ادم ما اغدرك فيقول اي رب ويدعو الله حتى
يقول له فهل عسيت ان اعطيتك ذلك ان تسال غيره فيقول لا وعزتك
فيعطي ربه ما شا من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة فاذا قام على باب
الجنة انفهقت له الجنة فراى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شا
الله ان يسكت ثم يقول اي رب ادخلني الجنة فيقول الله اليس قد اعطيت
عهودك ومواثيقك ان لا تسال غير ما اعطيتك ويلك يا ابن ادم ما اغدرك
فيقول اي رب لا اكون اشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه
فاذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فاذا دخلها قال الله له تمنه فيسال
ربه ويتمنى حتى ان الله ليذكره من كذا ومن كذا حتى اذا انقطعت به الاماني
قال الله ذلك لك ومثله معه قال عطا بن يزيد وابو سعيد الخدري مع ابي
هريرة لا يرد عليه من حديثه شيا حتى اذا حدث ابو هريرة ان الله قال
لذلك الرجل ومثله معه قال ابو سعيد وعشرة امثاله معه يا ابا هريرة
قال ابو هريرة ما حفظت الا قوله ذلك لك ومثله معه قال اشهد اني حفظت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة امثاله قال
ابو هريرة وذلك الرجل اخر اهل الجنة دخولا الجنة وهذا الحديث من اصح
حديث على وجه الارض معروف من حديث ابن شهاب الزهري احفظ الامة
للسنة في زمانه كان عنده عن سعيد بن المسيب افضل التابعين وعن عطا
بن يزيد الليثي عن ابي هريرة فكان تارة يحدث به عنهما وتارة عن احدهما
كما هو عادة الزهري في احاديث كثيرة وهذا الذي ذكرنا رواية ابراهيم

[هامش: تبارك وتعالى ٣]

بن سعيد عنه عن عطاء بن يزيد ومنه رواه مسلم كما ذكر وعطف على
رواية شعيب عنه عن سعيد بن المسيب وعطاء قال وساق الحديث
بمثل معنى حديث ابرهيم واما البخاري فرواه من حديث شعيب عن الزهري
عنهما مرتين ورواه من حديث ابرهيم بن سعيد ايضا الذي ساقه لمسلم
ورواه من حديث معمر ايضا عن الزهري عن عطاء وفي الصحيحين ايضا من حديث
زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري ان ناسا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا
ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك
وتعالى يوم القيمة الا كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيمة
اذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله
من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من
كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال ما كنتم
تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من
صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا رب فاسقنا فيشار اليهم
الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون
في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح
ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا
تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون
الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق
الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين في ادنى صورة
من التي راوه فيها قال فما تنتظرون لتتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا
فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان

بعضهم

بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه اية فتعرفونه فيقولون نعم
فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله
له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة
كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي
راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل
الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض
مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها
السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد
الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا
خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة
لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار يقولون
ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم
فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف
ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي احد ممن امرتنا فيقول ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم
يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
نصف دينار فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا
من امرتنا ثم يقول ارجعوا فاخرجوا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من
خير فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد
يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا ان شئتم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون
ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج قوما لم يعملوا خيرا
قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون

كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى
الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول
الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم
تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه
ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا
أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا
فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم
بعده أبدا وهذا سياق مسلم من حديث حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم
ثم أتبعه برواية الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي
هلال عن زيد بن أسلم قال نحو حديث حفص بن ميسرة وزاد بعد قوله
بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه قال أبو سعيد
بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف وليس في حديث الليث
فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ثم رواه من حديث هشام بن
سعد قال ثنا زيد بن أسلم نحو حديث حفص وزاد ونقص شيئا وأخرجه
البخاري أيضا وفي صحيح مسلم من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير
أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال نجيء نحن يوم القيامة
عن كذا وكذا قلت صوابه على تل كما جاء مفسرا أظن أن ذلك فوق
الناس قال فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا
ربنا بعد ذلك فيقول ما تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم
فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى
كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب
وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فينجو
أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين

٣ من حديث زيد

يلونهم

يلونهم كأضوء نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج
من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون
بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء
في السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها
فهذه الأحاديث ونحوها اعتمدها هؤلاء الجهمية الاتحادية في قولهم
إن الله يظهر في الصور كلها ويجعلونه ظاهرا في كل صورة من حيوان ونبات
ومعدن لأنه يظهر في الصور كلها إذ هو الوجود كله عندهم وعندهم أن ذاته لا ترى
بحال كما قال صاحب الفصوص في الحكمة الياسية فإن العقل إذا تجرد لنفسه
من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله على التنزيه لا على التشبيه
وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلي كملت معرفته بالله فنزه في موضع وشبه في موضع ورأى
سريان الحق في الصور الطبيعية العنصرية وما بقيت له صورة إلا ويرى عين
الحق عينها وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله وحكمت
بهذه المعرفة الأوهام كلها ولذلك كانت الأوهام أقوى سلطانا في هذه
النشأة من العقول لأن العاقل لو بلغ ما بلغ في عقله لم يخل عن حكم الوهم عليه
والتصور فيما عقل فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية
وبه جاءت الشرائع المنزلة فشبهت ونزهت شبهت في التنزيه بالوهم ونزهت
في التشبيه بالعقل فارتبط الكل بالكل فلم يتمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه ولا تشبيه
عن تنزيه قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فشبه وهي أعظم آية
أنزلت في التنزيه ومع ذلك لم تخل عن التشبيه بالكاف وهو أعلم بنفسه
وما عبر عن نفسه إلا بما ذكرناه ثم قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وما يصفونه إلا بما تعطيه عقولهم فنزه نفسه عن تنزيههم إذ حددوه
بذلك التنزيه وذلك لقصور العقول عن إدراك مثل هذا ثم جاءت
الشرائع كلها بما تحكم به الأوهام فلم تخل الحق عن صفة يظهر فيها كذا قالت
وبذا جاءت الرسل فعملت الأمم على ذلك فأعطاها الحق التجلي فلحقت

بالرسل وراثة فنطقت بما نطقت به رسل الله ويعطيان تتصور هذا الزي
الستور وتدل الحجاب على عين المعتقد والمعتقد والصور وان كانت من بعض
صور ما يتجلى فيه الحق ولكن قد امرنا بالستر ليظهر تفاضل استعداد الصور
المتجلى في صور بحكم استعداد تلك الصورة فينسب اليه ما تعطيه حقيقتها
ولوازمها لا بد من ذلك الى ان قال قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان اذ لا يكون مجيبا الا اذا كان من يدعوه وان كان
عين الداعي عين المجيب فلا خلاف في اختلاف الصور فهما صورتان بلا شك
وتلك الصور كلها كالاعضاء لزيد فمعلوم ان زيدا حقيقة واحدة شخصية
وان يده ليست صورة رجله ولا رأسه ولا عينه ولا حاجبه فهو ذا
تكثير الواحد المكثر بالصور الواحد بالعين وكالانسان واحد بالعين بلا شك
فهو كثير بالصور والاشخاص وقد علمت قطعا ان كنت مؤمنا ان الحق عينه
يتجلى في القيمة في صورة فيعرف ثم يتحول في صورة فينكر ثم يتحول عنها في
صورة فيعرف وهو هو المتجلي وليس غيره في كل صورة ومعلوم ان هذه
الصورة ما هي تلك الصورة الاخرى وان كانت العين واحدة فانت مقام
المرآة فاذا نظر الناظر فيها الى صورة معتقده في الله عرفه فاقر به واذا
اتفق ان يرى فيها معتقد غيره انكره كما يرى في المرآة صورته وصورة غيره
فالمرآة عين واحدة والصور كثيرة في عين الرائي وهذا الحديث يبين فساد
مذهبهم بعينه ما فوقه من وجوه احدها ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل يرون ربهم يوم القيمة ولم يسألوه عن رؤيته في الدنيا فان
هذا كان معلوما عندهم انهم لا يرونه في الدنيا وقد اخبرهم النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك كما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه منها ما رواه مسلم
في صحيحه من حديث يونس وصالح عن ابن شهاب ان سالم بن عبد الله بن عمر
اخبره ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي فلا شك ان عمرو وزيد
ولا خالد ولا جعفر وان
اشخاص هذه العين واحدة
لا تتناهى وجودا فهو وان
كان واحدا بالعين

في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند اطم بني مغالة وقد قارب
ابن صياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد اتشهد اني رسول الله فنظر اليه ابن
صياد فقال اشهد انك رسول الاميين فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اتشهد اني رسول الله فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
امنت بالله وبرسله ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ترى فقال ابن
صياد يأتيني صادق وكاذب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط
عليك الامر ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد خبأت لك خبأ فقال
ابن صياد هو الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذرني يا رسول الله اضرب عنقه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان لم يكن هو
فلا خير لك في قتله وقال سالم بن عبد الله سمعت عبد الله بن عمر يقول انطلق بعد ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بن كعب الى النخل التي فيها ابن صياد
حتى اذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتقي بجذوع النخل
وهو يختل ان يسمع من ابن صياد شيئا قبل ان يراه ابن صياد فراه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها
زمزمة فرأت ام ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتقي
بجذوع النخل فقالت لابن صياد يا صاف وهو اسم ابن صياد هذا
محمد صلى الله عليه وسلم فثار ابن صياد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو تركته بين فقال سالم قال عبد الله بن عمر فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه
ما من نبي الا انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكن اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي
لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور قال ابن شهاب

واخبرني عمر بن ثابت الانصاري انه اخبره بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر الناس الدجال انه
مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله او يقرؤه كل مؤمن وقال تعلموا انه
لن يرى احد منكم ربه حتى يموت وقد روي هذا المعنى من وجوه اخر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بين ما قبل الموت وما بعده
واخبر انه لن يراه احد قبل الممات في سياق بيانه لهم ان الدجال ليس هو الله
كما ذكر لهم انه اعور وان ربهم ليس باعور وذكر لهم مع ذلك انهم لا يرون
ربهم في الدنيا ليعلموا ان كل ما يرى في الدنيا ليس هو الله وهذا ايه نعم قول بعض
الجهال المتفرطة من هولاء انه لن يرى ربه حتى يموت اي تموت نفسه وهواه
فان هذا وان لم يكن هو مدلول اللفظ ولا يحتمله مثل هذا اللفظ فلو كان
مقالهم يصح ان يكون دليلا لهم على ان الدجال ليس هو ربهم فانه اذا جوز
عند موت هوى النفس ان يرى بعينه الله لم يصح حينئذ ان يكون
ينفي عن كل مرئي بالعين في الدنيا انه الله واعلم ان الصحابة
والتابعين وائمة المسلمين واهل السنة من جميع الطوائف متفقون على
ان المؤمنين يرون ربهم في الاخرة عيانا كما يرون الشمس والقمر
كما تواترت بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومتفقون
على انه لا يراه احد بعينه في الدنيا كما ذكره ابو بكر الخلال في كتاب السنة
عن حنبل عن اسحق بن حنبل قال سمعت ابا عبد الله يعني احمد بن حنبل
يقول ان الله لا يرى في الدنيا ويرى في الاخرة ثبت في القران وفي السنة
وعن اصحاب رسول الله صلى عليه وسلم والتابعين واما رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم وتنازع عائشة وابن عباس فقد بسطنا الكلام
فيه في غير هذا الموضع وبينا ان الثابت عن ابن عباس ثم عن الامام احمد
هو شي واحد وهو اما اطلاق الرؤية واما تقييدها بالفؤاد واما التقييد

بانه رآه بعينه فلم يثبت لا عن ابن عباس ولا عن احمد ابن حنبل ونحوهما واما
الاحاديث التي يرويها بعض الناس في ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه بالطواف
او بعرفة او في بعض سكك المدينة فكلها كذب موضوع باتفاق اهل العلم وتنازع
المتاخرون المنتسبون الى السنة في الكفار هل يحجبون عنه في الاخرة مطلقا
او يرونه ثم يحجبون على ثلاثة اقوال فقال طوائف من اهل الكلام والفقه
وغيرهم من اصحاب مالك لا يرونه بحال وقالت طائفة منهم ابو الحسن بن سالم
وغيره بل يرونه ثم يحجبهم كما يدل على ذلك احاديث معروفة وقال ابو بكر
ابن خزيمة بل يراه المنافقون من هذه الامة دون غيرهم وقد بسطنا الكلام
على ذلك في غير هذا الموضع واما من سوى اهل السنة فمنهم قولان متطرفان احدهما
وهو قول الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة والمتفلسفة وغيرهم انه لا يرى بحال
بل رؤيته ممتنعة عندهم والثاني قول بعض المتكلمين وبعض جهال الصوفية
انه يرى في الدنيا وقد ذكر ذلك ابو طالب المكي عن بعض الصوفية ورد عليه وكذلك
حكاه الاشعري في المقالات عن طائفة منهم ومن الناس من يجعل للاشعري نفسه
في هذه المسألة قولين وبعض اصحابه جوز ذلك ولم يجوز وقوعه وليس النزاع في امكان ذلك
وقدرة الله عليه فان هذا لا نزاع فيه بين مثبتي الرؤية وانما النزاع هل يقع
ذلك في الدنيا لمن اصحابه من يسوغ وقوعه بحسب ما تدعوا اليه الحاجة للداعي
وقد يحصل ذلك لبعض الناس وهذا باطل مخالف للنصوص ولاجماع السلف
والائمة بل نفاة الرؤية مع كونهم مبطلين اجل من هولاء وهولاء اقرب الى الشرك
منهم واما هولاء الاتحادية فهم يجعلون بين النفي العام والاثبات العام فعندهم ان
ذاته لا يمكن ان ترى بحال وليس لها اسم ولا صفة ولا نعت اذ هو الوجود المطلق
الذي لا يتعين وهو من هذه الجهة لا يرى ولا اسم له ويقولون انه يظهر في الصور
كلها وهذا عندهم هو الوجود الاسمي لا الذاتي ومن هذه الجهة فهو يرى في كل شي
ويتجلى في كل موجود لكنه لا يمكن ان ترى نفسه بل تارة يقولون يرى هو في الاشيا
وهو تجليه في الصور وتارة يقولون كما يقول ابن عربي ترى الاشيا فيه

وتارة يقولون يرى له في الأشياء وهو تجليه في الصور وتارة يقولون كما
يقول ابن سبعين عين ما ترى ذات لا ترى وذات لا ترى عين ما ترى وهم جميعا
يحتجون بالحديث وهم مضطربون لأن ما جعلوه هو الذات عدم محض إذ المطلق
لا وجود له في الخارج مطلقا بلا ريب فلم يبق الا ما سموه مظاهر ومجالي فيكون
الخالق عين المخلوقات لا سواها وهم معترفون بالحيرة والتناقض مع ما هم
فيه من الكفر والتعطيل والجحود وقد تقدم قول صاحب الفصوص في الفص
الشيثي وان المتجلي له لا يراه الا صورته في مرآة الحق ولا رأى الحق ولا يمكن
ان يراه مع علمه انه ما رأى صورته الا فيه كالمرآة في الشاهد ترى الصورة
فيها وهي لا ترى مع علمك انك ما رأيت الصورة الا فيها وزعم انك اذ ذقت
هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق فلا تطمع ولا تتعب نفسك
في ان ترتقي في أعلى من هذه الدرج فما هو ثم اصلا هذا تصريح بامتناع الرؤية
وله حقيقة قولهم اذ هم من غلاة الجهمية ثم مع ذلك يجعلونه نفس الموجودات
كما يقول صاحب الفصوص ومن اسمائه الحسنى العلي على من وما ثم الا هو وعن ماذا
وما ثم الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات
هي العلية لنفسها وليست الا هو وكذلك ابن سبعين يقول عين ما ترى
ذات لا ترى وذات لا ترى عين ما ترى واعلم ان طائفة ممن يثبت الرؤية
من اصحاب الاشعري بل وبعض المنتسبين الى الامام احمد يفسرون الرؤية
بنحو تفسير الجهمية كالمريسي والمعتزلة فيقولون هي زيادة علم وانكشاف
بحيث نعلم ضرورة ما كان يعلم نظرا وهؤلاء يجعلونها من جنس العلم وادفع
منهم من يجعلها مع تعلقها بالعين وكونها مشروطة بوجود المرئي من هذا النمط
فيقول هي مجرد خلق إدراك في العين وانه لا حجاب الا المانع المضاد لها فاذا
زال حصلت الرؤية ولهذا ادخل الفرد والنجار في نفس الرؤية ان تكون رؤية
من بعد النبي هذا أوضحها وكل ذلك فرارا مما اخبر به الرسول صلى الله
عليه وسلم قد انصح بها غاية الافصاح واوضحها غاية الايضاح ولهم اعظم
رؤية يعرفونها وانذرونها كذلك في الت الشبهة وقد ناظرت

غير واحد

كما انه لا مانع من العلم
الا الجهل المضاد له
فاذا زال حصلت الرؤية
من رؤية الهبائية
وهو صحيح

غير واحد من هؤلاء من نفاة الرؤية ومحرفيها من شيعي ومعتزلي وغيرهما
فذكرت لهما الشبهة التي تذكرها نفاة الرؤية فقلت هي كلها مبنية
على مقدمتين احداهما ان الرؤية تستلزم كذا وكذا كالمقابلة والتحيز
وغيرهما والثاني ان هذه اللوازم منتفية عن الله تعالى فكلما يذكره هؤلاء
فاحد الامرين فيه لازم اما ان لا يكون لازما بل يمكن الرؤية مع عدمه وهذا
المسلك سلكه الاشعري وطوائف كالقاضي ابي يعلى وابن عقيل وغيرهم لكن
اكثر العقلاء يقولون ان من ذلك ما هو معلوم الفساد بالضرورة واما ان
يكون لازما فلا يكون محالا فليس في العقل ولا في السمع ما يحيله بل اذا قدر انه
لازم للرؤية فهو حق لان الرؤية حق قد علم ذلك بالاضطرار عن خير البرية
اهل العلم بالاخبار النبوية وهؤلاء الاتحادية ما انتهوا قول هؤلاء الذين
لا حقيقة للرؤية عندهم الا زوال حجاب في الانسان كالآفة التي فيه المانعة
من الرؤية فقالوا انه يمكن زوال هذا الحجاب فتحصل المشاهدة وضموا الى ذلك
الجهمية اصولهم الفاسدة من انه ليس مباينا للعباد بل هو الوجود المطلق له
فقالوا يرى في المظاهر وان كانت ذاته لا ترى بحال وهذا الكلام هو تعطيل
للخالق ولرؤيته ودعوى الربوبية لكل احد كما ان صاحب الفصوص ولكان
فرعون في منصب التحكم وانه الخليفة بالسيف وان جار في العرف الناموسي
لذلك قال انا ربكم الاعلى اي وان كان الكل اربابا بنسبة ما فانا الاعلى
منهم بما اعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله
لم ينكروه واقروا له بذلك وقالوا انما تقضي هذه الحياة الدنيا فاقض ما انت
قاض فالدولة لك فصح قوله انا ربكم الاعلى وان كان عين الحق فاذا كان
قد جعل فرعون صادقا في قوله انا ربكم الاعلى وهو عنده عين الحق فالدجال
ايضا احق بهذا الصدق فانه يقول للسماء امطري فتمطر وللارض انبتي
فتنبت وللخربة اخرجي كنوزك فتخرج الخربة كنوزها تتبعه ففي صحيح
مسلم عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا

اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال فخفضت
فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان
يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه
والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني اشبهه بعبد
العزى ابن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف انه خارج خلة
بين الشام والعراق فعاث يمينا وشمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله
وما لبثه (في الارض) قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه
كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال
لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث
استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيامر
السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه
ضروعا وامده خواصر ثم ياتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم
فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي
كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه
بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك
فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي
دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر
واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات
ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله
ثم ياتي عيسى قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم
في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى اني قد اخرجت عبادا لي لا
يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج
وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر
اخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون
راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله

واصحابه

واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله
عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله
عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله
مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض كلها حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض
انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها ويبارك
في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس
واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذ تحت
اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم
تقوم الساعة وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب اخبرني عبد الله ابن عبد الله ابن عتبة
ان ابا سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن
الدجال فكان فيما حدثنا قال ياتي وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهي الى بعض
السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير الناس فيقول له
اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال ارايتم
ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه
والله ما كنت فيك اشد بصيرة مني الان قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه
وفي صحيح مسلم من حديث ابي الوداك واسم ابي الوداك جبر ابن نوف عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين
فتلقاه مسالح الدجال فيقولون اين تعمد فيقول اعمد الى هذا الذي خرج قال فيقولون
له اوما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض اليس
قد نهاكم ربكم ان تقتلوا احدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا راه المؤمن قال
يا ايها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيامر الدجال به
فيشبح فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول اوما تؤمن بي قال فيقول
انت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه

قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين قال ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم يقول له اتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول ايها الناس انه لا يفعل هذا بعدي باحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاس فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه في النار وانما القي في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شهادة عند رب العالمين فاذا كان فرعون صادقا في قوله انا ربكم الاعلى مع انه لم يأت بشبهة صادقة فالدجال احرى ان يكون صادقا على قول هؤلاء ويكفيك بقوم ضلالا ان يكون فرعون والدجال صادقين على مذهبهم وهما اعظم اعداء الله من الانس واعظم الخلق فرية في دعوى الالهية ولهذا انذرت الرسل جميعا بالدجال واما فرعون فلم يذكر احد في القرآن قصة كقصته ولا اكثر واكبر من قصته ومعلوم ان عيسى وموسى هما الرسولان الكريمان صاحبا التوراة والانجيل وموسى ارسل الى فرعون وعلى يديه كان هلاكه والدجال ينزل الله اليه عيسى ابن مريم فيقتله فيقتل مسيح الهدى الذي قيل انه ابن الله المسيح الضلال الذي يزعم انه الله ولما كانت دعواه الربوبية محتضر في نفسه لم يكن ما معه
.. من الخوارق حجة لصدقه بل كانت محنة وفتنة يضل الله بها من يشاء ويهدي من يشاء
.. كالعجل وغيره لكنه اعظم فتنة وفتنته لا تختص بالموجودين في زمانه بل حقيقة فتنته
.. الباطل المخالفة للشريعة المقرون بالخوارق فمن اقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد
.. اصابه نوع من هذه الفتنة وهذا كثير في كل زمان ومكان لكن هذا المعين فتنته
.. اعظم الفتن فاذا عصم الله عبده منها سواء ادركه او لم يدركه كان معصوما مما هو دون
.. هذه الفتنة فكثير يدعون او يدعى لهم الالهية بنوع من الخوارق دون هذه وآخرون
.. يدعون النبوة وآخرون يدعون الولاية والمهدية او ختم الولاية او الرسالة
.. والمشيخة وقد رأيت من هؤلاء طوائف وفي الصحيحين من حديث مالك عن ابي الزناد
.. عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تبعث

دجالون

دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وفي الصحيح عن سماك عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة كذابين قال سماك وسمعت اخي قال جابر فاحذروهم وقد روى مسلم في اوائل الصحيح في وجهين عن مسلم بن يسار انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث ما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره فالذي يقول انه يحدث عن قلبه عن ربه وانه يأخذ عن الله بلا واسطة وانه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به الى الرسول وانه يحدث بمقتضى الادلة القطعية اولى فان هذا يدعي ما هو عنده اعلى وان كان له نصيب من قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله وقد سال بعضهم مالكا عن بعض من كان بالعراق من هؤلاء المطلبين فقال كلمة او كلاما فيه هؤلاء الدجاجلة قال ما سمعت جمع دجاجلة الا من مالك واصل الدجل التغطية والتمويه والتلبيس ومعلوم ان اتباع مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة الاسدي وسجاح كانوا مرتدين وقد قاتلهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان مسيلمة انما ادعى المشاركة في النبوة لم يدع الالهية ولا ادعى بقرآن يناقض التوحيد بل جاء بكلام يتضمن ما ادعاه من الشركة في الرسالة وسجاعا من الكلام الذي لا فائدة فيه ولهذا قال ابو بكر لبعض بني حنيفة وقد استقراهم شيئا من قرآن مسيلمة فلما قرؤه قال ويحكم اين يذهب بعقولكم ان هذا كلام لم يخرج من ال وذلك نحو قوله يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين راسك في الماء وذنبك في الطين وقوله والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا الثالة وسمنا ان الارض بيننا وبين قريش نصفين ولكن قريشا قوم لا يعدلون وقوله والفيل وما ادراك ما الفيل

٣ الالوهية

ر من الله

لدز لوم طويل ان ذلك من خلق ربنا الجليل ولما كتب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فانى
اشركت فى الامر معك فكتب النبي صلى الله عليه وسلم يقول له من محمد رسول
الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فانك لو سألتنى هذه ما اعطيتكه
اياه فمن ادعى انه مؤمن بما يقوله هؤلاء وان اتبع الرسول فى الشرائع
مع مشاركته له فى مشاهدة ذلك فهو فوقه فى التحقيق والعلم بالله لانه
يأخذ من حيث الملك الذى يوحى به الى الرسول فلا ريب ان هذا القول
اعظم فرية من قول مسيلمة الكذاب لكن هؤلاء لم يكونوا طائفة ممتنعة
بدار يحاربون فيها المسلمين بل هم موافقون فى الظاهر على اتباع رسول
الا محمد صلى الله عليه وسلم واكثر اتباعهم لا يعلمون ان هذا قول رؤسهم ثم منهم قوم
منافقون لا يجهرون بذلك بين المسلمين كما كان مسيلمة يجهر بدعوى النبوة
حتى كان مؤذنه يجهر يقول اشهد ان محمدا ومسيلمة رسولا الله ومن هؤلاء من هو
فى الباطن اكفر من المشركين فضلا عن اهل الكتاب ومنهم قوم يقرؤن الكتب المصنفة
لذلك علانية وقد لا يفهمون ما فيها من الكفريات وقد قال لى افضل شيوخ هؤلاء
بالديار المصرية لما اوقفته على بعض ما فى هذا الكتاب مثل هذا الموضع وغيره فقال
هذا كفر وقال لى فى غير مجلس اخر هذا الكتاب عندنا من اربعين سنة نعظمه
ونعظم صاحبه ما ظهر لنا هذه المصائب الا الان ومنهم طائفة قد لا يكونون متعمدين
الكذب لكنهم ملبوس عليهم الضلالة بحيث يظنون ان الرسول لم يعلم الحقائق
وانما علم الاعمال الظاهرة ويشركون فى ذلك اخوانهم المتفلسفة فى نحو ذلك
وتجد هؤلاء يعتمدون فى الامور العلمية والمسائل الخبرية عن الله تعالى واسمائه
وصفاته على كلام الله ورسوله وهذا من اصول الضلال التى وقع فيها رؤس بعض
طوائف من اهل الزيغ والمنافقين ومنهم طائفة يتأولون بعض هذه المقالات
الكفرية اذا خاطبهم الجاهل الذى لا يفهم ما فيها او يفوضون علمها الى الشيخ ويقول
الشيخ اعلم بما قال كانه نبي معصوم مع كثرة ما فى كلامه من الباطل والكذب والجهل
وان لم يكن كفرا مع ما فيها من الكفر بل قول هؤلاء يتضمن تعطيل التوحيد وحقيقة الرسالة

وهما

وهما اصلا الاسلام وقد تتضمن ايضا تعطيل الايمان بما فى اليوم الاخر من
الثواب والعقاب بل ويتضمن ايضا تعطيل ما جاءت به الرسل من الامر والنهي
فهذه اصول الايمان فى كل ملة وزمان الايمان بالله ورسله وباليوم الاخر والعمل
الصالح قال تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين وقال تعالى
ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين وقال تعالى امن
الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله
وفى حديث جبريل الذى فى الصحيح من حديث ابى هريرة فى مسلم ومن حديث عمر
وهو فى اول مسلم قال ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون وقال تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم
منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ولما كان هؤلاء من اخوان القرامطة الفلاسفة
الباطنية واولئك بدلوا الاصول الثلاثة التى هى اصول السعادة فى كل ملة الايمان
بالله وباليوم الاخر والعمل الصالح كما ذكر ذلك فى سورة البقرة والمائدة فذكر
الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين بقوله من امن بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفى البقرة فلهم اجرهم عند ربهم فالقرامطة
الذين يظاهرون الصابئة الفلاسفة والمجوس الثنوية عطلوا وحرفوا الايمان
بالله وكذلك الايمان باليوم الاخر وكذلك العمل الصالح حتى جعلوا ما جاءت به
الشريعة من اسماء الاعمال انما هى رموز واشارات الى حقائقهم كقولهم ان الصلاة
معرفة اسرارنا والصيام كتمان اسرارنا والحج زيارة شيوخنا المقدسين
وامثال ذلك كان فى كلام هؤلاء من التعطيل والتحريف للايمان بالله واليوم الاخر والعمل الصالح

ما اظهروه به وكما ان مذهب القرامطة والحادها ونفاقها لم يكن يظهر ابتداء
لمن يتبعهم من الشيعة بل كان اولئك يظنون انهم متبعون للشريعة وكان
في الشيعة من البدعة ما دعاهم عليه مع تمسكا لشيعة بما هم عليه من الاسلام كذلك
قول هؤلاء لا يظهر ابتداء لمن اتبعهم من مفرط في معرفة السنة من متبعهم ضعيفا في العقل
او في التفقه بل يكون فيه من البدعة ما والاهم عليه وهو متمسك بما هو عليه من الاسلام
ولكن المحققون منهم لطريقهم هم الذين يصيرون مثل القرامطة كما قيل لافضل
محققيهم وقد قرئ عليه الفصوص هذا يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك
وانما التوحيد في كلامنا وقال لا فرق بين الزوجة والام عندنا ولكن هؤلاء
المحجوبون قالوا حرام فقلنا عليكم ولهذا تجد المحقق منهم يستحل المحرمات من الخمر
والفواحش وترك الصلوات والكذب وموالاة اليهود والنصارى بل يكون اعظم
شرا في الباطن من اليهودي والنصراني المتمسك بشريعته المبدلة المنسوخة ولكن
في اليهود والنصارى من هو شر منهم لموافقته لهم على هذا الاتحاد ولما كانت القرامطة
انما لبسوا على الناس بدخولهم من باب موالاة اولياء الله من اهل البيت كذلك دخل هؤلاء
من باب موالاة اولياء الله ولما كان في غلاة الشيعة من يعتقد نبوة علي او الوهيته
وكان ايضا في غلاة المتنسكة من يعتقد في بعض المشائخ الالهية او نبوة كان
لهؤلاء كذلك وزادوا على ذلك حيث جعلوا خاتم الاولياء اعلى من جميع الانبياء
والرسل حتى خاتم الرسل وجعلوا الالهية في كل شيء ولما كان للقرامطة في الدعوة
مراتب كذلك لهؤلاء في الحادهم مراتب فاول ذلك زعمهم ان الولاية افضل من
النبوة والنبوة افضل من الرسالة وينشدون

مقام النبوة في برزخ … فويق الرسول ودون الولي

وهذا انما يموهون به لعوامهم ويناظرون الناس عليه ويقولون ولاية النبي افضل
من نبوته ونبوته افضل من رسالته لان ولايته اتصاله بالله والنبوة
اخباره عن الله والرسالة تبليغه للناس والاول ارفع فهذه مقدمة ثم يقولون
والولاية باقية الى يوم القيمة وتلك الولاية بعينها التي كانت للرسول هي
باقية في امته فتارة يقولون هي في كل زمان لشخص وتارة يقولون هي
لخاتم الاولياء وهؤلاء قد يعظمون الامام احمد جدا والشيخ عبد القادر جدا

قال ابن عربي يعظم هذين جدا وينتسب في الخرقة للشيخ عبد القادر وهم
يغلون في ذلك حتى انه كان كثير من شيوخهم له غلو في الشيخ عبد القادر
فاخذ يفسر ما ينقل عنه من انه قيل له يا سيد الخلق بعد الحق واصحابه المتقصدون
يفسرون ذلك بسيد اهل زمانه فزعم هذا الشيخ انه سيد الخلق مطلقا بناء على ان
الولاية المحمدية قائمة به ومن انضبط كان السيد مطلقا وجرى هذا بمجلس كنت
فيه وكان فيه احد المشائخ من اولاد الشيخ عبد القادر وهو رجل مسلم لا يعتقد
شيئا من هذا لكن ذكر صاحب المجلس هذا عن ذلك الشيخ الغالي وان اخر رد عليه
وكان هذا الراد قد اعتدى عليه فخلت الصواب مع هذا الراد كائنا من كان
فان الحق يجب اتباعه من كل احد وان الباطل يجب رده على كل احد وهذا باطل
ما يقوله مسلم فان الولاية قائمة بالنبي صلى الله عليه وسلم هي بعينها لا تنتقل الى
احد واما مثلها فلم يحصل لابي بكر وعمر ولا لاحد من الانبياء والرسل فضلا عن ان
تحصل للشيخ عبد القادر او غيره وهذا من جنس ما تدعيه الرافضة الامامية
من العصمة في علي وغيره ويجعلونهم مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
بالشام طائفة منهم سألوا مرة لابي البقاء خالد بن يوسف النابلسي الشيخ
المحدث المشهور فقالوا يا زين الدين انت تقول ان مولانا امير المؤمنين عليا
ما كان معصوما فقال ما اخفيكم شيئا وكان يقول مثل هذا اكثر ابو بكر وعمر عندنا
خير منه وما كانا معصومين واقبح من غلو هؤلاء ما كان عليه المتسمون بالموحدين
في متبوعهم الملقب بالمهدي محمد بن تومرت الذي اقام دولتهم بما افاط به من
الكذب والمحال وقتل المسلمين واستحلال الدماء والاموال فعل الخوارج المارقين
ومن الابتداع في الدين مع ما كان عليه من الزهد والفضيلة المتوسطة وما التزمه
به من الشرائع الاسلامية والسنن النبوية فجمع بين خير وشر لكن من اقبح
ما انتحلوه فيه خطبتهم له على المنابر بقولهم المهدي المعصوم والامام المعلوم
وبلغني ان بعض عقلاء خلفائهم جمع العلماء فسألهم عن ذلك فسكتوا خوفا لانه
من كان يتظاهر بانكار شيء من ذلك قتل علانية ان امكن والا قتل سرا ويقال
انهم قتلوا القاضي ابا بكر ابن العربي والقاضي عياض السبتي وغيرهما وجهالهم يغلون

في ابن تومرت حتى يجعلوه مثل النبي صلى الله عليه وسلم ويلنشد وله

اذا كان من في المشرق في المغرب مثله   فلعواله المشتاق ان يتحيرا

وهم يقولون في الخطبة الذي ابد بالحكمة فكان امره حتما واكتنف بالعدل

اللائح والنور الواضح الذي ملأ الارض فلم يدع فيها ظلاما ولا ظلما وقد اتفق

المسلمون على انه ليس من المخلوقين من امره حتم على الاطلاق الا الرسل الذين قال الله

فيهم وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله واما من دونهم فيطاع اذا امر بما

امر به واما اذا امر بخلاف ذلك لم يطع كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصاني

فقد عصاني فقد عصى الله ومن عصى اميري فقد عصاني وفي الصحيحين ايضا

عن عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بعث اميرا على سرية قال على

المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية الله فاذا امر بمعصية الله فلا سمع ولا

طاعة وقد قال الصديق رضي الله عنه لما تولى ابرّ الناس القوي فيكم الضعيف

عندي حتى اخذ منه الحق والضعيف فيكم القوي عندي حتى اخذ له الحق وقال

اطيعوني ما اطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم وسألهم عن قولهم

المعصوم وامسك الاكثرون ثم قام بعضهم فقال قد اجمع المسلمون واهل السنة

او العلماء او كما قال على ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر واجمعوا انه لم يكن

معصوما وانفض المجلس على بطلان قولهم المعصوم وازيلت من المنابر امام ذلك

المجلس او غيره وقد اتفق ائمة الدين على انه لا معصوم في الامة غير رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم النبي معصوم والولي محفوظ ان اراد بالحفظ

ما يشبه العصمة فهو باطل وهذا باب دخل منه الضلال على طوائف مثل النصرانية

كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما

امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وقد روي عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال احلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فكانت تلك عبادتهم

وقال تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد

الا الله ولا نشرك به شيئا هذا حق الخالق ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون

الله

الله وهذا حق المخلوق فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فتارة

يجعلون في المصطفين من البشر نوعا من الالهية وهذا قد ظهر قبحه وبطلانه

اكثر من القسم الثاني وهو انهم يضاهون بالرسل المصطفين من غير الرسل وكل من

هذين خلاف الشرع وبين الشيئين هما اصل الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وشهادة

ان محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين والمرسلين واما الغلاة من الرافضة

واشباههم الذين يصرحون بعصمة من يعظمونه من الائمة والمشايخ والعلماء فضلاله

لهم اظهر من ضلال طائفة اخرى وهم لا يقولون انهم معصومون لكن يعاملونهم

معاملة المعصوم حتى قد يعادي احدهم من يقول عن احدهم انه اخطأ واذا كان

القائل معظما لمن قال ذلك فيه مكرما له مجلا له ولم يقل ذلك على وجه الانتقاص

ولكن البيان انه لا معصوم الا رسول الله وان من سواه يصيب ويخطئ بل قد

يستحق عقوبة او اذنبه للقول الذي اجمع ائمة الدين على انه الحق الذي يجب اتباعه

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق رضي الله عنه في تعبير الرؤيا

اصبت بعضا واخطأت بعضا والحديث في الصحيح كما قال صلى الله عليه وسلم

لما ذكرت له سبيعة عن ابي السنابل ابن بعكك انه قال ما انت بناكحة حتى تعتدي

ابعد الاجلين فقال كذب ابو السنابل حللت فانكحي وهذه الفتيا قد افتى بها علي

وابن عباس وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان في الامم

قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فعمر وقال ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه

وفي الترمذي لو لم ابعث فيكم لبعث فيكم عمر وقال ابن عمر ما سمعت عمر يقول للشيء كذا وكذا

الا كان كما يقول وقال علي كنا نتحدث ان السكينة تنطق على لسان عمر ومع هذا

فقد كان الصديق الذي هو افضل منه يقومه في اشياء كثيرة كما قومه يوم صلح الحديبية

ويوم موت النبي صلى الله عليه وسلم بل كان احاد الناس يبين له الصواب فيرجع الى قوله

كما راجعته امرأة في قوله لئن بلغني ان احدا زاد صداقه على صداق ازواج النبي

صلى الله عليه وسلم وبناته الا رددت الفضل في بيت المال فقالت له امرأة

لم تحرمنا شيئا اعطانا الله اياه وقرأت قوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا

رجع الى قولا وامثال هذا ولما كان اهل العراق يحتجون على الشافعي بقول علي
وعبد الله جمع كتاب اختلاف علي وعبد الله وذكر كثيرا من المسائل التي ترك
الناس فيها قولهما والسنة بخلاف ذلك واعظم الناس موافقة للسنة ابو بكر
الصديق فانه لا يكاد يحفظ له مسئلة يخالف فيها النص كما حفظ لغيره من الخلفاء
والصحابة ومع هذا فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا كله
لا ينازع فيه احد من اهل العلم والدين لكن ابتلي المسلمون بجهال الضلال يدعون
الحقائق والاحوال وهم لم يعرفوا ما عرفه عموم المسلمين من النساء والرجال واما الرسول
صلى الله عليه وسلم فعصمته فيما استقر بتبليغه من الرسالة باتفاق المؤمنين
كما قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله
لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم وليس هذا موضع ذكر تنازع الناس هل كان
الالقاء في السمع او في اللفظ اذ لا نزاع بين الائمة في انه لا يقر على ما هو خطأ في تبليغ
الرسالة فان مقصود الرسالة لا يحصل مع تجويز هذا واما تنازع الناس في غير هذا
كتنازعهم في وقوع الخطأ والصغاير فانهم ايضا لا يقرون على ذلك فاذا قيل
هم معصومون من الاقرار على ذلك كان في ذلك احتراز من النزاع المشهور
بل كان عامة السلف والائمة وجمهور الامة يجوز ذلك على الانبياء ويقولون
هم معصومون من الاقرار على الذنوب ويقولون وقوع ما وقع انما كان لكمال النهاية
لا لنقص البداية فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين كما دل الكتاب والسنة
والاثار على ذلك وما في ذلك من التأسي والاقتداء بهم فكيف بغيرهم لكن غيرهم
ليس معصوما من الاقرار على خطأ اذ افضل الخلق بعد الانبياء الصديقون
ولا يقدح في صديقيتهم وقوع الخطأ منهم بل لولا ذلك لكان الصديق بمنزلة النبي

صلى الله عليه وسلم والذين يغلون في هؤلاء هو ان قصدهم تعظيمهم بذلك
فيه غض ونقص بمن هو خير منهم وهم الانبياء والرسل يكون غلوه عيبا وغضا
بالالوهية كما قال تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا
تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وقال تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه الى قوله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الاية
وقال تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وهؤلاء يسبون الله كما
كان معاذ ابن جبل يقول لا ترحموهم فقد سبوا الله مسبة ما سبه بها احد
من البشر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد اصبر
على اذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهو يعافيهم ويرزقهم
وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى شتمني
ابن ادم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن ادم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه اياي
فقوله ان لي ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد
واما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي
من اعادته والله سبحانه وتعالى له حقوق لا يشركه فيها احد وللرسل حقوق
لا يشركهم فيها غير الرسل والاقرار بهذين هو اصل الاسلام فحق الله تعالى
ان نعبده ولا نشرك به شيئا كما في الصحيحين عن معاذ بن جبل قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم يا معاذ اتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله
اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا يا معاذ اتدري ما
حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال ان لا
يعذبهم وقد اخبر الله سبحانه عن كل من المرسلين كنوح وهود وصالح
انه قال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال فاتقوا الله واطيعون وقال

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فالطاعة
لله وللرسل المبلغين عنه كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما
الخشية والتقوى فلله وحده وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا
فالتسبيح لله وحده والتعزير والتوقير للرسول والايمان بالله ورسوله
وقال تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون
وقال انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
وقال عن ابراهيم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال واذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقال
تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وقال ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا وقال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا هو المقصود بالقرآن
واما الرسول فقد قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره
وقال تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه
وقال تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله

سيؤتينا الله من فضله ورسوله لان الايتاء المحمود لا بد ان يكون مما اباحه
الرسول فاذن فيه مبلغا عن الله والا فمن اوتي ملكا او مالا غير ماذون
له فيه شرعا كان معاقبا عليه وان جرت به المقادير اذ يجب الفرق بين الايتاء
الكوني والديني كما يجب الفرق بين القضاء الكوني والديني والامر الكوني
والديني والحكم الكوني والديني والارادة الكونية والدينية والاذن الكوني
والديني والبعث الكوني والديني والارسال الكوني والديني واشباه ذلك
مما دل القرآن على الفرق بينهما فما كان موافقا للشريعة التي بعث بها رسوله
فهو الديني الذي يقوم به المؤمنون وما كان مخالفا لذلك وان قدره الله
وكونه شرا فحق صاحبه عقوبة وكان عاقبته فيه عاقبة سوء فان
العاقبة للمتقين ولا حجة لاحد بالقدر بل المحتج به حجته داحضة والمعتذر
به عذره غير مقبول وقال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وقال تعالى يسألونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
الاية وقال ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب وقد ذكر طاعة الرسول في اكثر من ثلاثين
موضعا من القرآن فهذا وامثاله من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم
واما المؤمنون وولاة الامور من العلماء والامراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ
والملوك فلهم حقوق بحسب ما يقومون به من الدين فيطاعون في طاعة الله
ويجب له من النصيحة والمعاونة على البر والتقوى وغير ذلك من الحقوق
ما دل عليه الكتاب والسنة وليس هذا موضع تفصيل ذلك وكل من جعل
غير الرسول بمنزلة الرسول في خصائص الرسالة فهو مضاه لمن جعل مع
رسوله اخر كمسيلمة ونحوه وان افترقا من بعض الوجوه ثم يكون هؤلاء

وما هو من حقوق [illegible] المؤمنين ايضا من التناصح والموالاة وغيرها

شرا اذا فضلوا متبوعهم على الرسول وقد يكون اتباع مسيلمة شرا اذا كان
متبوع هؤلاء مؤمنا بالله ورسوله ولم يفضلوه على الرسول ولما اظهرت
ما في كتب هؤلاء من النفاق والالحاد اخذ بعض من يقول بتفضيل الولي
على الرسول ونحو ذلك يتأولون ذلك على ما تقدم ذكره من تفضيل
ولاية الرسول على نبوته ورسالته حتى خاطبني في ذلك بعضهم واخذ يتأول
كلام ابن العربي في استفادة والرسل من مشكاة نوره لانه هو ولاية
الرسول والرسل يستفيدون من مشكاة خاتم الرسل فيلزم انهم يستفيدون
من مشكاة خاتم الاولياء فاخذت اولا وقفته على الفاظ ابن عربي
المتقدمة التي كتبتها هنا حيث ذكر فيها ان هذا العلم الذي هو تحقيقهم
وتوحيدهم وحقيقة التعطيل ليس الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما
يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه احد
من الاولياء الا من مشكاة خاتم الاولياء حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه
الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع
ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع ابدا فالمرسلون من كونهم اولياء
لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف بمن دونهم من
الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل
من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه فانه من
وجه يكون اعلى ومن وجه يكون انزل فقد صرح في هذا الكلام
بعد ان زعم ان الانبياء والرسل لا يرونه الا من مشكاة خاتم الرسل
وان الانبياء والرسل ايضا لا يرونه ايضا الا من مشكاة خاتم الاولياء
لكونهم ايضا اولياء ثم اعاد قوله فقال فالمرسلون من كونهم اولياء
لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء وهذا تصريح بان
ولايتهم القائمة بهم دون ولاية خاتم الاولياء ضد ما يتأول هؤلاء به
ثم صرح بان خاتم الاولياء اعلى من خاتم الانبياء من وجه وصرح فيما
بعد بانه موضع لبنتين فقال فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره

وما

وما يتبعه فيه من الاحكام كما هو اخذ عن الله في السر ما هو في الصورة
الظاهرة متبع فيه فانه يرى الامر على ما هو عليه فلا بد ان يراه هكذا
فزعم انه تابع له في الاحكام الظاهرة باخذ عن الله في السر ما هو
بالصورة الظاهرة متبع فيه وهذا مقام مسيلمة الكذاب ولا ريب
ان هرون وان كان نبيا مع موسى فلم يكن معه بهذه المنزلة بل كان
موسى يبلغه عن الله ما لم يكن يأخذه هرون عن الله وهذا ادعى انه مع
محمد فوق ما كان هرون مع موسى ولم يرض بذلك بل هذا في الاحكام الظاهرة
فقط وهذا ايضا مقام الذين اذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله ثم قال وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن
فانه اخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي الى الرسول
فزعم انه يأخذ من فوق الملك والرسول يأخذ عن الملك فهو اعلى منه
في اعلا القسمين وهو علم التحقيق والمعرفة كما قال في اثنا كلامه فما يلزم
الكامل ان يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم
في رتبة العلم بالله فهنالك مطلبهم واما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها
واذا كان متقدما على الرسول في اعلا القسمين وهو العلم وشاركه في
العلم بالاحكام فمعلوم ان مسيلمة الكذاب لم يدع مثل هذا ولا المختار
ابن ابي عبيد الكذاب الذي ثبت في الحديث الذي في صحيح مسلم عن اسماء
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير
فالمبير كان هو الحجاج والكذاب هو المختار ابن ابي عبيد وقد قيل لابن عمر
او لابن عباس ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال صدق وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون وقيل للاخر ان
المختار يزعم انه ينزل اليه فقال صدق هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم فلما رأى هذا من كان يعظمهم غاية التعظيم ويتأول
كلامهم على ما تقدم انبهر حيث رآه قد صرح بالتفضيل على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء وانهم يأخذون من مشكاة ولاية نفسه لا من

ن وهذا يزعم انه قد اوتي
مثل ما اوتي رسل الله

ولاية الرسول ثم بينت له بطلان تلك الاصول بأن احدا من اهل العلم لم يأخذ
عن الآخر هذا العلم لوجهين احدهما ان هذا الحاد وتعطيل لا يعتقده الا
زنديق فكيف يعتقده رسول الثاني ان الرسل اوحى الله اليهم علمهم
ما علمهم لم يحيلهم في ذلك على من لم يخلق بعد فقد تيقن ان قول هؤلاء
يستلزم قول الدجال بخلاف مسيلمة ونحوه ممن تقدم للكذب وبخلاف
القرامطة وما استلزم الباطل فهو باطل وقد ثبت في الصحيحين عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ احدكم من التشهد
الآخر فليستعذ بالله من اربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن
فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال وفي رواية طاوس سمعت
ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عوذوا بالله من عذاب
النار عوذوا بالله من عذاب القبر عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال
عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات وروى الاعرج عن ابي هريرة مثله
وفي افراد مسلم عن ابي الزبير عن طاوس عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن
يقول قولوا اللهم انا نعوذ بك من عذاب جهنم ونعوذ بك من عذاب القبر
ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات
قال مسلم بلغني ان طاوسا قال لابنه دعوت بها في صلاتك قال لا قال
اعد صلاتك ولهذا الذي ذكره عن طاوس قول طائفة من العلماء من اصحاب احمد
وغيرهم يرون وجوب الدعاء ولا ريب انه اوكد الادعية المشروعة في هذا
الموضع فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه انه امر بدعاء بعد
التشهد الا هذا الدعاء وانما نقل عنه انه كان يقول ادعية مشروعة
وامره اوكد من فعله باتفاق المسلمين ولهذا كان الذين ذكروا هذا الدعاء
في هذا الموضع من المصنفين اعلم بالسنة واتبع لها ممن ذكر غيره ولم يذكره
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه بهذا التعوذ خارج
الصلاة ايضا وقد جاء مطلقا ومقيدا في الصلاة ومعلوم انه ما ذكر معه
من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات امر به كل مصل

الا هذه

الا هذه الفتن مجربة على كل احد ولا نجاة الا بالنجاة منها فدل على ان فتنة الدجال
كذلك ولو لم تصب فتنته الا مجرد الذين يدركونه لم يؤمر بذلك احد كل الخلق
مع العلم بان جماهير العباد لا يدركونه ولا يدركه الا اقل القليل من الناس المامورين
بهذا الدعاء فهذا انذار الانبياء اياه اممهم حتى انذر نوح قومه يقتضي نحو بالعموم
فتنته وان تأخر وجود شخصه حتى يقتله المسيح ابن مريم عليه السلام وكثيرا
ما يقع في قلبي ان هؤلاء الطائفة ونحوهم احق الناس باتباع الدجال فان القائلين
بالاتحاد والحلول المعين كقول النصارى في المسيح والغالية المالكية في علي او في غيره
كما ذهب الى ذلك طوائف من غلاة الشيعة وغلاة المتصوفة لا يمتنع على قولهم ان
يكون الدجال ونحوه هو الله فكيف القائلون بالوحدة والاتحاد والحلول
المطلق الذين يجعلون فرعون والعجل والاصنام وغير ذلك هي عين الحق كما
تقدم ولقد كان يعرض لكثير من الناس اشكال في كون النبي صلى الله عليه
وسلم قال في الدجال انه اعور وان ربكم ليس باعور فما الحاجة الى
نفي ربوبيته بدليل العور مع كثرة الادلة التي يعلم بها كذبه وكذب كل
بشر قال انه الله حتى ان طائفة من اهل الكلام اخوان اولئك الاتحادية
في النفي كالرازي كذبوا بهذا الحديث وقالوا النبي صلى الله عليه وسلم اجل من
ان يحتاج في نفي الربوبية الى ان يدل امته بهذا واعلم ان الحديث
ثابت متفق عليه مستفيض من وجوه منها حديث ابن عمر المتقدم الذي
سقناه في مسلم وهو في الصحيحين وفيه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه
ما من نبي الا وقد انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكني اقول لكم فيه
قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور وفي لفظ
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال
ان الله ليس باعور الا ان المسيح الدجال اعور العين اليمنى كأن عينه
عنبة طافية وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله

٩٩

عليه وسلم ما من نبي الا قد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان
ربكم ليس باعور بين عينيه ك ف ر وفي رواية مكتوب بين عينيه ك ف ر
اي كافر وفي رواية الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها
ك ف ر يقرؤه كل مسلم وفي الصحيح من حديث حذيفة ان الدجال ممسوح العين
عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب
واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل انه اعور وان ربكم ليس باعور
لأن ذلك وحده هو الدليل على كذبه وامتناع دعواه وانه لولا العور لم
تكن هناك ادلة اخرى تبين ذلك انه قال لا تقولن فيه قولا لم يقله نبي
لأمته انه اعور وان ربكم ليس باعور ولو كان هذا هو الدليل وحده على
نفي ربوبيته لم يعلم كذبه بدون ذلك لوجب على الانبيا كلهم ان ينبئوا ذلك
لوجوب بيان كذبه عليهم بل قد ذكر مع ذلك ادلة اخرى منها انه مكتوب بين
عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن ومنها ان احدا منا لن يرى ربه حتى يموت
ومنها جنته نار وناره جنة كما في الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم عن الدجال حديثا ما
حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي
يقول انها الجنة هي النار واني انذركم به كما انذر به نوح قومه وفي
الصحيح ايضا عن حذيفة وعقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الدجال يخرج وان معه ما ونار فالما الذي يراه الناس ما نار
تحرق واما الذي يراه الناس نارا فما بارد عذب من ادرك ذلك منكم فليقع
في الذي يراه نارا فانه ما عذب طيب ذكر صلى الله عليه وسلم هذه
العلامات الظاهرة فان فتنة الدجال اعظم فتنة تكون في الدنيا
وفي الصحيح عن هشام ابن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال وهو يخرج
بعد بلاء شديد يصيب الناس وشبهات عظيمة مع رغبة عظيمة ورهبة

عظيمة

عظيمة ويتبعه اكثر الناس حتى اليهود مع دعواهم الكتاب وهم اكثر الناس
تبعا له كما جا في الصحيح عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة
واذا كان قوم موسى قد عبدوا العجل واعتقدوا انه الله وفيهم هرون نبي الله
نهاهم فلم ينتهوا حتى رجع اليهم موسى والقى الالواح والنصارى متفقون على
ان المسيح هو الله تعالى الله علوا كبيرا ويقولون مع ذلك هو ابن الله ايضا
فكيف يمتنع على قولهم ان يقال ذلك في بشر وهؤلاء الذين يدعون الفلسفة
والكلام والتصوف وهم يدعون انهم اكمل الناس معرفة بالتوحيد والتحقيق
واتبع الناس للشريعة وغيرها ويفضلون انفسهم على الرسل ولا ريب
انهم من احذق الناس في الفلسفة ويقولون انه يظهر في كل صورة ويقولون
ان عباد العجل ما عبدوا الا الله كما قال ابن عربي في الفصوص ثم قال هرون لموسى
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل فتجعلني سببا في تفريقهم فان
عبادة العجل ظهرت بينهم فكان فيهم من عبده اتباعا للسامري وتقليدا له
ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع اليهم موسى فيسألونه عن ذلك
فخشي هرون ان ينسب ذلك التفريق اليه فكان موسى اعلم بالامر من هرون
لأنه علم ما عبده اصحاب العجل لعلمه بان الله قضى ان لا يعبد الا اياه وما
حكم الله بشي الا وقع فكان عتب موسى اخاه هرون لما وقع الامر في انكاره
وعدم اتساعه فان العارف يرى الحق في كل شي بل يراه عين كل شي الى ان
قال فكان عدم قوة ارداع هرون بالفعل ان ينفذ في اصحاب العجل بالتسلط
على العجل كما تسلط موسى عليه حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة
وان ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت الا بعد ما تلبست عند عابدها
بالالوهية فاذا كان الامتان الكتابيان اليهود والنصارى اعتقدوا ما
تقدم في انسان وعجل وكذلك الغلاة من هذه الامة المشابهون لكفار اهل
الكتاب وهؤلاء المشابهة الفلاسفة وان انتسبوا الى الملل يقولون ما هو ابلغ
من ذلك من ظهوره في كل صورة فكيف يبعد من هؤلاء الطوائف عن العلم

وا ان ينفذ

والايمان ولهذا لا يخلص من فتنة الدجال الا المؤمنون صرفا من امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقد كان عندنا بدمشق الشيخ المشهور الذي يقال له ابن
هود وكان من اعظم من رأيناه من هؤلاء الاتحادية زهدا ومعرفة ورياضة
وكان من اشد الناس تعظيما لابن سبعين ومفضلا له عنده على ابن عربي
وغلمه ابن اسحق واكثر الناس من الكبار والصغار كانوا يطيعون امره وكان اصحابه
الخواص يعتقدون فيه انه الله وانه يعني ابن هود هو المسيح ابن مريم ويقولون
ان امه كان اسمها مريم وكانت نصرانية ويعتقدون ان قول النبي صلى الله
عليه وسلم ينزل فيكم ابن مريم هو هذا وان روحانية عيسى تنزل عليه
وقد ناظرني في ذلك من كان افضل الناس عند الناس اذ ذاك معرفة بالعلوم
الفلسفية وغيرها مع دخوله في الزهد والتصوف وجرى لهم في ذلك مخاطبات
ومناظرات يطول ذكرها جرت بيني وبينهم حتى بينت لهم فساد دعواهم
بالاحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى المسيح وان ذلك الوصف لا ينطبق
على هذا وبينت فساد ما دخلوا فيه من القرمطة حتى ظهرت مباهلتهم وحلفت
لهم ان ما ينتظرونه من هذا لا يكون ولا يتم وان الله لا يتم امر هذا الشيخ
فابر الله تلك الاقسام والحمد لله رب العالمين هذا مع تعظيمهم لي ومعرفتي
عندهم والا فهم يعتقدون ان سائر الناس محجوبون جهال بحقيقتهم وعندهم
وباطنهم وغوامضهم والا فمن كان عند هؤلاء يصلح ان يخاطب باسرارهم انما الناس
عندهم كالبهائم حتى قال لي شيخ مشهور من شيوخهم لما بينت له حقيقة قولهم
فاخذ يستحسن ويعظم معرفتي بقولهم وقال هؤلاء الفقراء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
فقلت له بالله اهذا القول موافق لدين الاسلام فتحير المجتهدون ويضطربون
اذا اشتبه عليهم وقال لي بعض من كان يصدق هؤلاء الاتحادية ثم رجع عن ذلك
لكان من افضل الناس ونبلائهم واكابرهم ما المانع من ان يظهر الله في صورة
بشر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الدجال انه اعور وان ربكم
ليس باعور فلولا جواز ظهوره في هذه الصورة لما احتاج الى هذا في كلام

لم ر اخذ يحتج بذلك على امكان ان يكون ابن هود الله فبينت له امتناع ذلك
من وجوه وتكلمت معه بكلام طال عهدي به لست استحضره الآن حتى تبين
له بطلان ذلك وذكرت له ان هذا الحديث لا حجة فيه والله سبحانه قد بين عبودية
المسيح وكفر من ادعى فيه الالهية بانواع غير ذلك كقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام فاكل الطعام
لازم لكل بشر وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وقال تعالى لا تاخذه
سنة ولا نوم وقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وامثال ذلك واعلم ان ما
تذكره النفاة المدعون للتنزيه من المتفلسفة والمتكلمة على نفي كونه جسما
او جوهرا او متحيزا او منقسما او كونه في جهة او متى كان ونحو ذلك لم يفدهم شيئا
من هذا المقام ولا اوجب اعتقادا نفي الالهية في المسيح والدجال فان هؤلاء بعينهم
هم الذين يعتقدون الهية المسيح الدجال والمسيح ابن مريم ونحوهما مع تصريحهم
بوصف الرب بتلك الصفات السلبية وذلك انهم اما ان يقولوا تدرع
اللاهوت بالناسوت وحل به او ظهر فيه او هذه مظاهر ومجالي الالهية
او نعتا للحق او نحو ذلك من مقالات الاتحاد والذي شاهدناه ان احذق
الناس في الفلسفة والنفي والتنزيه كان اتبع الناس لهؤلاء الاتحادية
اذ هم بزعمهم يجمعون بين التنزيه والتشبيه فكما يصفونه به حتى
يصفوه بكل عيب وبكل نقص وكل صفة للمحدث كما قال صاحب الفصوص
الا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات واخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص
وبصفات الذم الا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من اولها الى آخرها وكلها حق له
كما هي صفات المحدثات حق للحق وقال ايضا ومن اسمائه الحسنى العلي على من وما ثم
الا هو فهو العلي لذاته او عن ماذا وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث
الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو الى آن

قال فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم
من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى ابو سعيد الخراز وغير ذلك
من اسماء المحدثات الى ان قال ومن عرف ما قررناه في الاعداد وان نفيها عين اثباتها
علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه وان كان قد تميز الخلق من الخالق فالامر الخالق
المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة
وهو العيون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر والولد عين ابيه
فما رأى يذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر
بصورة انسان وظهر بصورة لا بل بحكم ولد من هو عين الوالد وخلق منها زوجها
فما نكح سوى نفسه الى ان قال فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي
يستغرق به جميع الامور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن ان يفوته
نعت منها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا او مذمومة عرفا وعقلا
وشرعا وليس ذلك الا للمسمى الله خاصة فصرح بان الحق المنزه هو الخلق
المشبه وصرح بانه المنعوت بكل نعت مذموم ومحمود وصرح بانه ابو سعيد
الخراز وغيره من اسماء المحدثات كما صرح بان المسمى محدثات هي العلية
لذاتها وليست الا هو وقال ايضا اعلم ان التنزيه عند اهل الحقائق
في الجناب الالهي عين التحديد والتقييد فالمنزه اما جاهل واما صاحب
سوء ادب ولكن اذا اطلقاه وقالا به فالقائل بالشرائع المؤمن اذا نزه
ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك فقد اساء الادب وكذب الحق
والرسل وهو لا يشعر ويتخيل انه في الحاصل وهو في الفائت وهو كمن امن
ببعض وكفر ببعض وقد علم ان السنة الشرائع الالهية اذا نطقت
عن الحق تعالى لما نطقت به انما جاءت به في العموم على المفهوم الاول
وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان

في وضع ذلك اللسان كان للحق من كل خلق ظهورا فهو الظاهر في كل مفهوم
وهو الباطن عن كل فهم الا عن فهم من قال ان العالم صورته وهويته
الى ان قال وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن
بنفسه لما ظهر من صور العالم بنسبة الروح المدبر للصورة فيوجد في حد
الانسان مثلا ظاهره وباطنه وكذلك كل محدود فالحق تعالى محدود بكل
حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها احد ولا يعلم حدود كل صورة
منها الا قدر ما حصل لكل عالم من صورة فكذلك يجهل حد الحق فانه
لا يعلم حده الا بعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فحد الحق محال
وكذلك من شبهه وما نزهه فقد قيده وحدده وما عرفه ومن جمع في معرفته
بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الاجمال لانه يستحيل
ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بما في العالم من الصور فقد عرفه مجملا
لا على التفصيل وكذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس
فقال من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم وهو عينك حتى يتبين لهم اي للناظر انه الحق من حيث انك
صورته وهو روحك فانت له كالصورة الجسمية وهو لك كالروح المدبر
لصورة جسدك والحد يشمل الظاهر والباطن منك فان الصورة الباقية
اذا زال عنها الروح المدبر لها لم تبق انسانا ولكن يقال فيها انها
صورة تشبه صورة الانسان فلا فرق بينها وبين صورة من خشب
او حجارة ولا ينطلق عليها اسم انسان الا بالمجاز لا بالحقيقة وصورة
العالم لا يمكن زوال الحق عنها اصلا فحد الالوهية له بالحقيقة لا بالمجاز
كما هو حد الانسان اذا كان حيا وكما ان ظاهر صورة الانسان
تثني بلسانها على روحها ونفسها والمدبر لها كذلك جعل الله صورة

فحد الحق محال

وهو ما خرج عنك

تسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم لانا لا نحيط بما في العالم من الصور فالكل
السنة للحق ناطقة بالثنا على الحق ولذلك قال الحمد لله رب العالمين
اي اليه ترجع عواقب الثنا فهو المنزه المثني عليه وانشد

فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا   وان قلت بالتشبيه كنت محددا
وان قلت بالامرين كنت مسددا   وكنت اماما في المعارف سيدا
فمن قال بالاشفاع كان مشركا   ومن قال بالافراد كان موحدا
فاياك والتشبيه ان كنت ثانيا   واياك والتنزيه ان كنت مفردا
فما انت هو بل انت هو وتراه في   عين الامور مسرحا ومقيدا

الى امثال هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء الدجالون الكذابون ويقولون
ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاهم اياه وتارة انهم اخذوه عن الله
بلا واسطة والنبي صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل يستفيدونه منهم
وتارة انهم والحق اخذوه من معدن واحد ومع هذا فقد جرى للمؤمنين
مع اتباعهم من المحنة ما هي اشهر المحن الواقعة في الاسلام ومعلوم ان هذه
المحنة هي محنة الدجال بل هذه النتيجة اقرب الى محنة الدجال من غيرها
لان النزاع في مثل دعوى الدجال قد سموا بعد وقد انتصروا غاية الانتصار
لما هو قول فرعون والدجال وعادوا من خالفهم ما هو اعظم من معادات
الدجال مع معرفة حذاقهم بانه قول فرعون وقوله انا على مذهب فرعون
وزعمهم مع ذلك انهم اكمل الخلق واعظمهم معرفة وتحقيقا وتوحيدا فاذا كان
هذا حال بني ادم عوامهم وخواصهم من جميع الاصناف في الانسان ظهر ان
ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من الدلائل على نفي ربوبية الدجال كان
من احسن الادلة واثبتها وانفعها للعامة والخاصة وظهر بهذا ان

غيره

غيره من الانبياء وان لم يعقلها لكون الادلة متعددة ذلك الذي قاله كان
اعلم بما ينفع الناس واحرص عليهم وارحم بهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان
الدليل الواضح الظاهر عند اضطراب القلوب واشتباه الحق وافتتان كثير من
الخلق او اكثرهم ينفع ويظهر الحق ويدفع الباطل ما لا تنفعه الادلة الخفية وان
كانت قطعية يقينية والمقصود من الادلة والاعلام هدى العباد وارشادهم
فكل ما كان من الادلة ادل على الحق وانفع للخلق كان ارجح مما ليس كذلك والحمد لله
الذي بعث الينا رسولا من انفسنا يتلو علينا اياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة
فهذا هو الوجه الاول وبيان ان احدا من الناس لا يرى الله في الدنيا بعينه لا في
صورة ولا في غير صورة وان الحديث الذي احتج به الاتحادية على تجليه لهم في الصور
في الدنيا يدل على نقيض ذلك الوجه الثاني انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم
هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضامون في رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحاب
قالوا لا قال فهل تضامون في رؤية القمر صحوا ليس دونه سحاب قالوا لا قال انكم
ترونه كذلك ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ولو كانت الرؤية هي تجليه في صور
المخلوقات كلها كما يقوله الاتحادية لقال لهم انكم ترون ربكم في هذه الصور اذ
هم لا يرتقبون عندهم في القيمة تجليا غير هذا التجلي الذي في الدنيا وانما تفاوت
الناس عندهم بعقد وتجرد انفسهم حتى يشهدوا الوجود السارى في كل شيء
لا فرق في ذلك عندهم بين دار ودار وهذا ايضا حجة على من يجعل انه لا مانع
للرؤية الا عدم الادراك في العين فانه على قوله لا فرق وعلى كلا من القولين
فانهم لا يرونه كما يرون الشمس والقمر وان كان هذا التشبيه للرؤية بالرؤية
لا للمرئي بالمرئي اذ كاف التشبيه دخلت على ما المصدرية فانه على قول الاتحادية
هو موجود فيهم كما هو موجود في الشمس والقمر والكوكب والجبل والحيوان والنبات
فيمتنع ان يروه كما يرون الشمس والقمر مباينا لهم منفصلا عنهم وعن غيرهم
من الموجودات وعلى قول اولئك لا بد دونه مواجهة عيانا وانما الرؤية من جنس

العلم او نوع منه وقولهم قول الاتحادية في رؤية الوجود المطلق وفي البخاري
انكم ترون ربكم عيانا ومما يبين ذلك انه ليس في الموجودات المرئية في الدنيا
اعظم من هذين ولا يمكن ان يراهما الانسان اكمل من الرؤية التي وصفها النبي
صلى الله عليه وسلم وهذا يبين ان المؤمنين يرون ربهم اكمل ما يعرف من الرؤية
وعلى قول هؤلاء انما يرى اخفى ما يكون او يرى على وجه تستوي الموجودات كلها
في رؤيته فانهم اذا جعلوه الوجود المطلق ووصفوه بالسلوب كانت الرؤية
من جنس العلم ان هذا ونحوه لا يرى بالعين وان جعلوه الوجود الذي في المخلوقات
جعلوا رؤيته كرؤية كل موجود من خفي وجلي وعلى التقديرين فهم مخالفون
للنصوص السلبية التي احتجوا بها الوجه الثالث انه قال تضامون في رؤيته
ولا تضارون في رؤيته اي لا يلحقكم ضير ولا ضيم وروي لا تضارون ولا
تضامون اي لا يضر بعضكم بعضا ولا ينضم بعضكم الى بعض كما جرت عادة
الناس بالازدحام عند رؤية الشيء الخفي كالهلال ونحوه وهذا كله بيان
لرؤيته في غاية التجلي والظهور بحيث لا يلحق الرائي ضرر ولا ضيم كما يلحقه عند
رؤية الشيء الخفي والبعيد والمحجوب ونحو ذلك وعلى قول هؤلاء الجهمية الامر
بالعكس فانهم اذا قالوا يتجلى في كل صورة من صورة الذباب والبعوض والبق
والهلال والسها ونحو ذلك من الاجسام الصغيرة فمعلوم ما يلحق في رؤيتها
من الضيم لا سيما وعند صاحب الفصوص لا يراه انما يرى الذوات التي يتجلى فيها
واما اذا جعل الرؤية من جنس العلم فجنس هذه لا يبقى فيها ضرر ولا ضيم ولا يلحق
فيها زحمة ولا مشقة فتكون بين ذلك مما هو علم او كالعلم عديم الفائدة
بعيد المناسبة لا يليق بمن هو من احاد الناس فضلا عن اكمل الخلق واعظمهم
معرفة وبيانا صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما

تم الجزء الأول من بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية اهل
الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد من كلام الامام شيخ الاسلام ابي
العباس تقي الدين احمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني
اثابه الله ورضي عنه واسكننا الفردوس برحمته وجمعنا واياه في دار
كرامته ومتعنا برؤيته امين يتلوه الجزء الثاني ان شا الله تعالى
الوجه الرابع انه قال في الحديث يجمع الله الناس يوم القيمة فيقول من
كان يعبد شيئا فليتبعه الى اخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
عبده ونبيه ورسوله وخيرته وصفوته
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله
رب العالمين

تم الجزء الاول من بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية اهل الالحاد من القائلين
بالحلول والاتحاد من كلام الامام شيخ الاسلام ابي العباس تقي الدين احمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية
الحراني اثابه الله ورضي عنه واسكنه الفردوس برحمته وجمعنا واياه في دار كرامته ومتعنا برؤيته امين
يتلوه الجزء الثاني ان شاء الله الوجه الرابع انه قال في الحديث يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان
يعبد شيئا فليتبعه الى اخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ونبيه ورسوله وخيرته وصفوته
محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

قال الواسطي رحمه الله تعالى في رده على ابن عربي الاتحادي وبعد فان الله تعالى يقول قل انما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا
على صراط مستقيم فقد حرم علينا ان نقول على الله سبحانه ما لا نعلم كما رضي لنا ان نمشي
سويا على صراط المستقيم ولا ريب ان الله سبحانه قد جعل للاشياء حدودا تتميز
بها بعضها عن بعض فالخلق محدود مربوب متصرف فيه الباري تعالى بقدرته وارادته
ومشيئته ليس الخلق بعضا من الباري ولا صفة من صفاته ولا هو من اسمائه
بل هو سبحانه ذات منفردة بنفسه بائن عن جميع خلقه بذاته واسمائه وصفاته
ووجوده فجميع الحركات والسكنات في الخلق صادرة عن مشيئته وليس هو
المتحرك فيها بل هو المحرك لها وليس وجودها وجوده بل لها وجود محدث
مفتقر الى موجد كما ان للموجد سبحانه وجودا آخر غير وجودها قائم به
كما يليق بربوبيته وللخلق وجود قائم به مفتقر كما يليق بعبوديته فمن جعل
الوجود وجودا واحدا ساريا في كل ماهية من الخلق والحق فقد ضل واعتدى